أنور الجندي

كسر طوق الحصار عن الإسلام

دار الاعتصام



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فاستمسك بالذى أُوحى إليك إنك على صراط مستقيم ﴾

[صدق الله العظيم] [الزخرف : ٤٣]

مدخل سياسى تاريخى

من أخطر التصريحات التى صدرت فى العصر الحديث ، ذلك التصريح الذى أعلنه الدكتور بيرون فى المؤتمر الدولى للعلومْ التاريخية الخامس الذى عقد فى مدينة (أوسلو) عاصمة النرويج فى ١٤ آب ١٩٢٩ حين قال :

« إن ظهور الإسلام كان خاتمة العصور القديمة وبداية إيقاظ الإنسانية فى دور عصورها المتوسطة ، حيث بدأت أوربا الغربية مدنية جديدة وحياة جديدة يجب معها اعتبار هذا الحادث العظيم هو بداية العصر الوسيط » .

ومع الأسف ، فما زال بعض مؤرخينا لا ينتبهون إلى هذه العلاقة المميزة فى مفترق طرق التاريخ ، ويجرون وراء متعصبى الغرب الذين يتجاهلون « **ظهور الإسلام** » كأعظم حدث تاريخى فى العالم ، ويتحدثون عن انقسام الدولة الرومانية إلى شرقية وغربية .

تقدم الإسلام بعد ذلك شرقاً وغرباً حتى فتح الهند والصين وأسبانيا وقسماً كبيراً من أوربا فى سرعة مذهلة أدهشت علماء الغرب حين أطلقوا على هذه الحادثة التاريخية « **المعجزة التاريخية** » ثم كان العلم هو أهم ما أهدته الحضارة الإسلامية إلى العالم الحديث ، كما سجل (بريفولت) فى كتابه (بناء الإنسانية) حين قال :

« لقد كان العلم هو أهم ما جاءت به الحضارة الإسلامية وإن ما يدين به علمنا لعلم المسلمين ليس ما قدموه لنا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة بل يدين هذا العلم إلى الثقافة الإسلامية بأكثر من هذا »

* * *

(إنه يدين لها بوجوده نفسه)

لقد كان المسلم إيجابياً يؤمن بالقدر كقوة للاندفاع والعمل فلا يخشى إلا الله تبارك وتعالى ، ويثور على التواكل ، وينكر الجبر ويعتقد أنه مسئول وحر ، كما يعتقد أن الله تبارك وتعالى سخر له ما فى السموات والأرض إذا هو قام بدوره بحق .

ويقول (أرنست رينان) : فى عقيدتى أنه لا نجاح للمسلمين اليوم إلا باتباع السبل التى سلكها محمد ﷺ وصحبه .

ويقول (لامارتين) : فى الإسلام قوة كافية أصيلة نابعة من أن هذا الدين (الإسلام) هو وحده الذى استطاع أن يعنى بمطالب البدن ومبادئ الروح معاً دون أن يفرض على المسلم أن يعيش فى عذاب الضمير الذى يعيش فيه المسيحيون واليهود .

هذه هى قوة الإسلام بالقياس إلى الأديان الأخرى ، لقد حدث تفتت فى المسيحية وقد اطرحت اطراحاً ولم يعد أحد يلجأ إليها أو يعيشها بخلاف ما حدث عند المسلمين من قيام إمبراطوريات متنازعة ، إنما المسلمون بالقرآن وحده ، لا شخصية محمد ﷺ ، إن الإسلام فيه شيء يجعله يختلف ، لأنه لا يعبد الأشخاص ، ولا ريب أن التوحيد والتنزيه هما موضع القوة فى الإسلام المؤمن .

* * *

لقد كان المسلمون الأوائل يؤمنون بأنهم مبتعثون أو مبعوثون ، كل واحد كان يعتقد أن عليه المسئولية ، وأن فى يده أمانة .. هى أمانة المصير الإنسانى ومستقبل المدنية الإنسانية كما يقول السيد (أبو الحسن الندوى) عن ربعى بن عامر مقولة ذلك المسلم الذى دخل على (كسرى) فى سلطانه فلما سأله من أنتم قال : إن الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة الناس إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، وهذا ما فهمه الغرب وما عمل للقضاء عليه .

نشرت جريدة التايمز البريطانية وثيقة خطيرة لأول مرة عبارة عن خطاب من

الملك (جون) ملك انجلترا عام ١٢١٣ م إلى الملك (محمد الناصر) ملك قرطبة في الأندلس يطلب فيه الملك الإنجليزى إدخال دولة إنجلترا ضمن محميات الدولة الأندلسية وعرض على (الناصر) أن يدخل شعب انجلترا وراء ملكه فى الإسلام .

ونشر المقال أسماء الوفد الإنجليزى الذى ذهب بالرسالة إلى (الناصر) وقد رفض هذا الأخير العرض راداً بأن ملكاً يقدم شعبه بهذه السهولة إلى دولة أخرى لا يستحق الحماية .

ويتحدث الناس اليوم بعد مرور خمسمائة عام على خروج الإسلام من أسبانيا ويؤكدون أن كولمبس لم يكتشف قارة أمريكا إلا بفضل العلم والعلماء المسلمين الذين سافروا معه على ظهر السفن التى استقرت على شواطىء أمريكا وأن اللغة العربية كانت تتردد على سطح السفن بين العلماء كلغة أساسية ، ولقد ارتكب كولمبس من الجرائم ومن القتل والاغتصاب ما يرى المؤرخون اليوم أنه مجرم حرب يستحق العقاب ، وأن فاسكودى جاما ما عرف الطريق إلى الهند إلا بمساعدة البحار العربى (أحمد بن ماجد) من سلطنة عمان .

وأنه لما وصل فاسكودى جاما إلى الهند عام ١٤٩٨ قتل مئات البحارة العرب ، بل إنه أحرق سفينة عربية بكل رجالها ونسائها وأطفالها ، فقد أرغمهم على أن ينزلوا إلى بطن السفينة ثم أشعل فيها النار وراح يشرب النبيذ البرتغالى سعيداً بذلك فقد كانت التعليمات الملكية أن يستولى على تجارة البهارات من العرب وقد نفذ هذه الأوامر بالحرق والإغراق .

ومع ظهور هذه الحقائق فلا تزال كتبنا العربية المدرسية تشير إلى هؤلاء على أنهم زعماء الكشوف الجغرافية مما يدل ويؤكد فساد التاريخ الذى فرضه الغرب ، والذى يصور أوروبا على أنها فى قمة العالم وفى مكان السيطرة والتوجيه لكل الأمم ، والذى يحمل صورة الاستعلاء والسيطرة والادعاء بأن الغرب هو المبدأ لتاريخ العالم بحضارة (اليونان) وأنه هو النهاية (حضارة الغرب اليوم) بحيث أصبح للإسلام جزء ضائع محرف ونسيت أنها خلال ألف سنة كاملة كانت تعيش فى ظلمات القرون الوسطى ، بينما كان الإسلام يضىء نصف العالم الآخر من الأندلس إلى حدود الصين ، وقد جاء ذلك التصور من منطلق باطل وزائف باعتبار أن القوى

والظالم هو الذى يكتب التاريخ وأن تاريخ أوروبا المكتوب هو تاريخ القوى المسيطرة التى استخدمت كتابة التاريخ كوسيلة من وسائل شتى لتبرير السيطرة .. هذا هو مرض الامتلاء بالذات وإسقاط الآخرين .

كذلك فقد عمد الغرب عن طريق نفوذه السياسى على العالم الإسلامى أن أورد كثيراً من الأكاذيب والمغالطات وما يتعلق بالخلافات بين الأمراء والملوك والقصد هو إيجاد دليل كاذب على تفسخ المجتمع الإسلامى، فإن هذه الخلافات لم تكن بهذه الصورة ثم إن المجتمع الإسلامى نفسه ظل سليماً قوياً متماسكاً ، وإن الذين رتبوا هذه الخلافات لم يذكروا المساحات الواسعة بينها أو الإيجابيات العديدة خلال أربعة عشر قرناً .

وهناك الدعوى الباطلة بأن الإسلام قد استولى على أراضٍ كانت ملكاً للمسيحية أو للغرب (الدولة الرومانية) مثل مصر والشام وإفريقيا . والحقيقة أنها لم تكن ملكاً للغرب ولكنها كانت تحت نير احتلال الإمبراطوريةالرومانية إذ كانت مستعمرة قاست الظلم والهوان وسرعان ما وجد أهلها فى الفتح الإسلامى عدالة ورحمة فقبلوا حكم المسلمين .

ومع ذلك فما زال لورد سالسبرى يقول : يجب إعادة ماأخذه الهلال من الصليب . ويقول نينرس سميث فى كتابه عن سيرة السيد المسيح (إن هذا الاستيلاء على بيت المقدس كان حرباً صليبية ثامنة أدركت المسيحية فيها غايتها) .

لقد حرر المسلمون الشام ومصر وشمال إفريقيا من غزو الإسكندر الأكبر واشترك نصارى الشام مع الجيش الإسلامى فى المعركة ضد الروم والبيزنطيين لأنهم رأوا فى رايات الإسلام حرباً تحرره من الغزوة الرومية لبلادهم كما أن أقباط مصر فتحوا أبوابهم لعمرو بن العاص الذى أعاد بطريرك الأقباط (بنيامين) إلى سلطته الروحية على الأقباط المصريين وأعاد لهم كنائسهم التى كانت قد احتلت من قبل المذهب الملكانى .

والواقع أن الرعب الذى زلزل كيان الأكاسرة والقياصرة وغيرهما لم يكن مصدره كثرة عدد أو عدة لدى المسلمين بقدر ما كان إظهار الاعتزاز بالله وتوثيق العرى به والاطمئنان إليه والتوكل عليه مما أغراهم بالاستشهاد وحثهم على استعجال

لقائه وزهدهم فى كل شىء من أجل مرضاته تبارك وتعالى .

لقد أعطت القدوة التى رسمها رسول الله ﷺ وصحابته المثل لعامة المسلمين جيلاً بعد جيل وحتي اليوم ، فقدموا أنفسهم وأرواحهم رخيصة فى سبيل الدفاع عن أرض الإسلام .

كانت قيادة صلاح الدين فى حطين ويوسف بن تاشفين فى الزلاقة ومواقف بيبرس وقلاوون ومحمد الفاتح قادرة على تقديم القدوة للمسلمين الذين قدموا أرواحهم رخيصة فى مختلف المواقع التى كانت تذخر بالجهاد والعمل .

كانت هناك معارك الأندلس مع الفرنجة ومعارك ساحل الشام مع الصليبيين ومعارك المسلمين مع التتار ومعارك العرب والمسلمين مع الفرنجة والاستعمار .

كانت الأرض الإسلامية كلها تذخر بالجهاد والنضال ومقاومة الغاصبين الذين انطلقوا من كل مكان فى سبيل إيقاف الزحف الإسلامى .

وامتدت الحروب من أطراف الصين حتى القسطنطينية وغرباً حتى المحيط الأطلسى وعبرت جبل طارق حتى أدركت السهول الجنوبية فى فرنسا وامتدت أرض الإسلام تنادى لا إله إلا الله من حدود الصين إلى الأندلس ثم إلى القسطنطينية بعد قليل حين جاء محمد الفاتح .

★ ★ ★

منذ أن بزغ نور الإسلام يحمل إلى البشرية « المنهج الربانى الصحيح » بعد أن مر العالم بمرحلة خطيرة من التحريف على فترة من الرسل كان لا بد أن يكشف «القرآن » حقائق هذا التحول الخطير وهذا التحريف مما أثار أصحاب هذه المفاهيم على هذا الوافد الجديد الذى سرعان ما نشر جناحيه وزحف فى قوة حتى امتلك فيما بين المشرق والمغرب قبل أن يكتمل عمره قرناً من الزمان .

ومنذ ذلك اليوم بدأت تلك المعركة بين الحق والباطل ولم تتوقف حتى اليوم ، حيث اشتد الصراع بين الروم (الدولة البيزنطية) والدولة الإسلامية التى سيطرت على الشام وفارس ووصلت إلى حدود بيزنطة ، حيث لم تتوقف الحرب سجالاً حول

الحدود الفاصلة مما دفع معاوية إلى عقد الألوية تلو الألوية للزحف على القسطنطينية مما أطلق عليه الشواتى والصوائف وتلك المعارك التى قادها سيف الدولة الحمدانى .

حتى إذا وجدت الدولة البيزنطية أن النصر عقد لواؤه للمسلمين فى معركة (ملاذكرد) تنادى الغرب كله : الكنيسة والبابا وملوك أوربا على دفع القوى التى تنادت من كل مكان فى أوروبا بزعامة بطرس الناسك إلى ما أسموه استرداد بيت المقدس من أيدى المسلمين ، وتوالت المعارك على الجبهتين : جبهة الأندلس وجبهة الروم فى سبيل استعادة ما أخذه الهلال من الصليب .

معركة متصلة زاحفة خطيرة استمرت قرنين من الزمان وحملت إلى أرض الإسلام ثمانى حملات بقيادة ملوك أوروبا فى سبيل السيطرة على بيت المقدس وانتهت جميعها عليهم بالهزيمة والخزى والعار .

تلك كانت صورة الغرب وهو يزحف بكل قواه فى سبيل تدمير هذا الوجود الإسلامى الذى أعلن أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فى العالمين بعد أن حرفت المفاهيم وتحولت إلى ما وضعه الأحبار والرهبان من تعاليم خرجت عن دين الحق .

لقد حرر الإسلام الشرق كله من حاميات الروم البيزنطيين وحكمهم بعد ألف عام وفتح أهل هذه البلاد الأبواب له بالقبول لأنه حررهم من ظلم الروم ، أقباط مصر ونصارى الشام ووثنيو البربر ومجوس العراق ، وأقام فيهم العدل دون أن يطلب إليهم أن يدخلوا فى دينه ولم يلبث الإسلام أن زحف ليقتحم أوروبا من الأندلس ويستولى على جزر البحر الأبيض « كريت وصقلية ومالطة » ويصل إلى قلب أوروبا وفرنسا وإيطاليا حيث أقام ثمانية قرون وحين تراخت قوى المسلمين فى الالتزام بالعقيدة والجهاد كان لا بد أن تجرى على المسلمين سنن الله تبارك وتعالى فى الهزيمة والانسحاب حتى يعودوا إليه .

أثبتت الوثائق المسيحية (كما جاء فى كتاب الأميرال كى) أن الحروب الصليبية لم تكن حروباً مسيحية وإنما كانت تدبيراً يهودياً لوضع العالمين المسيحى والإسلامى فى حرب عامة مدمرة دامت أكثر من قرنين تمهيداً للوصول إلى فلسطين وقد كان لليهود دور كبير فى تقليص دولة الإسلام فى الأندلس ، ففى مذكرات الأمير عبد الله بن بلقين أخبار كثيرة عن دورهم ذاك قبيل العصر المرابطى

ثم كان لهم دور فى إنهاء دولة غرناطة وخروج المسلمين من الأندلس نهائياً .

لقد شجع البابا أربان الثانى النصارى على قتال المسلمين وطردهم من بيت المقدس ، وعلق على صدورهم الصليب للدلالة على أنها حرب مقدسة وفى هذه الحروب تجمع المسلمون وقاتلوا الصليبيين فى دمشق والقدس ومصر وقد أيقظت الحروب الصليبية المسلمين وكشفت لهم أبعاد المؤامرة ووحدت جهودهم وجمعت كلمتهم .

وكان نور الدين وصلاح الدين والظاهر بيبرس وقلاوون وغيرهم قادة مجاهدين حطموا هذا الصرح ودحروا هذه القوى الغاشمة .

وكان نصر صلاح الدين فى (حطين) على الصليبيين ونصر قطز وبيبرس فى (عين جالوت) على التتار مدخلاً إلى إعلاء كلمة الله من جديد ، حيث أكملت دولة المماليك ما بدأه صلاح الدين من انتصارات وكان الظاهر بيبرس قد أكمل ما قام به صلاح الدين من هزيمة الصليبيين بعد إحراز النصر على التتار فى عين جالوت وتمزيق شملهم .

ومهدت عين جالوت لتوحيد الوطن الإسلامى تحت راية المماليك حيث أعيدت الخلافة التى سقطت بسقوط بغداد من قبل .

وواصل بيبرس فتح الكرك وقيسارية وارسوف ويافا ثم جاء قلاوون فواصل ما بدأه بيبرس واحتل طرابلس وجاء الملك الأشرف ففتح عكا وكانت آخر معاقل الصليبيين ثم جاءت صور وصيدا وسلمت بيروت ودمر المسلمون آخر قلعة فى أيدى الصليبيين .

وكان ذلك نهاية تلك الغزوة التى استمرت قرابة قرنين من الزمان وعندما عاد المسلمون إلى الله تبارك وتعالى وأقاموا مجتمعه الربانى حقق لهم النصر وأمنهم من الخوف .

ويتعين على المسلمين أن يدرسوا هذه المرحلة .

كيف بدأت المناوشات بين الأمويين والبيزنطيين فى المشرق وترحيب الروم بكل ثائر على الدولة الإسلامية واتفاقهم مع المغول ضد الخلافة العباسية بمعاهدات دفاعية وهجومية وتذبيحهم المسلمين فى كل بلد دخلوها وتعاهدهم فى أوروبا ضد مسلمى المغرب .

وهم الذين لم يكتفوا بطردهم من الأندلس بل عذبوا من بقى منهم تعذيباً قاسياً جداً إحراقاً بالنار وتقتيلاً وتجويعاً وتقطيع أطراف ، وإرغاماً على اعتناق النصرانية بالسيف .

ثم كان هجومهم بعد سقوط طليطلة بالاستيلاء على أجزاء متفرقة من ساحل البحر المتوسط المسلم فى المغرب والجزائر وتونس وليبيا وساحل الأطلسى المسلم فى المغرب وموريتانيا وقد تمادوا حتى دخلوا الخليج غازين مخربين تحت اسم الكشوف الجغرافية وظاهرتهم دول أسبانيا والبرتغال وهولندا وانجلترا وفرنسا .

وعندما هزم صلاح الدين الصليبيين فى معركة حطين الخالدة اهتزت أوروبا وعمها الرعب والفزع ووقف ملوكها فلم يقعدوا حتى يغسلوا هذا العار عن جبهتهم ، وقد غفلوا عن أنهم هم المعتدون و أنهم يريدون السيطرة على أرض لا يملكونها ، وأن المسلمين لن يسكتوا على الظلم ، وأن فى صميم عقيدتهم القدرة على استعادة الحق والعودة إلى الله ، وأنهم لم يلبثوا أن وجدوا فى صلاح الدين قائدهم إلى النصر ، ولكن أوروبا لم تسكت ووجدت فى لويس التاسع ملك فرنسا ضالتها ليقود حملة صليبية جديدة توجه هذه المرة إلى مصر بوصفها قلب الأمة العربية فإذا سقط هذا القلب أمكن أن يعودوا مرة أخرى إلى السيطرة ، ولم يلبث لويس أن هزم وسقط وسجن فى دار ابن لقمان ، لقد طاحت رءوس الصليبيين وغمرت دماؤهم ماء النيل وكان لويس يحاول أن ينحاز بطائفة من الفرسان عند إحدى التلال وشهد مصرع فرسانه بين يديه الواحد بعد الآخر ، فلما بلغ به اليأس غايته طالب بالتسليم فاقتيد ومن معه إلى دار ابن لقمان حتى يدفع فديته (أربعون ألف دينار) .

وفى الوقت الذى عامل فيه قادة المسلمين الصليبيين أكرم معاملة كانوا هم سادرين فى ظلمهم وبغيهم . يقول جوستاف لوبون : إن أول ما بدأ به ريكاردوس أن قتل أمام معسكر المسلمين ثلاثة آلاف أسير سلموا أنفسهم إليه بعد أن قطع العهد بحقن دمائهم مما أثار صلاح الدين النبيل الذى رحم نصارى القدس فلم يمسهم بأذى والذى أمد فيليب وقلب الأسد بالمرطبات والأدوية والإرواء أثناء مرضهما .

أما صلاح الدين فإنه عندما استرد بيت المقدس بذل الأمان للصليبيين ووفى لهم بجميع عهوده ورفض مشورة من طلب إليه أن يفعل بهم ما فعلوا بالمسلمين يوم

دخول أول حملة صليبية القدس حيث قتلوا ٧٠ ألفاً من المسلمين ، ولكن صلاح الدين رفض ذلك وأطلق الملك العادل شقيق السلطان ألف رقيق من الأسر ومن على جميع الأرمن وأذن للبطريرك بحمل الصليب وأباح للأميرات والملكة زيارة أزواجهن وأخطر من ذلك كله أن الصليبيين حين عادوا إلى أوروبا كشفوا ضلالة من دعاهم إلى الحرب وقالوا : إن بيت المقدس فى يد المسلمين آمن ، وأنه لم تكن هناك أى حالة من الحالات التى تدعو إلى تجميع الجموع فى تلك الحملات المتصلة وقد قتل رجال الكنيسة هؤلاء الذين كشفوا الحقيقة .

وكان قلب الأسد ملك بريطانيا وقائد الحملة الصليبية قد أصابته الحمى وبات ليله يتقلب فى غمراتها حتى جيىء له بكأس من صلاح الدين فيها شراب قيل له إنه ترياق وشربه وأفاق وشفى به ، وعندما علم أن هذه الكأس أتته من الرجل الذى أتى ليعاقبه أحس أنه أمام رجل أقوى منه وأبسل ، وقال : لقد فعل ما لم أقم أنا ولا غيرى بفعله قط ، هذا رجل لا يمكن أن يختلس أو يعتدى ، وأزمع العودة إلى بلاده وعندما قالوا له : تمضى وتترك القدس فى أيدى المسلمين قال : أما والمسلمون فيهم مثل صلاح الدين ، فالقدس وقبر المسيح فى يده فى أمان : لقد هزمه صلاح الدين بكأس دواء ويومها عرف أن الإسلام قضية عادلة وما دام قضية عادلة فأصحابها مجاهدون .

★ ★ ★

هل يمكن أن يقال : إنه منذ سقوط غرناطة فى أيدى الفرنجة عام ١٤٩٢ بعد مرور ثمانية قرون على سيطرة الإسلام على شبه جزيرة إيبريا (الأندلس) منذ ذلك الوقت بدأت معركة السيطرة على عالم الإسلام والتى امتدت خمسة قرون حتى اليوم فما أن عزلت غرناطة عن سلطان الإسلام ونفوذه السياسى حتى استدارت البرتغال وأسبانيا لحصار عالم الإسلام والزحف على الشمال الإفريقى .

وشنت الحملات على المسلمين الذين خرجوا من ديارهم بعد عمليات التعذيب والتنصير القاسية التى قادها حكام أسبانيا بعد استيلائهم على الأندلس والتى انتهت بركوبهم السفن ذاهبين إلى المغرب وتونس فيما أطلق عليه عمليات (القرصنة) لاستعادة المسلمين أو قتلهم حيث لم يتوقف الغرب عند حد طرد

المسلمين من الأندلس بل تعقبوهم على الساحل الأفريقى فاحتلوا مليلة ووهران والجزائر وسوسة وصفاقس .

وواجه المسلمون ذلك بالجهاد وقادهم عروج وأخوه خير الدين باربا روسا اللذان دافعا ومن معهما عن سفن المسلمين حيث تعاون الأسبان والبرتغاليون فى شن حملاتهم ضد المسلمين ولم يتوقف هذا المد على الساحل الشمالى الأفريقى بل واصلوا سيرهم إلى غانا وعبروا خط الاستواء ووصلوا إلى رأس الرجاء الصالح عام ١٤٩٨ والتفوا شرقاً مع الأسطول البرتغالى فى الهند فى محاولة أطلق عليها « تطويق العالم الإسلامى من الخلف » وقامت القوى النصرانية بالتحالف مع الحبشة المسيحية فى أفريقيا لضرب مكة والمدينة ، لولا يقظة السلطان بايزيد العثمانى .

وقد كونت أفريقيا جماعات الجهاد الإسلامى فى مواجهة الحملات الصليبية وظهرت أسماء زعماء سوكوتو والحاج عمر الفوتى فى السنغال ومحمد الأمين فى غينيا وساموري تورى فى بانجامينا ورابح فضل الله فى تشاد ومحمد حسن فى الصومال الذين وقفوا سداً منيعاً أمام محاولات التنصير وهكذا كان سقوط غرناطة عاملاً قوياً فى تجميع قوى المسلمين ووقوفهم صفاً واحداً أمام هذا الخطر الصليبى .

لقد كانت حركة الاكتشافات الجغرافية خدعة خطيرة تخفى تحتها هدفها الحقيقى : التبشير بالمسيحية الغربية والسيطرة على مقدرات المسلمين والأخذ بثأر الأندلس ؛ وقد تمثلت الأحقاد الأوروبية المسيحية الممتدة فى التاريخ كله منذ ظهور الإسلام فى محاولات البرتغال الالتفاف حول العالم الإسلامى ، والإساءة إلى المشاعر المقدسة فى مكة والمدينة ، إذ كانت البرتغال تحت الحكم الإسلامى قبل القرن الثامن الهجرى ١٤م وبعد تطورها فى المجال البحرى تمركزت الحملات البرتغالية فى الشرق للوصول إلى الموانى الساحلية فى الهند والخليج العربى وتطويق العالم الإسلامى وإنشاء مراكز تجارية تخدم أهداف الاستعمار والنهب العالمى .

ولا يقل البوكرك عن سالفيه حقداً وإجراماً فقد قال عند وصوله إلى ملقا : إن إبعاد العرب عن تجارة الأفاوية هو الوسيلة التى يرجو بها البرتغاليون إضعاف قوة الإسلام ، إننا نعمل على إطفاء شعلة شيعة محمد بحيث لا يندلع لها هنا بعد ذلك لهيب .. وكذبته الأيام وذهب البوكرك وقومه البرتغال والأسبان وبقى الإسلام .

لقد ظنوا أنهم يستطيعون كسر شوكة الإسلام ولكن الله غالب على أمره .

جاءت القوى التى تحاصر الإسلام من الشرق والغرب ومن أقصى الشرق ممثلة فى التتار والمغول الذين خرجوا يحطمون كل ما وقف فى طريقهم لا يردهم شىء حتى دخلوا بغداد فدمروها ومن أقصى الغرب ممثلاً فى الصليبيين الذين دعاهم البابا أربانوس إلى الذهاب إلى بيت المقدس فساروا يحطمون كل شىء حتى دخلوا بيت المقدس فقتلوا سبعين ألفاً فى يوم واحد .

وهكذا تآمرت القوى المعادية للإسلام من الشرق ومن الغرب وزحفت لتحاول أن تلتقى وتضغط وتضع الإسلام والمسلمين بين فكى الكماشة فجرى التآمر بين التتار والصليبيين على حصار المسلمين وكانت المؤامرة التى رسمها اليهود منذ وقت طويل .

ولكن التتار الذين لم ينهزموا قط منذ أن خرجوا من وراء النهر لم يلبثوا أن اصطدموا بحاجز الإسلام القوى فى (عين جالوت) بعد سقوط بغداد بعامين اثنين فارتدوا على أعقابهم وكان العالم كله قد وقف يلتقط أنفاسه حين خيل إليه أن المغول سوف يعبرون إلى أوروبا فيحطمون روما ، ولم تمض إلا عقود قليلة حتى استوعب الإسلام التتار فذابوا فيه .

أما الصليبيون فقد ارتدوا إلى ديارهم خلال قرنين منهزمين ليحاولوا مع الإسلام محاولة جديدة بعد الحرب الصليبية التى فشل فيها ملوك أوروبا وفرسانها لأن تنال شيئاً حتى فاجأت أساطيل البندقية والفاتيكان وأسبانيا ورهبان مالطة ـ فى حلف مقدس ضد الإسلام ـ الأسطول التركى المسلم فى اليونان عام ١٥٧١ وحطمته فحطمت به قوة الإسلام البحرية .

وتتوالى الهجمات الصليبية من الغرب وبعد ثلاثة قرون وللمرة الثانية من تاريخ هجوم الأساطيل الأولى تتضامن أساطيل أوروبا لضرب الأسطول التركى المسلم فى معركة نفارين باليونان .

وفى الجانب الثانى من أوروبا الشرقية نجد (روسيا القيصرية) لا ينقطع دورها عن إثارة الفتن فى دول البلقان وتأليبهم على الحكم التركى المسلم ومدهم بالسلاح بدعوى التخلص من حكم المسلمين .

امتد حكم الدولة العثمانية ستة قرون وربع القرن وامتدت رقعة حكمها من فيينا عاصمة النمسا ، وأوربا الشرقية والشرق العربى إلى حدود المغرب وظهر منها ملوك يفخر بهم الإسلام أمثال محمد الفاتح وبايزيد الذى غزا هنغاريا والنمسا حتى وصلت جيوشه إلى عاصمة النمسا (فيينا) حيث دخلت فى حكمه هنغاريا ورومانيا وبلغاريا واليونان والبوسنة والهرسك والجبل الأسود وجزيرة كريت وألبانيا من البلدان الأوروبية .

لقد تابع الأتراك بعد قيام الدولة العثمانية جهادهم ضد الروم وما لبث الأناضول أن أصبح إسلامياً خالصاً فنقل الأتراك ساحة الجهاد إلى البر الأوروبى محققين للإسلام أمجاداً عظمى ، فى ميدان الحرب والبطولة والحضارة والعمارة ، وأصبحت الدولة العثمانية حامية حمى الإسلام والمدافعة عن شرفه ومقدساته فى البر والبحر .

لقد نشأت الدولة العثمانية إسلامية المنطلق والراية والهلال وأوصى مؤسسها عثمان بن أرطغول ابنه أورخان بأن ينشر الإسلام هداية للناس ويحمى أعراض المسلمين وأن تكون أموالهم أمانة فى عنقه يسأله الله عنها يوم القيامة .

وقد تمكنت الدولة العثمانية فى أقل من قرنين من الزمان أن تمد جناحيها شرقاً وغرباً لتصل إلى أبواب فيينا رافعة راية الإسلام على ما يعرف الآن بدول أوروبا الشرقية واليونان وجزر البحر الأبيض المتوسط وأجزاء من إيطاليا والنمسا وكذلك امتدت إلى شمال القفقاس شمالاً حتى الصحراء الإفريقية جنوباً وحدود المغرب الأقصى غرباً كما أنها وصلت شرقاً إلى بلاد فارس وجبال كردستان .

وهكذا كانت الحروب الصليبية حرباً دينية من ألفها إلى يائها على غير ما يلقنون أبناءنا فى المدارس ، حرباً أعلنها البابا أوربان الثانى فى خطبته التى ألقاها ذات يوم من خريف ١٠٩٥م .

(اذهبوا دفاعاً عن المسيح ، حاربوا الكفار .. تحركوا نحو الفكر المقدس ، انتزعوا تلك الأرض من سلطان الجيش الملعون واحتفظوا بها لأنفسكم ، وفى تلك الأرض يفيض اللبن والعسل فأورشليم أرض الله من أخصب الأراضى وسوف تنتزعون من عدوكم ثروات أعظم وأضخم) .

وقد استطاع البابا أن يوحد شعوب الغرب الأوروبى نحو غاية واحدة رغم

اختلاف تلك الشعوب جنساً ولغة وعادات واهتمامات حيث جمعهم تحت راية الصليب .

يرد اسمه على استحياء متوارياً بين الأسطر حين يتحدث مؤرخونا عن الحرب الصليبية ، ولكن أحداً من المسلمين لم يدرسه أو يؤرخ له .

بدأت الحرب الصليبية من عام ١٠٨٦ ـ ١٢٩٠ لتحقق القضاء على الإسلام فى عقر داره .

ولكن هذه القوى عادت مهزومة كليلة .

★ ★ ★



الباب الأول

المؤامرة على الدولة العثمانية وإسقاط الخلافة

إن الذين يبيعون التاريخ العالمى يدركون أنه منذ بزغ فجر الإسلام بدأت معه الحرب الصليبية التى لم تتوقف عبر التاريخ وحتى اليوم ونحن فى القرن الخامس عشر الهجرى ، بل لا نبالغ إذا قلنا إننا اليوم نواجه إعصاراً عاصفاً تتجمع فيه القوى العالمية كلها على الإسلام فى مخطط خطير يرمى إلى تدميره وتمزيق أمته ومسخ قيمه وأن هذه الحروب الصليبية لم تتوقف عبر هذا التاريخ وإنما اتخذت أشكالاً مختلفة ولم يكفهم هذه القرون الخمسة الأخيرة التى نهبوا فيها ثروات المسلمين وحالوا دون تمكينهم من امتلاك إرادتهم ولا تزال مؤامرتهم متصلة لا تتوقف .

ففى المرحلة الأولى ظهر الخطر من تشكيل الوجود الإسلامى فى مواجهة الدولة البيزنطية إلى أن أحس الرومان بأن انتصار المسلمين فى (ملاذكرد) سيفضى إلى مزيد من التوسع من خلال الحملات الإسلامية على القسطنطينية وهنا بدأت فكرة اقتحام حمى عالم الإسلام بالألوف المؤلفة من حملة الصليب بدعوى تخليص بيت المقدس من المسلمين ، وهو زحف متصل استمر قرنين من الزمان وانتهى كما رأينا إلى هزيمة ساحقة ، ولما عاد المحاربون إلى أوروبا أعلنوا أنهم خدعوا وأن بيت المقدس لم يكن فى حاجة إلى حملات فقد كان آمناً فى حماية المسلمين ورعايتهم .

وجاءت المرحلة الثانية لقيام الدولة العثمانية التى استطاعت أن تقتحم القسطنطينية وتقيم وحدة إسلامية جامعة بين عناصر المسلمين ، وقد امتدت هذه الوحدة إلى تونس والجزائر والتى استطاعت أن تقتحم أوروبا وتسيطر عليها ثلاثة قرون كاملة باسم لا إله إلا الله وتصل إلى أسوار فيينا مرتين .

ولكن الغرب فى تعصبه وحقده على الإسلام لم يتوقف عن اختراع خطط التآمر يوماً واحداً بهدف إسقاط الخلافة الإسلامية .

فخلال هذه القرون (١٥١٧ ـ ١٩١٧) كانت أوروبا تتآمر وتخطط وتتواصى جيلاً بعد جيل أن لا عزة ولا أمن ولا رخاء لأوروبا إلا بالقضاء على هذه القوة الإسلامية المتمثلة يومها فى الأسطول التركى الإسلامى الذى أقض مضاجع أوروبا .

وهل ينسى التاريخ فتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح وجيش الدولة العثمانية الإسلامية تحقيقاً لحديث رسول الله ﷺ : « **لتفتحن القسطنطينية فنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش** » .

وما كان لهذا الفتح من تأثير وردود فعل فى العالم الإسلامى وعلى الفرنج .

ولا شك فى أن ظهور العثمانيين قد ملأ فراغاً فى التاريخ والجغرافيا إذ قد تزامن مع ظهور وانتصار القوى الصليبية فى غرب العالم الإسلامى حيث سقطت الأندلس وكادت تتبعها بقية دول المغرب العربى ولكن فى الوقت الذى سقطت فيه حواضر المسلمين فى الأندلس فتحت القسطنطينية ، وفى الوقت الذى اندفع فيه صليبيو أسبانيا نحو العالم الإسلامى من الغرب اندفع فيه الفاتحون العثمانيون نحو أوروبا من الشرق وهكذا اندفعت دماء جديدة فى الشرايين الإسلامية وبفضلها بقى الشمال الإفريقى على الأقل عربياً مسلماً حتى الآن .

وهكذا نجد العثمانيين لكونهم محاربين من الطراز الأول تدفعهم الحماسة الدينية إلى متابعة الجهاد الإسلامى قد وقفوا وحدهم فى وجه أوروبا وصدوا امتداد الاستعمار الأوروبى إلى قلب الوطن المسلم وحموا قيمه وتقاليده وتراثه وإلا لاغتصبه المستعمرون الأوروبيون فى بداية العصر الحديث وهكذا حين أحس العرب بالتحدى الأوروبى فى القرن التاسع عشر كانت لديهم القاعدة الأساسية للانطلاق نحو المقاومة وتطوير أوضاعهم بما يوائم العصر الحديث .

إن الدولة العثمانية قامت فى غمرة أحداث تاريخية رهيبة لم يشهد المسلمون لها مثيلاً بعد أن زرع المغول والصليبيون الموت والدمار فى ربوع العالم الإسلامى وقد واجهت الدولة العثمانية وصول البرتغاليين الصليبيين إلى شرق الجزيرة العربية ومحاولتهم مرتين عامى ١٥١٧ ـ ١٥٢٠ دخول البحر الأحمر من منفذه الحيوى للاستيلاء على (جدة) والزحف إلى مكة لهدم الكعبة المشرفة ويعتبر هذا الغزو أخطر غزو أوروبى صليبى فى التاريخ الحديث لأقاليم عربية وإسلامية تحت شعار الصليب أو المدفع .

وقد ظلت حالة التهديد الخارجى للكيان الإسلامى قائمة لم تنقطع واستعصت الدولة العثمانية على الهزيمة أمام هذا الخطر لفترة طويلة وكانت منيعة بقدر التزامها بالعقيدة وحين انحرفت عن منهج الله تبارك وتعالى عجزت عن استيعاب المتغيرات والتطورات من حولها .

لقد حققت الدولة العثمانية فى خلال عمرها (١٤١٣ ـ ١٩١٧) أمرين أساسيين :

الأول : حمت الوجود الإسلامى من حملة صليبية شرسة يعدها الغرب ليقتحم عالم الإسلام مرة أخرى وكان أكبر عملها مواجهة البرتغاليين والأسبان فى زحفهم على غرب أفريقيا .

وقد سيطرت على كل الوطن العربى باستثناء مراكش وسدت مداخل البحر الأحمر فى وجه الحملات الصليبية والبرتغالية .

وتصدت للوجود البرتغالى فى الخليج العربى وساندت مسلمى الأندلس الذين تعرضوا للاضطهاد الأسبانى بعد سقوط غرناطة وحررت طرابلس الغرب وتونس والجزائر من الاحتلال الأسبانى الصليبى .

وسيطرت بعض الوقت على الملاحة فى البحر المتوسط .

الثانى : كان الاستيلاء على القسطنطينية والقضاء على الدولة البيزنطية (وهى آخر ما تبقى من الإمبراطورية الرومانية القديمة) عام ١٤٥٣ عندما استولى العثمانيون على شبه جزيرة البلقان وجزر شرق البحر المتوسط وسيطروا على جنوبى روسيا واحتلوا المجر وحاصروا فيينا عام ١٥٢٩ ونزلت القوات العثمانية فى جنوبى إيطاليا عدة مرات .

لقد حمت الدولة العثمانية الأمة الإسلامية أربعة قرون وحمى الوجود الإسلامى التركى شاطىء البحر المتوسط من خطر الغزو الأسبانى الزاحف .

وكان الأتراك العثمانيون قد حطموا الحد الفاصل المنيع بين المسلمين والبيزنطيين وتم إجلاء البيزنطيين عن الأناضول وإبعادهم إلى ما وراء نهر إيجه ، إلى أن تم فتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح عام ١٤٥٣ وكان سلاطين آل عثمان يرون أن أقدامهم لن تستقر فى أوروبا إلا إذا سيطروا على القسطنطينية وروما وذلك لأن القسطنطينية تقع على الممر الوحيد بين أوروبا وروسيا .

وقد ظل الأتراك العثمانيون شديدى الحرص على ذاتيتهم الإسلامية الخاصة وعلى دينهم وتراثهم الذين استقوه من الحضارة الإسلامية التى اختلفت عن الأسس التى قامت عليها حضارة الغرب ولذلك لم يندمجوا فى جيرانهم ورعاياهم الأوربيين.

لقد كانت سيطرة الإسلام على القسطنطينية هى التى فجرت طاقات الغرب كلها فى سبيل الخروج من ظلمة القرون الوسطى بالسيطرة على مقاليد العلوم الإسلامية التى دفعت القوى العسكرية الغربية للزحف على العالم الإسلامى ونهب ثرواته وتراثه .

خطة المؤامرة

بدأت المؤامرة على الدولة العثمانية بعد فتح القسطنطينية واستمرت وكانت تهدف إلى أمرين هما إسقاط الخلافة والقضاء على الدولة وغرس هذا العنصر الغريب فى قلب العالم الإسلامى .

وسار غلادستون على خطا البابا وحمل المصحف فى مجلس العموم البريطانى وقال : لا بقاء لنا ما دام هذا الكتاب باقياً فى الأرض ، وبسبب الأطماع الاستعمارية رسمت المخططات الأوروبية للقضاء على الدولة العثمانية على مدى قرنين من الزمن حيث أخذت أوروبا تغذى النزعات الانفصالية من الداخل حتى أرهقت الدولة العثمانية واستنزفت طاقاتها .

وكانت نزعة الطورانية ، هى الفكرة المسمومة التى دعا إليها أعداء الإسلام واعتنقها رجال الاتحاد والترقى بتأييد الدونمة الذين كانوا يرسمون خطتهم لدخول فلسطين .

وفى السنوات الأخيرة من حكمه عندما كشف السلطان عبد الحميد خطة التآمر ومؤامرة التدمير تركز العمل على التخلص منه ومن الخلافة ومن الدولة العثمانية أساساً وكان احتضانهم للاتحاديين فى محافل الماسونية فى سالونيك بمفاهيم غربية قائمة على إنكار الوحدة الإسلامية وإحياء الطورانية وكان موقف السلطان عبد الحميد حاسماً فى وجه القوى الغربية المتآمرة كلها لإسقاطه لفتح الطريق أمام الصهيونية إلى بيت المقدس .

وقال السلطان عبد الحميد فى وثيقته المشهورة : « إن هؤلاء الاتحاديين قد

أصروا على أن أصادق على تأسيس وطن قومى لليهود فى الأراضى المقدسة ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف وأخيراً وعدوا بتقديم مائة وخمسين مليون ليرة ذهبية إنجليزية ، فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضاً وأجبتهم بالجواب القطعى :

« إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً فلن أقبل بتكليفكم ، لقد خدمت الأمة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة فكيف أسود صحائف المسلمين آبائى وأجدادى من السلاطين والخلفاء العثمانيين ، لهذا لن أقبل بتكليفكم بوجه قطعى . وبعد جوابى اتفقوا على خلعى فقبلت التكاليف وحمدت المولى أننى لم ألطخ وجه الدولة العثمانية والعالم الإسلامى بهذا العار الأبدى » .

وبعد إسقاط السلطان عبد الحميد انتهج الاتحاديون سياسة ديكتاتورية متسلطة وتنكروا لجميع الشعوب العربية التى تعيش فى أحضان الإمبراطورية ، وحاولوا (علمنة) باقى الشعوب بما فى ذلك العرب بعد أن نبذوا دعوة الجامعة الإسلامية ونشطت الدعاية الطورانية فى تركيا والقومية العربية فى الشام .

كان إسقاط الخلافة هو الهدف الأكبر بعد أن أعطاها السلطان عبد الحميد أبعاداً جديدة ، حين دعا إلى إنشاء جامعة إسلامية توحد بين المسلمين كافة فى مشارق الأرض ومغاربها ، وتعبئ الجهود للدفاع عن الخلافة الإسلامية فى وجه أعدائها من الصليبيين على وجه الخصوص ، واجتمع على تأييدها أهل الفكر ورواد الإصلاح وفى طليعتهم جمال الدين الأفغانى الذى وضع أسس الدعوة إلى اتحاد العالم الإسلامى للدفاع عن كيانه والحيلولة دون الانهيار .

وكانت النزعة الإسلامية فى هذا الوقت تطغى على العصبية الجنسية والقومية والوطنية أيضاً .

ومن أجل هذا رحبت الشعوب الإسلامية بسلطان الخليفة التركى وسيادة الدولة العثمانية وسلطان الباب العالى .

ولم يكن هناك خلاف بين المسلمين على تأييد الجامعة الإسلامية وإنما نشأ الخلاف فى شأن ارتباطها بالخلافة ومدى سيادتها على الحكومات الأخرى .

واستطاع النفوذ الغربى العامل على الحيلولة دون وحدة المسلمين أن يوجد قوى تتحدث عن خلافة عربية على النحو الذى دعا إليه عبد الرحمن الكواكبى .

وكذلك ما قامت به من عمل فى سبيل إقامة قوة معارضة للدولة العثمانية من خلال تحويل فارس إلى المذهب الشيعى على النحو الذى حدث بقيادة إسماعيل الصفوى .

لقد تحالفت كل دول أوروبا من أجل القضاء على الدولة العثمانية والخلافة الإسلامية وإقامة جسم غريب فى قلب الوطن الإسلامى بإعطاء وعد بلفور لليهود .

وواجهت الأمة الإسلامية كل محاولات احتوائها وحصارها ، وبعد أن عجز العرب عن السيطرة من طريق الحروب الصليبية بدأت مؤامرة حرب الكلمة وجرى حصار الدولة العثمانية أكثر من مائة عام فى محاولة للقضاء على كيانها وإسقاط الخلافة فى مؤامرة خطيرة بدأت باستعادة الأندلس عام ١٤٩١ وإقامة حصار حول العالم الإسلامى بزحف قوات أسبانيا والبرتغال لحصار الجزائر والمغرب والاندفاع نحو الخليج فالهند فأندونيسيا فى مؤامرة مرسومة تولتها فرنسا وانجلترا بعد ذلك ، وانتهت بإدخال الدولة العثمانية فى أتون الحرب العالمية خليفة لألمانيا لهزيمتها وتقسيم ميراثها العربى بين فرنسا وانجلترا بعد أن استولت بريطانيا من قبل على الهند واستولت هولندا على أرخبيل الملايو .

وكان وعد بلفور أخطر ما فى العملية كلها ، فقد أعطى الصهيونية العالمية حق إقامة وطن قومى فى فلسطين من خلال نبوءات زائفة بامتلاك أرض فلسطين ومن أجل قيام كيان غريب فى قلب الوطن الإسلامى يرمى فى النهاية إلى إقامة هيكل سليمان ودولة صهيونية من النيل إلى الفرات .

وقد جاءت كل عمليات تدمير الكيان الثقافى الإسلامى من خلال الاستعمار والرأسمالية والقومية والماركسية كوسيلة للسيطرة على الوطن الإسلامى والحيلولة دون امتلاك أهله المسلمين لإرادتهم .

وجاءت الصهيونية لتعلن أنها الوريث للاستعمار الغربى وقداتخذت من الماركسية منطلقاً لتحقيق أهدافها .

وكانت الماسونية قد استطاعت أن تسيطر على أكثر المواقع عن طريق بعض المسلمين الذين دخلوا فيها .

ثم اتسع نطاق العمل من خلال مفاهيم العلوم الاجتماعية والإنسانية وظهور الوجودية والفرويدية ومفاهيم دارون ودور كايم وسارتر وفرويد الذين أعلنت

بروتوكولات صهيون أنهم من اليهود وأنهم يؤدون دورهم فى اهتمام شديد لتدمير الإنسان (الجوييم) الأميين من غير اليهود والعمل على هدم الأسرة المسلمة والمجتمع المسلم وفتح الطريق أمام الكشف والإباحة وإدخال الشباب المسلم فيها لتدميره ولتحطيم عوامل المناعة والمقاومة فى الجسد الإسلامى له .

هذا فضلاً عن الآثار الخطيرة أحدثتها الصهيونية فى السيطرة على الاقتصاد العالمى وفرض نظام الربا والعمل على حجب الشريعة الإسلامية وفرض القانون الوضعى .

وقد تبين أن الصهيونية كانت من وراء جميع المخططات [التغريب ـ الغزو الثقافى ـ الشعوبية] التى اتسع نطاقها فى العقود الأخيرة ، وكانت الدعوة إلى القوميات هى منطلق هذا العمل والعمل على إحياء العنصرية والمذاهب والنحل الطائفية سواء أكانت دينية أم وطنية وإحداث الصراعات المختلفة بين العرب والفرس وبين المسلمين والنصارى وبين الموارنة والعرب .

وكانت أخطر محاولة لتدمير كيان الوجود الإسلامى هى هدم الوحدة الإسلامية والقضاء على روح الجهاد والمقاومة التى رسم الإسلام منهجها فى حالة اعتداء العدو على أرض الإسلام .

وقد جر ذلك احتواء مناهج الدراسة ورفع ما يتصل منها بمواقف الصراع الحاسم بين الإسلام والصليبيين ، والاستعمار ، والصهيونية وتغييب أسماء الأبطال الذين حملوا لواء المقاومة والدعوة إلى تقبل مفاهيم تحديد النسل والعمل على احتواء الصحوة الإسلامية وضرب القوى الإسلامية بعضها ببعض .

* * *

الحملة الفرنسية أضخم خطط المؤامرة

فى إبان هذه المعركة الدائرة بين النفوذ الغربى ودولة الخلافة حيث ترسم المخططات المختلفة كانت خطة إرسال الحملة الفرنسية إلى مصر فى محاولة للسيطرة على هذه المنطقة الحساسة التى هى موقع الصراع القادم بعد تمكين الصهيونية العالمية من السيطرة عليها .

كانت الخطة المرسومة ترمى إلى زحف الحملة الفرنسية إلى مصر كمقدمة للسيطرة على هذه المنطقة التى تربط آسيا بأفريقيا فى أدق مكان وأخطره وكان اليهود وراء الخطة أساساً .

وكانت لها سوابق كثيرة تتمثل فى خطابات قدمها علماء وفلاسفة وساسة غربيون لقادتهم يغرونهم فيها بغزو الشرق حيث يقول الكاتب الألمانى لينبتز فى خطابات إلى لويس الرابع عشر فى ١٥ مارس ١٦٧٢ :

« أريد أن أتحدث إليكم فى موضوع غزو مصر ولا يوجد بين أجزاء الأرض بلد غير مصر يمكن السيطرة منه على العالم كله وعلى تجارة الدنيا بأسرها ، لقد كانت فى ماضى الأيام مهداً للعلوم ومحراباً لنعمة الله ولكنها اليوم معقل للديانة المحمدية التى تغدر بنا . ولأى داع تخسر المسيحية تلك الأرض المقدسة التى تصل آسيا بأفريقيا والتى جعلت منها الطبيعة حاجزاً بين البحر الأبيض والبحر الأحمر ومدخلاً لبلاد الشرق بأجمعها ومستودعاً لكنوز أوروبا والهند .

وإذا كانت القسطنطينية قلعة لجيوش الإمبراطورية العثمانية إلا أن الهجوم المباغت لن يترك لها فرصة النجدة لبعد الشقة بينها وبين أوروبا ، ومصر تكتنفها صحراوات فسيحة فلا يمكن إغاثتها بالجيوش .

ولذلك فإنكم حينما تغزون مصر ستقضون على الامبراطورية التركية القضاء المبرم وتسيطرون على بحار الهند وما يوجد فيها من ذخائر لا تقع تحت حصر» .

ماذا يمثل هذا النداء ؟ :

١ ـ التخلص من الدولة العثمانية أساساً .

٢ ـ التخلص من الديانة المحمدية (الإسلام) .

٣ ـ استعادة مصر إلى الغرب وامتلاك موقعها الخطير .

★ ★ ★

كان هدف الحملة الفرنسية هو تدمير القوة الفكرية والاجتماعية التى أحدثها الأزهر الشريف فى المنطقة العربية كلها ، فقد كان المسلمون قد بدأوا نهضة جديدة نحو إحياء الإسلام فى مفهومه الصحيح وإحياء اللغة العربية باعتبارهاأداة القرآن الكريم .

وكانت وراء الغرب تجربة الحروب الصليبية التى انتهت بهزيمتهم وسيطرة المسلمين على القسطنطينية وزحفهم إلى قلب أوروبافكان لابد من مخطط جديد ، كان ذلك هو تطويق عالم الإسلام من خارجه من الهند وأندونيسيا .

وكان الغرب يهدف إلى عدة أمور :

أولاً : تحطيم هذه النهضة الجديدة باحتوائها وتدمير مقوماتها باقتحام الأزهر بالخيل وتمزيق كل كتبه وتراثه والقضاء على علمائه ودعاته .

ثانياً : السيطرة على التراث الإسلامى كله وجلبه إلى الغرب .

ثالثاً : ضرب مقومات الإسلام بإشاعة الشبهات حول القرآن والسنة واللغة العربية والتاريخ .

ومن هنا كانت حملة نابليون عام ١٧٩٨ أولاً على مصر والسيطرة الفكرية عليها ثم توجيه محمد على إلى هدم دعوة التوحيد فى قلب الجزيرة العربية ، وكانوا قد أرسلوا أتباعهم يتدسسون فى سواحل الجزيرة العربية الشرقية ، وأعدوا الاتحاديين فى الدولة العثمانية بالعمل مع المحافل الماسونية فى سالونيك لإعداد العدة للانقضاض الغربى فى ١٩٠٨ .

ولم يمر أكثر من أربعة قرون على فتح القسطنطينية حتى كانت رسالة التحريض التى كتبها الفيلسوف ليبنتز ١٦٧٢ (المتوفى ١٧١٦) إلى بلاط لويس الرابع عشر يحرضه على السيطرة على مصر ، وقد تنوقلت هذه الرسالة حتى وصلت إلى نابليون .

(إنكم جميعاً تضمنون بذلك بسط سلطان فرنسا وسيادتها على بلاد المشرق وعلى دار الإسلام إلى ما شاء الله وتكسبون عطف المسيحية وتسمعون ثناءها وهنالك لا تخسرون عطف أوروبا بل تجدونها مجمعة على الإعجاب بكم) .

والحقيقة أن وراء هذه الدعوة القوى المفكرة فى أوروبا وهى الصهيونية التى كانت تمهد :

١ ـ للسيطرة على بيت المقدس .

٢ ـ لإسقاط الخلافة الإسلامية .

٣ ـ لإقامة هيكل سليمان .

وتؤكد كل الوثائق على أن الثورة الفرنسية ما جاءت لتفتح أبواب التقدم أو لإطلاقها من عقالها بل جاءت لتدميرها .



ودخلت الخيل الأزهر

ولذلك نجد نابليون حريصاً على أن يرسل إلى مصر فرقة من الممثلين لتعليم أهل البلاد شيئاً جديداً من العادات الغربية بل لقد كانت خطته ترمى إلى :

نقل ٦٠٠ شخص من المماليك إلى فرنسا يحتجزون فيها سنة أو سنتين يشاهدون خلالها عظمة الأمة الفرنسية ويعتادون على تقاليدنا ولغتنا وعندما يعودون إلى مصر يكون لها منهم (حزب) يضم إليه غيرهم .

أما الجوقة التمثيلية فهى ضرورية للبدء فى تغيير تقاليد البلاد ، والحق أن حملة نابليون كانت بمثابة الإعلان عن نذير الخطر فى العرب من نهضة دار الإسلام وهو ما دفع نابليون إلى الهجوم بغتة على دار الإسلام فى مصر لوأد اليقظة والنهضة فى مهدها قبل أن يشتد عودها ويستفحل .

وكان علماء الأزهر وفى مقدمتهم : (الشيخ الشرقاوى والشيخ السادات) قد قاموا بالاستجابة لمظلمات الأهالى فى حادث بلبيس ١٧٩٤ قبل الحملة الفرنسية بثلاث سنوات ضد الألفى وأتباعه من حكام مصر ، مما يوحى بوجود رأى عام

إسلامى ينصر المظلومين ، ويفرض على الحكام الالتزام بالعدل وقد كان هؤلاء العلماء وعلى رأسهم عمر مكرم غصة فى حلق نابليون منذ عارضوه ورفضوا عضوية الديوان وألقى أحدهم الشارة الفرنسية تحت قدميه .

ولما اختار المصريون بزعامة عمر مكرم محمد على حاكماً عمد القناصل إلى إيغار صدر محمد على على المشايخ والقادة وخوفوه عاقبة سلطانهم على جماهير الأمة . ومضى محمد على بتحريض من القناصل إلى تدمير اليقظة التى قامت فى جزيرة العرب .

وأدركت المسيحية والغرب مأربهما فى أمرين :

١ ـ القضاء على الوهابية .

٢ ـ القضاء على علماء مصر وإرسال البعثات إلى أوروبا كمقدمة للعمل على تفكيك دار الإسلام بما يسرع فى انهيار الخلافة على حد تعبير ـ الأستاذ محمود محمد شاكر .

ولما فرغ محمد على من تحطيم اليقظة فى جزيرة العرب ١٨١٩ كان جومار صاحب فكرة البعثات إلى أوروبا لتنفيذ مشروع نابليون قد أرسل إلى كليبر فى أن يجمع من ٥٠٠ إلى ٦٠٠ يبعثون إلى فرنسا لتكوين حزب للفرنسيين فى مصر .

وسافر شباب على رأسهم رفاعة الطهطاوى استجابة على اعتياد لغة فرنسا وتقاليدها فإذا عادوا كانوا حزباً لفرنسا وعلى مر الأيام يتولون المناصب .

ويقول الأستاذ شاكر : إن رفاعة الطهطاوى كان صيداً سميناً تلقفه المسيو جومار بخبرته وحنكته وقد حقق رفاعة للمستشرقين أهم ما يتوقون إليه من وأد اليقظة الواحدة المتماسكة التى كان الأزهر مركزها منذ عهد (البغدادى والزبيدى والجبرتى الكبير) .

لقد أحدث رفاعة صدعاً مبيناً فى ثقافة الأمة وقسمها إلى شطرين : الأزهر من ناحية ومدرسة الألسن من ناحية أخرى ، وأعان على العامية والشرائع الأجنبية ونمت المدرسة الجديدة ومضى الأزهر يرسف فى أصفاد ، وهكذا بدأ إخضاع الثقافة الإسلامية للثقافة الغربية دون أن يمكن للأمة الإسلامية من أن تدافع عن نفسها .

ولما جاء الإنجليز أخذوا يدمرون ثقافة مصر الإسلامية ويقيمون نظاماً ثقافياً قاده

دنلوب حيث أجرى عملية التفريغ الكامل لطلبة المدرسة المصرية وأعلى شأن اللغة الإنجليزية والثقافة الإنجليزية .

وعزل التلاميذ عن ماضيهم الإسلامى وعن اللغة العربية وأعلى شأن الفرعونية وعلوم الغزاة ومفاهيمهم وفلسفتهم .

* * *

ولقد حمل علماء نابليون معهم فكرة الثورة الفرنسية التى كانت أساساً من نقطة إنكار الدين جملة وهو الفكر الذى بلور فكر أوربا كلها فى القرنين ١٧ ، ١٨ القائم على تأسيس مبدأ دنيوى خالص يقوم على إنكار الدين ورفع شعار (إنما يصنع الإنسان نفسه عالمه) ويدعو إلى انطلاق الفرد نحو الرغبات والشهوات ورفض كل ما يقف فى سبيل حرمانه منها .

لقد جاء نابليون إلى العالم الإسلامى يحمل مبدأ (التقدم) فى صورته كما تخيلها الأوربيون ويؤكد بشدة الجانب المادى من التقدم .

وقد أقر الجبرتى بأن الفرنسيين دهريون معطلون للميعاد والحشر منكرون لله وللنبوة والرسالة جاحدن إلا أنهم يجتهدون فى الأخذ بأسباب العلوم الحديثة .

ومن نقطة الحملة الفرنسية بدأت كل محاولات تمزيق الوحدة الإسلامية والجامعة الإسلامية وإعلاء شأن الإقليم والقوم ، وقد قام محمد على بتنفيذ هذا المخطط الذى يرمى إلى هدم الوحدة الجامعة ، وبدأ إنشاء الإرساليات التبشيرية فى بلاد دولة الخلافة العثمانية وكان لها أكبر الأثر على الناشئة من المسلمين .

وكان محمد على امتداداً لنابليون فى مصر وكانت مبادئ العلمانية التى أرساها نابليون ومكن لها محمد على بعد ذلك قد قوض سلطة الأزهر وأضعفت نفوذ الدين وعلماء الإسلام .

وجاء إسماعيل فألغى المحاكم الشرعية وترجم رفاعة القانون الفرنسى المدنى والجنائى إلى اللغة العربية ١٨٦٣ .

ولعل هذا الذى قدمناه يؤكد بطلان دعاوى خصوم الإسلام من أن الحملة الفرنسية كانت عامل نهضة وتقدم ، ذلك لأنها فى الحقيقة هدمت النهضة القائمة وفتحت الباب واسعاً أمام الغزو الفكرى والقضاء على نفوذ الإسلام والأزهر ، وكان

عصر محمد على وإسماعيل امتداداً للنفوذ الغربى والفرنسى بالذات من حيث تحقيق كل الأهداف التى وسدت للاستعمار البريطانى ١٨٨٢ .

ولاشك فى أنه من الأكاذيب المضللة ما قاله البرت حورانى ولويس عوض وغيرهما من أن الحملة الفرنسية هى بداية التاريخ العربى الحديث .

* * *

الاستعمار البريطانى

أخذ الغرب يسيطر على أقطار الدولة العثمانية واحداً بعد الآخر فكان الاستيلاء على مصر والسودان وتونس ، بعد سقوط الجزائر ١٨٣٠ ، وذلك إلى أن تمت السيطرة على سوريا والعراق وفلسطين بعد نهاية الحرب العالمية الأولى وتقسيم الإمبراطورية العثمانية فى معاهدة (لوزان) .

ولا ريب فى أن كثيراً من الأوضاع الخطيرة التى تمر بها الأمة الإسلامية إنما كانت ثمرة لمخططات رسمت منذ وقت بعيد ونفذت بدقة خلال فترة الاحتلال الأجنبى الذى سيطر بعد تمزيق الدولة العثمانية وخاصة فى منطقة ما حول البحر الأبيض بوصفها المنطقة المتاخمة للغرب والتى كان النفوذ الأجنبى يطمع فى استعادتها بعد الحرب الصليبية ولما أعادها أعلن كبيرهم أن الثأر من هزيمة الغرب فى هذه الحروب قد تحقق وعلى الغرب فى هذه المرة أن يثبت وجوده .

كانت الحملة الفرنسية ، وتبعية محمد على وأبنائه للغرب مقدمة لسيطرة الاستعمار وقيام الاحتلال (البريطانى – الفرنسى ـ الإيطالى) على المنطقة العربية.

وكانت حروب محمد على فى مواجهة الوهابيين تحقيقاً للتخطيط الذى رسمه المستشرق الفرنسى الكونت فولى والذى كان ينادى بأن السيطرة على الشرق لا تتم إلا بعد الاستيلاء على مصر والشام وتحطيم الخلافة العثمانية ، وعندما أحس الغرب بأن محمد على يحاول أن يتجاوز المخطط تزعمت بريطانيا دول أوروبا سنة ١٨٤٠ وحرضتها على الوقوف فى وجهه والحيلولة بالقوة دون استكمال فتوحاته لسائر الدول العربية وحطمت أسطوله فى نفارين وفرضت الدول على محمد على المعاهدة التى أصبحت بها مصر ولاية يتوارثها بنوه .

وكانت سيطرة القناصل مستمرة حتى وقع إسماعيل فى معركة الديون التى مهدت للاحتلال ١٨٨٢ وسيطرة الإنجليز مباشرة على كل شىء وعلى التعليم خاصة إلى أن جاء دنلوب (١٨٩٧) ليضع لمصر نظام التعليم الجديد الذى لا تزال تسير عليه .

وتحولت البعثات من فرنسا إلى بريطانيا .

وبالرغم من تباين ردود الفعل إزاء الاستعمار فى مختلف بلاد الإسلام فإن هناك سياسة مشتركة لضرب جذور الإسلام وقد استعان النفوذ الأجنبى بالعناصر ذات الطابع العرقى فى المجتمعات الإسلامية وتوجيهها لتكون عاملاً من عوامل الاستقرار .

(الموارنة فى لبنان ـ الأشوريون فى العراق إلخ) .

وجاء الموارنة إلى مصر ليتسلموا الصحافة بهدف إسقاط الخلافة وإقامة الدولة القومية ، وإفساح المجال للفكرة الصهيونية ، وجرى البحث عن نصوص من كتب التاريخ لإيقاد نار الحملة على الدولة العثمانية ، من أجل إفساح الطريق لليهود إلى بيت المقدس . ومهاجمة العثمانيين والمماليك واستقطاب رأى ظالم من خلال الكتب المدرسية والصحافة والعمل على إيقاع الخلاف وإشعال الصراع بين العرب والترك والإيرانيين وخلق قوى جديدة تحت اسم الإقليمية (الحزب القومى السورى) والقومية ، البعث وساطع الحصرى .

كان القضاء على الوحدة الإسلامية الجامعة المتمثلة فى الخلافة والدولة العثمانية هو الهدف الأكبر وذلك بإثارة حملة شديدة على العرب ووصفهم بالبداوة ، وعلى الإسلام ووصفه بالتخلف ، ووصف الأتراك بأنهم تتار ، وتحقير رجال الأزهر والإسلام عموماً ووصفهم بالجمود والرجعية .

وقد قاد كرومر حملة ضارية على الإسلام والشريعة واللغة العربية ودعا إلى نظام جديد للتعليم قام على تنفيذه القس دنلوب الذى وضع مخططاً نفذه فى خلال ربع قرن من سنى بقائه فى مصر لتكوين قيادات مصرية ذات ولاء غربى بريطانى (من المتفرنجين) فى ثلاث مجالات : الصحافة والتعليم والقانون .

وقد أمكن إسلام قياة هذه القوى الثلاث إلى لطفى السيد وسعد زغلول وعبد العزيز فهمى .

وكان القانون الوضعى الفرنسى قد ترجم فى أواخر عصر إسماعيل ووضع موضع التنفيذ فى نظام القضاء المختلط فى المحاكم حيث جرى تطبيقه على الأجانب المتعاملين مع المصريين .

ثم نفذ فور احتلال بريطانيا لمصر وأصبح هو القانون المطبق على المصريين ، حيث اختفت الشريعة الإسلامية من جميع المعاملات .

وفرض فى نفس الوقت النظام الاقتصادى الغربى القائم على نظام الربا وحل محل الشريعة الإسلامية فى المعاملات التجارية .

كذلك فقد أعدت البلاد لاستقبال النظام الديمقراطى السياسى من خلال قيام الأحزاب السياسية وخلق جو الصراع الحزبى بين القيادات السياسية التى تتولى الحكم .

وصبغ الجو السياسى والاجتماعى والتعليمى بطابع العلمانية وحذف من المناهج كل ما يتصل بالدين والقرآن والسنة والنظم الإسلامية ، ووضعت الإقليمية أساساً للفكر السياسى ، وأقيمت بعد ذلك مفاهيم القومية على نفس النسق الذى قدمه الفكر الغربى .

وخاض المجتمع المصرى ألواناً من الصراع من خلال المصرف والمحكمة والمدرسة جميعاً وكان للقانون الوضعى فى مجال الاقتصاد والعقوبات والمعاملات الاجتماعية نفوذه المسيطر على مختلف العلاقات بين الرجل والمرأة والآباء والأبناء .

وشاعت روح الحرية المنطلقة حيث لا عقاب على المخالطة المحرمة ما دامت بقبول من الواقعين فيها .

وترجمت فى نفس الوقت قصص الجنس والعرى والإباحة وكان لها أبعد الأثر فى سلوك الفتيات والفتيان وفى انهيار سلامة الأسر والمجتمع .

ومنذ جاء الاحتلال ١٨٨٢ فقد بدأ عصر التحول إلى العلمانية الذى قاده سعد زغلول والذى بدأ بثورة ١٩١٩ وانتهى بسقوط النظام الحزبى السياسى عندما حدثت حركة الجيش ١٩٥٢ .

وانتهى الوضع السابق الذى كان مرتبطاً بالخلافة والإسلام وبدأت مفاهيم

سياسية مفرغة من الاعتقاد ، وقام النظام الحزبى من خلال تجمع حزب الوفد ثم تمزق إلى أحزاب مختلفة .

وكان ظاهره الاختلاف مع الانجليز وباطنه الولاء لهم وفى هذا العهد تم توقيع معاهدة ١٩٣٦ .

وكان النظام السياسى فى هذه المرحلة يقوم على أساس الخضوع الكامل لفكر الغرب الاستعمارى وللنفوذ البريطانى على أساس :

١ ـ تنفيذ القانون الوضعى وحجب الشريعة الإسلامية .

٢ ـ قيام النظام المصرفى الربوى وحجب مفاهيم الإسلام فى الاقتصاد .

٣ ـ قيام النظام العلمانى فى التعليم وحجب النظام الإسلامى وحكمت أسرة محمد على (١٨٣٠ ـ ١٩٥٢) حتى جاءت حركة الجيش وكان أكبر أحداث هذه الفترة : وعد بلفور الذى أعطى الصهيونية حق السيطرة على فلسطين ١٩٤٨ ثم استيلاءهم على القدس ١٩٦٧ .

كما كان من أكبر أحداثها : الانفصال عن السودان وسيطرة بريطانيا عليه .

★ ★ ★

وكانت الصحافة الموالية للاحتلال البريطانى تتمثل فى مجموعة من المارون أعداء الإسلام والخلافة الإسلامية والدولة العثمانية ولاهم لهم إلا تذكير المصريين بمجد الفراعنة وهدم الصورة الشامخة لعلماء ومفكرى وقادة المسلمين ومسخها وذلك بمقارنتها بالشخصيات الأجنبية :

صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد .

أبو العلاء وملتون .

ابن خلدون وهربرت سبنسر .

وكان هدفهم هو الترويج للماسونية ولنظرية دارون وهدم اللغة العربية والادعاء بأن الشخصيات الغربية تتفوق على نظائرها الإسلامية وكانت هجماتهم على الجامعة الإسلامية عنيفة (صروف ونمر ومكاريوس ، وتقلا وجورجى زيدان) .

كان « المقطم » لسان حال الإنجليز فى السياسة والاقتصاد .

و « اللطائف » تحمل راية الإلحاد ونشر التعاليم السرية للماسونية .

كان الهدف هو احتواء العالم الإسلامى ـ ومصر فى المقدمة ـ فى الفكر العلمانى الغربى وفى الفكر القومى لهدم الوحدة الإسلامية ، وإسقاط المجاهدين الوطنيين الأصلاء وإعداد كادر آخر من أهل التبعية من القابلين لسيادتهم وسيطرتهم على المسلمين وقد حيزت لهم ثروات بلادهم وقيادها على طول الخط مع الخضوع للفكر الغربى وخططه فى تغريب الإسلام واللغة العربية .

لقد كانت مرحلة النفوذ الأجنبى خطيرة وقاسية .

★ ★ ★

تصفية الامبراطورية العثمانية

أمضى الغرب سنوات طويلة فى المؤامرة لتصفية الامبراطورية العثمانية وإلغاء الخلافة الإسلامية وفتح الطريق للصهيونية إلى القدس الشريف .

لقد كانت الخطة هى تشكيل التصور العلمانى من خلال الاتحاديين الذين تربوا فى المحافل الماسونية وخاصة فى سالونيك بعيداً عن رقابة الدولة لتنفيذ مخطط تدمير الرابطة الإسلامية التى قامت على أساسها الدولة العثمانية جامعة بين العرب والترك والتى كانت فى عهد السلطان عبد الحميد تعمل على أن تكون رابطة المسلمين جميعاً ولذلك فقد كان الهدف الأول هو إسقاط السلطان عبد الحميد بالمؤامرة الخسيسة التى رسمت خيوطها القوى الصهيونية وتولية الاتحاديين الحكم فى تركيا عام ١٩٠٩ تمهيداً لفتح باب تمزيق الدولة وهو ما سعت إليه السلطات الاتحادية التى أوجدت صراعاً بين العرب والترك وأعلت من شأن الدعوة إلى الطورانية فى سبيل إنشاء صراع مع العرب والعروبة ، وكانت عمليات شنق الوطنيين السوريين مقدمة لهذا العمل ، ومنها بدأت تركيا فى فتح الطريق أمام اليهود إلى فلسطين ، وتسليم طرابلس الغرب لإيطاليا ورسم المخطط الذى وقفت فيه الدولة العثمانية فى صف ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى والذى انتهى بهزيمة المعسكر المعارض لتحالف بريطانيا وفرنسا ، وكانت أول أعمال الهدنة بعد الحرب تقسيم الدولة العثمانية فى مؤتمر لوزان .

وتمت هذه الخطة على جزءين : الجزء الأول المتعلق بالقسم الأوروبى وقد منح الاستقلال : لأرمينيا ، كردستان .

أما الجزء العربى فقد أعلن عن انتداب فرنسا وبريطانيا وإيطاليا على كل من سوريا والعراق وفلسطين ومراكش وتونس وليبيا .

مع وضع نظام الامتيازات وحماية الأقليات .

على أن تبقى تركيا فى المنطقة التركية بعاصمتها أنقرة ، ومهد هذا لاستيلاء مصطفى كمال أتاتورك على الدولة الجديدة حيث أقام نظاماً علمانياً مغايراً تماماً للنظام القائم فى الدولة العثمانية ومرتبطاً بالعلمانية والنظام الغربى فى محاولة كاسحة لإلغاء التعليم الإسلامى واللغة العربية والقرآن وإلغاء الشريعة الإسلامية .

وقد نصت المعاهدة على إنهاء حالة الحرب وإعادة حالة السلام إلى تركيا وتنازل تركيا عن جميع حقوقها فى الأراضى الواقعة خارج الحدود وكذلك تنازلها عن مصر والسودان وحقوقها وامتيازاتها فى ليبيا .

وهكذا تم تصفية الامبراطورية العثمانية تصفية نهائية ووضعت العراق تحت الانتداب البريطانى وسوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسى وإقامة نظام خاص فى فلسطين يحقق وعد بلفور .

★ ★ ★

وقد نجح النفوذ الأجنبى فى إقرار شروط الصلح الذى عقده الحلفاء مع تركيا المعروفة بشروط كرزون وهى :

- قطع كل صلة بالإسلام .
- إلغاء الخلافة .
- إخراج أنصار الخلافة والفكرة الإسلامية من البلاد .
- اتخاذ دستور مدنى بدلاً من دستور تركيا القديم .

وقد استولى مصطفى كمال أتاتورك عام ١٩٢٢ على السلطة وصارت تركيا جمهورية (لادينية) وأسقطت الخلافة عام ١٩٢٤ .

وكان إسقاط الخلافة الإسلامية حدثاً ما زال فى حاجة إلى دراسة واسعة وتقييم كامل ، وقد جاء إلغاء الخلافة فى أعقاب رفض السلطان عبد الحميد بيع فلسطين لليهود وتهديد الزعيم اليهودى فرضوا رئيس المحفل الماسونى فى سالونيك له بقوله للخليفة :

- سترى كم يكلفك هذا الرفض .

وكانت الخلافة العثمانية الإسلامية على الرغم من ضعفها وتعثرها هى الراية التى اجتمع عليها المسلمون والتفوا حولها ، وهى الرباط الوحيد الذى كان يجمع بين المسلمين فى العالم والذى انقطع بعد إلغاء الخلافة ، فتمزقت الأمة الإسلامية الواحدة إلى أكثر من خمس وأربعين دولة ، وبعد أن هزمت تركيا فى الحرب العالمية الأولى اندفعت جيوش أوروبا المسيحية إلى احتلال العراق وسوريا ولبنان وفلسطين والأردن وليبيا وأقاموا كياناً أساسه الحقد والتآمر فى فلسطين .

وقادت تركيا الكمالية حركة العلمانية التى أقامها مصطفى كمال والتى بدأت بإلغاء الشريعة الإسلامية عام ١٩٢٢ فى مصر وسقوط الخلافة ١٩٢٤ فكانت أكبر طعنة وجهت إلى قلب الإسلام وقد سقطت بعد صدور وعد بلفور ١٩١٧ ببضع سنين .

وجاء القضاء على الخلافة الإسلامية أساساً نتيجة لخطة صليبية يهودية بدأت عشية انتهاء الحروب الصليبية ٦٩٠ هـ .

وكما يقول مؤرخهم دروجوفار الذى ذكر أن أصل العداوة المزمنة التى يشعر بها الأوروبيون للأتراك راجع إلى العداء الشديد بين النصرانية والإسلام ، ومن هنا كانت الخطة التى أحكمت بين الكنيسة واليهود والتى تكونت من عدة عناصر منها إلغاء اللغة العربية والشريعة الإسلامية ومنع حجاب المرأة وإعدام مئات من العلماء المسلمين .

وكم آلم النفوس وأثار المشاعر أن تسقط هذه القلعة الكبيرة من قلاع الإسلام بأيدى أبناء الإسلام ومن خلال مؤامرة ضخمة واسعة الأطراف حتى وصفها شوقى :

عادت أغانى العرس رجع نواح	ونعيت بين معالم الأفراح
كفنت فى ليل الزفاف وثوبه	ودفنت عند تبلج الإصباح
شيعت من هلع بعبرة ضاحك	فى كل ناحية وسكرة صاح
ضجت عليك مآذن ومنابر	وبكت على ممالك ونواح
الهند والهة ومصر حزينة	تبكى عليك بمدمع سحَّاح
والشام تسأل والعراق وفارس	أمحى من الأرض الخلافة ماح

ولا أحد يستطيع أن ينكر أن الدولة العثمانية كان لها فضل الدفاع عن الإسلام فترة طويلة من الزمن امتدت حوالى خمسة قرون ويزيد غير أنها بعد أن حاصرها الغرب وتغلب عليها وسبقها فى مجال القوة العسكرية والقدرة الحربية ضعفت ولم تستطع المقاومة .





الباب الثانى

رأس جسر فى قلب الإسلام
بعد إسقاط الخلافة الإسلامية

تكاد تجمع الوثائق الصحيحة الآراء المبرأة من أهواء السياسة العالمية على أن دور اليهود والماسون فى إسقاط الدولة العثمانية والخلافة العثمانية حقيقة لاشك فيها ، وكان من أخطر ما قامت به هذه القوى هى تلك الحملة الضخمة الظالمة على الدولة العثمانية ، وأسوأ ما فى ذلك كله اعتناق بعض التغريبيين العرب والمسلمين لهذه الآراء وترويجها ، بينما الواقع التاريخى المنصف يؤكد أن الدولة العثمانية قامت بأفضل ما تستطيع عمله لمجابهة التيارات الغربية والحفاظ على وحدة الأمة وعلى وحدة لغتها ومقدساتها .

ولقد قامت الدولة العثمانية بعمل كبير كان أبرزه تجميع المسلمين وتأكيد وحدتهم والحفاظ على وجودهم وحمايتهم ، فقد تصدت للوجود البرتغالى فى الخليج وفى المياه الشرقية وساندت مسلمى الأندلس الذين تعرضوا للاضطهاد وحررت طرابلس الغرب وتونس والجزائر من الاحتلال .

وسيطرت بعض الوقت على الملاحة فى البحر المتوسط .

ولقد كان موقف الدولة العثمانية من العرب موقفاً عادلاً وسمحاً ، ولم تظهر المفاهيم القومية إلا بعد استيلاء الاتحاديين على السلطة من خلال المؤامرة التى رسمتها الصهيونية والكنيسة .

ولم يطلق ذلك فى يوم من الأيام على هذه العلاقة كلمة "استعمار أو قرصنة أو تحرير إلا عندما أطلق الاستشراق والتغريب .

ولم تكن الدولة العثمانية فى أية لحظة تتحدث بهذا البعد الإقليمى أو القومى ، ولقد بقيت المدارس تدرس اللغة العربية وليس التركية طيلة سبعة قرون من حكم

العثمانيين للبلاد العربية . وكانت جهود الدولة منصبة على الرد على توسعات البرتغاليين وسواهم ، وأن الدولة العثمانية كانت تطالب بحماية المسلمين ليس فى مناطق نفوذها فحسب بل وفى بلاد أخرى بعيدة كالهند ، ولقد حافظت الدولة العثمانية على وضع المنطقة ولم تساهم فى تقسيمها غير أن الضعف العام والمعاهدات والارتباطات المتنوعة هى التى أرهقت كاهل الدولة العثمانية .

ولا ريب فى أن كان دور العثمانيين فى الصراع مع القوى الزاحفة كالبرتغاليين حاسماً ، وكان البرتغاليون قد عقدوا العزم على فرض سيطرتهم مصممين على ردهم عن هذه المنطقة لحماية وحراسة الحرمين الشريفين ، والحيلولة دون وقوع طريق نقل السلع الشرقية إلى الغرب فى أيد غير إسلامية .

وإن الموقف الحازم من العثمانيين حال دون وقوع الحجاز والبصرة فى أيدى غير المسلمين ، فبقيت تلك المناطق تحت الإشراف العثمانى فكان لهم التفوق فى البحر الأبيض المتوسط ، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يحققوا ذلك فى بحر الهند .

وكان دور الدولة العثمانية فى الخليج لا ينفك عن رسالتها فى البلاد الأخرى وهى إعلاء كلمة الله وتوحيد كلمة المسلمين وجمع المسلمين حيث كانت الدولة العثمانية تمثل تمثيلاً رسمياً وفعلياً الخلافة السنية منذ أن انتقلت الخلافة إلى العثمانيين ١٥١٦ بعد معركة مرج دابق .

ولقد تعرضت الدولة العثمانية إلى هزات اقتصادية وسياسية منذ أواخر القرن ١٨ ، ودخلت القرن التاسع عشر فى صورة الرجل المريض بكل أبعاده ووهنه ، وبالتالى انعكس ذلك على البلاد العربية ، وليست الدولة العثمانية مسئولة عن ذلك ولكنه الإطار العام الذى كانت الدولة تعيشه .

وفى نفس الوقت لم تكن البلاد العربية مهيأة لأن تقوم بنشاط سياسى بعيداً عن الدولة العثمانية ، فالجزائر سقطت ١٨٣٠ وليبيا كانت تحكمها العائلة الحسنية ، ومحمد على فى مصر ، وهناك عوامل دقيقة وخطيرة جداً هى عوامل التسرب السياسى الغربى .

وهذا التسرب هو الذى غذى النزعة القومية العرقية نوعاً ما فى الشام وأعطى

أحقية التحرك الأيدلوجى السيئ ضده الدولة العثمانية كرد فعل .

ولكن المخلصين من رجال الدولة كانوا فى أواخر القرن الماضى يرون أن تقوية الرابطة الإسلامية ، هى التى ستعطى المد الحضارى العربى الإسلامى للدولة العثمانية ويجنبها التقسيم فيما بعد ، فقد تحررت النزعات القومية فى أواخر القرن ١٩ . والذين بدأوا بالنزعة القومية المتشددة هم البلقان وكان وراء ذلك فرنسا وانجلترا بالدرجة الأولى ثم أرمينيا فهم الذين غذوا النزعة القومية تماماً وأدخلوا فى المفهوم اللغوى اصطلاحات (الأمة والشعار والعلم والنزعة القومية) .

ولقد أدخل رفاعة الطهطاوى منذ ذلك الكثير من المصطلحات للعالم العربى الإسلامى كما كان ذا أثر فاعل فى كل المناطق، لقد كانت الحركة العربية رد فعل لما روجه الاتحاديون من استعلاء وتعصب عرقى وإحياء للنزعة الطورانية القديمة وما فعله البلقانيون ، ثم كان الدور الذى لعبه اليهود الماسون فى إسقاط الخلافة وهو دور شنيع فى تفتيت الدولة العثمانية وفى كسب الأنصار ، ولقد كان السلطان عبد الحميد أحد القلاع الأساسية والثابتة والصامدة أمام سريان وتوسع النفوذ اليهودى فى المنطقة ومن أجل هذا أسقط .

ولقد كان العثمانيون يعتبرون أنفسهم محملين بالرسالة الإسلامية وناقلين لها ، ومن يدرس موقف محمد الفاتح يفهم أنهم كانوا رجال مسئولية على مستوى البلاد العربية والإسلامية ، ولقد قاموا بما لم تقم به أية دولة إسلامية .

لقد بقى الحرمان الشريفان محط العناية الخاصة من قبل الدولة العثمانية وكذلك جوانب أخرى متعلقة بالتعليم وأهله .

هذا جانب يجب تجليته فى مواجهة الحملة الضارية التى يقودها العلمانيون والتغريبيون ، وكان هناك جانب آخر فى حاجة إلى توضيح .

يقول دوجوفار الوزير الرومانى فى كتابه (مائة مشروع لتقسيم تركيا) : إن أعظم عوامل انحلال الدولة العثمانية هو مشربها فى إعطاء الحرية المذهبية والمدرسية التامتين للأمم المسيحية التى كانت خاضعة لها لأن هذه الأمم بواسطة هاتين الحريتين

كانت تبث دعايتها القومية وتتماسك وتنهض وتسير سيراً قاصداً إلى طريق الانفصال عن السلطة العثمانية .

ويقول باول شمتر فى كتابه : (الإسلام قوة الغد العالمية) :

إن التسامح الإسلامى ودعوة الإسلام بالمساواة هو الذى مكن القوميات البلقانية من النمو والتطور إلى حد امتشاق السلاح والانفصال بمعونة الكنيسة الروسية وجيوش وأموال القيصر ، وبينما استطاع الاستبداد الروسى أن يقصم ظهر الولايات الإسلامية ويمتص منها كل حيوية وهى أعرق ثقافة وأكثر تحضراً من شعوب البلقان فبينما عاشت الأقليات فى الدولة العثمانية فى ظل تسامح دينى وجنسى نادر بينما حرمت الشعوب المسلمة فى روسيا العنصرية من كافة الحقوق بحيث استحال أن تنمو بداخلها أى مقاومة جدية .

ويقول : كيف قضى الأتراك على دولتهم بنقض قوانين الإسلام ومنها منح الامتيازات لدول الأجنبية ، والسماح لكل مذهب بحرية ممارسة طقوسه وعبادته ، وإعلان حرية الأديان ، وإعطاء كل طائفة الحق فى إنشاء مدارس خاصة بها .

وبهذا انهارت الجسور الأخيرة التى حمت الدولة العثمانية خاصة مع الطوفان الثقافى الذى نبع فى الغرب واندفع على هيئة تيارات قوية عبر الممالك التى فتحتها أوروبا إلى الشرق .

لقد بدأت حقيقة تاريخية تنساب منها الموجات ذات الأثر الفعال الذى سيقرر مصير العالم الإسلامى بالنسبة لاستمرار التطور ، فلأول مرة فى تاريخ الإسلام يسوى بين المسيحى والمسلم فى قانون مدنى فى دولة إسلامية .

لقد قصد الباب العالى بهذه التسوية عام ١٨٥٦ أن يلعب بها دوراً فى الأرجوحة السياسية فى عالم الصراع بين القوى الكبرى ، غير أنهاكلفته كثيراً فقد انتقصت من سلطاته المطلقة ، وأضعفت هيبته داخل المملكة فى أواسط المواطنين المسلمين ، ودفعتهم إلى التحرك وتحت ضغط القوى الغربية اندفع فيضان التجديد إلى أبعد من هذا .

ففى أواخر العقد الخامس فوجىء الشعب بإصلاحات فى القضاء وفى أجهزة الدولة المالية ولم تتوقف عند هذا الحد بل واصلت تقدمها فحصل لبنان على نظام

جديد منح المسيحيين امتيازات جعلت كفتهم راجحة على كفة غيرهم .

وبالجملة فقد فتح الباب أمام حرية الجماعات الأجنبية فى التعليم والولاء للغرب وكان عاملاً من عوامل تعجيل سقوط الدولة وكان مصدراً من مصادر تغريبها كلية ، فقد أخذت تركيا بالمفاهيم الغربية فى السياسة التى قادها الاتحاد والترقى وتلاميذ أوجست كونت .

وبعد أن اختفى الاتحاديون الذين قاموا بالدور الأول فى التمهيد لتغريب تركيا الإسلامية جاء مصطفى كمال أتاتورك ليقوم بالدور النهائى حيث قام بتغريب تركيا تغريباً كاملاً ونقلها من دولة قائدة للإسلام فى العالم كله إلى دولة مغربة تحتويها مفاهيم العلمانية والفلسفات المادية .

وقد وضع أتاتورك حداً نهائياً لحجب الشريعة الإسلامية عن أن تكون الإطار العام للدولة ، وساوى بين الرجل والمرأة وأبطل الحروف العربية واستعمل الحروف اللاتينية .

وأخذت الدولة التركية العلمانية بقوانين سويسرا المدنية (والقانون المدنى الأوروبى ناشئ من منبعين أحدهما رومانى والآخر مسيحى) وليس فى هذه القوانين ما يتفق مع حاجة الزمان أو المكان مما لا يمكن قبوله بدون تعديل أو تنسيق مع أحوال البلاد وفروق الزمن والبيئة فى بلاد لها قوانينها المستمدة من شريعتها الإسلامية وأعراف بيئتها .

ولقد كان النصر الذى حققه التغريب فى تركيا الكمالية هزيمة كبرى على مستوى العالم الإسلامى كله ، فقد رأى المسلمون كيف تتحطم دولة مسلمة ثم لا تجد سبيلها مرة أخرى إلا بعد زمن وتجد من سخرية الغرب ما أورده (توينبى) من أنها لم تستطع خلال أربعين عاماً أن تقدم ما تساهم به فى بناء العلوم والحضارة .



قالت جريدة التيمس فى ١٢ يناير ١٩٢٩ :

« حان الوقت الذى تغرب فيه شمس الإسلام فى تركيا لتحل محلها البروتستانتية أو أى مذهب قادر ، إن الناس يتكلمون عن قرب اليوم الذى تغير فيه

الديانة الإسلامية فى تركيا وأنه لابد أن يقع تغيير هام فى دين تركيا فى وقت ما وإن كان غير قريب » . (عمررضا) .

ولقد كان هذا التحول فى تركيا إلى العلمانية منطلق حركة حطيرة تأثرت بها إيران ومصر والبلاد العربية وفتحت الباب واسعاً أمام خطرين أساسيين :

أولاً : القومية بمفهومها الوافد والعلمانية بمفهومها الإلحادى .

ثانياً : إقامة دولة إسرائيل من النيل إلى الفرات .

وأصبح أتاتورك المثل الأعلى لكل صناع الانقلابات بعد أن أسقط الخلافة الإسلامية وقد قام بدور الماسونى الذى عمل لإحياء التراث الطورانى والذى رسم المخطط الذى نفذ فى انقلابات عسكرية متوالية فى عديد من بلاد الوطن العربى والعالم الإسلامى .

هذه الانقلابات العسكرية الماسونية والتى اتخذه قادتها مثلاً أعلى لهم وقد علقوا صورته قبل أن يتقلد السلطة ، كان أتاتورك الماسونى عدو الإسلام اللدود ولم يخجلوا من أن يعلنوا ذلك .

يقول أحد المؤرخين المنصفين :

إن التربية العلمانية للعقل المصرى (العربى الإسلامى) قد طمست معالم أضخم مؤامرة فى التاريخ الحديث ضد الإسلام والمسلمين وهى التى قام بها الماسون فى تركيا ليمهدوا من أجل قيام إسرائيل سعياً وراء هدم المسجد الأقصى وحكم العالم من أورشليم ولأن طريق اليهود إلى القدس (أورشليم) كما يحاولون ترديد هذه التسمية ، لابد أن تخترق الآستانة أولاً ، ولكن عَلَم الخلافة على دولة الخلافة كان العقبة الكؤود أمامهم فكيف يمكن الوصول إلى بناء إسرائيل ، وفلسطين فى حمى خليفة المسلمين وفلسطين جزء من الدولة العثمانية .

إذن لابد من تحطيم الدولة العثمانية أولاً ، لأنه يوم تسقط الآستانة ستسقط القدس تبعاً لذلك فى أيدى اليهود .

وهكذا تسلل اليهود إلى الجسم العملاق تحت أسماء إسلامية بعد أن رسمت لهم الخطة اللازمة ، وعملوا جميعاً بمساعدة المحافل الماسونية بتأييد من القوى

الأوروبية على الارتقاء إلى المناصب حيث المفاتيح الأساسية ثم تغلغلوا فى البيئة السياسية والاجتماعية والفكرية حتى وصل بعضهم إلى أعلى المناصب فى الصدارة العظمى وقيادة الجيوش .

وقد وجدوا الرعاية اللائقة من الماسونية (الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية) ومن الخارجية البريطانية فى قبض الأموال ، لقد تظاهر اليهود تحت أسماء إسلامية فى عهد الخلافة ، وقد عرفوا باسم (الدونمة) وهى كلمة تركية تعنى المرتدين الذين غيروا دينهم من اليهودية إلى الإسلام ، وأدخلوا فى الجيش كثيراً من عناصرهم أبرزهم (جاويد بك) الذى تكرر تعيينه وزيراً للمالية وفى أيامه قام الدونمة بدور رئيسى فى قيادة ثورة الأتراك على السلطان عبد الحميد ١٩٠٩ (بعد أن أعلن فى إصرار أنه لن يسلم لليهود ، وكانت طقوسهم وشعائرهم باللغة الأسبانية واليهودية سراً) .

وانتقلوا إلى أوروبا وراحوا يصدورن صحفهم ومنشوراتهم ويطلعون أعداء تركيا على أسرارها تاركين القوى الصهيونية تتدفق عليهم .

ولما جاء السلطان عبد الحميد بمنهاج كامل للصحوة الإسلامية ذهب إليه هرتزل (رئيس المنظمة الصهيونية العالمية وكبير الماسون) ثلاث مرات فى يونية ١٩٠١ ، فبراير ١٩٠٢ ، يوليو ١٩٠٣ وعرض عليه قائمة إغراءات :

١ ـ تسديد ديون تركيا .

٢ ـ تطوير تركيا صناعياً وتجارياً ومالياً من خلال بنوك أوروبا .

٣ ـ إنشاء السكك الحديدية والسفن .

٤ ـ قيادة حملة صحفية عالمية تدافع عن السلطان وسياساته .

٥ ـ إنشاءأول جامعة عصرية تعلم الشباب التركى العلوم الحديثة .

٦ ـ الوقوف إلى جانب الأتراك فى المسألة الأرمنية .

٧ ـ هدية مالية للسلطان قدرها مائة مليون جنيه ذهباً وذلك كله فى سبيل

مطلب واحد هو إنشاء شركة يهودية تشترى الأرض غير المزروعة فى فلسطين وتتولى زراعتها وتوطين اليهود فيها .

★ ★ ★

ومن ناحية أخرى أعلنت تركيا مخطط الطورانية الجديدة التى كتب منهجها اليهودى ليون كاهون وجعلت انجيلاً للحركة + تاريخ الترك والمغول فى آسيا من نشأتهم إلى ١٨٠٥ (صدر ١٨٠٦) وأخذوا يدرسون ذلك فى أوكار الاتحاد التركى للتركيز على القومية التركية فى مواجهة الإسلام .

وشددوا على مقاتل الترك العسكرية ، وعملوا على إحياء تيمور لنك وأتيلا الملقب بـ نعم الله (جنكيز خان) .

وكذلك عملوا على العودة إلى اللغة التركية التى ذابت فى الإسلام منذ ألف عام مشيدين بالتدمير والتخريب وفظائع الهجمات البربرية على أيدى التتار والمغول على أنها بطولات قديمة .

٣ ـ إحياء القاعدة القديمة التى وضعها لهم اليهودى (المجرى فمبرى) ، والتى تقول (لا وطن فى الإسلام) .

إنه يجب على تركيا أن تعتبر غربية أو أن تهلك ، وذلك بإنشاء فرق من الكشافة فى قالب عرقى ينظر إلى تاريخهم قبل الإسلام كما يحاول ماسون مصر إحياء الفوعونية طمساً لمصر الإسلامية .

★ ★ ★

هكذا رسمت اليهودية العالمية والماسونية مخطط التغريب تركيا وفتحت الباب واسعاً أمام تغريب العالم الإسلامى كله ، فقد كان تنظيم الاتحاد التركى يهودياً ماسونياً مجتزئاً عن الحكومة الإسرائيلية العالمية ومرتبطاً بالقوى الصليبية والدول الاستعمارية على أساس هدف واحد هو القضاء على الإسلام والخلافة .

(يظهر هذا جيداً اليوم عندما يتحدث أحد عن إحياء الخلافة) .

وقد أرسيت القاعدة على هذا النحو :

١ ـ جعل روح القومية التركية مستقلة عن الإسلام .

٢ ـ جعل التركى العلمانى تركياً أولاً ومسلماً ثانياً .

٣ ـ تحرير اللغة التركية من الألفاظ العربية والفارسية .

ولقد كان الدور الذى قامت به صحيفة المقطم والدور الذى قام به الهلال والمقتطف ضد السلطان عبد الحميد خطيراً ، وقد أعلنت الجمعية الإسرائيلية فى مصر وأكدت أن من أهم أهدافها ترويج المطبوعات التى تهاجم السلطان عبد الحميد فى شتى أنحاء الامبراطورية العثمانية .

★ ★ ★

وهكذا لم تتوقف المؤامرة بل مضت إلى نهايتها :

١ ـ تم دفع الأقطار العربية بعد نهاية الحرب العالمية الأولى إلى العلمانية وإلى تطبيق القانون الوضعى والنظام الديمقراطى الغربى وحجب الشريعة الإسلامية وتحويل نظام التعليم الإسلامى إلى نظام علمانى .

وكانت مصر قد سبقت الأقطار العربية فى هذا السبيل ، إذ إنها سقطت فى يد الاحتلال البريطانى ١٨٨٢ بينما بقيت هذه الأقطار فى إطار الدولة العثمانية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٨ .

وكان التحول الذى تم فى العالم الإسلامى من دولة الخلافة إلى دولة علمانية بقوة السلاح له خطر شديد وأثر بعيد على النظام السياسى والاجتماعى والاقتصادى فى المنطقة العربية التى كانت جزءاً من الدولة العثمانية .

٢ ـ كانت الخطة الثانية وهى الخطة الأساسية (والتى كانت خطة تغيير النظام السياسى للبلاد العربية وسيلة من وسائل تأكيدها) هى إقامة الكيان الصهيونى فى فلسطين على النحو الذى جرى تماماً بعد انتداب بريطانيا عليها وإعدادها لتسليمها لليهود فى خلال الفترة من ١٩١٧ (وعد بلفور) إلى السيطرة عليها عام ١٩٤٧ .

٣ ـ وكانت الخطة الثالثة هى إقامة الدولة القومية فى البلاد العربيةبديلاً للوحدة

الإسلامية وإدخال نظام القوميات الذى كان قد أصبح تجربة تقدم للعرب المسلمين بعد مؤامرات البلقان (حيث كان ساطع الحصرى يقدم للمسلمين تجربة القومية البلقانية كمدخل للقومية العربية) .

وكان الحديث عن القوميات يرمى أساساً إلى إعلان القومية اليهودية .

٤ ـ حركة الجيش .

وكانت حركة الجيش ضلعاً من أضلاع المثلث وهو القضاء على القوة المجاهدة التى تشكلت منذ طلائع السيطرة الصهيونية على فلسطين وإسقاطها عن طريق تنظيم عسكرى يكون بديلاً عن التطور الطبيعى الذى كان يفترض قيام حركة إسلامية لتحرير بيت المقدس وفلسطين (وهو ما ظهرت ملامحه الأولى فى معارك فلسطين الأولى والتى أزعجت اليهود والقوى الغربية فسارعت إلى تصفية الاتجاه الإسلامى القائم على مفهوم الجهاد) .

وكان من أخطر تحولات حركة الجيش تحويل قضية فلسطين إلى قضية عربية بتطبيق مفهوم القوميات الغربى وبإزالة الطابع الإسلامى لها ، فأصبحت منذ ذلك الوقت (فلسطين العربية لا الإسلامية) وفى خلال هذا التحول ظهرت فكرة الدعوة إلى الصلح مع إسرائيل .

٥ ـ الاتجاه الماركسى :

وفى إطار التحول الذى فرضته المؤامرة الصهيونية جاء الاتجاه الماركسى الخادع بدعوى تأييد القوى العربية على مقاومة إسرائيل ثم تبين أخير أن الخطة بين أمريكا وروسيا وإسرائيل كانت متوازنة وكان هناك قرار حاسم ذو شقين :

ـ أن تظل إسرائيل فى موضع التفوق العسكرى على العرب جملة .

ـ ألا تعطى روسيا (أو أى جهة) أسلحة هجومية للعرب . وهذه الحقيقة لم تنكشف إلا بعد سقوط الجولان وسيناء والضفة الغربية فى يد الصهيونية العالمية .

وكان للاتجاه الماركسى دوره الخطير فى تأخير الحل الحاسم .



رأس جسر فى قلب الإسلام

استطاع الغرب والقوى الصهيونية تمزيق الوحدة الإسلامية حين أعلن الشريف حسين الحرب على تركيا ودخل فى حلف الغرب والصهيونية بناء على وعد بإقامة دولة عربية بعد نهاية الحرب العالمية الأولى ، وكانت بريطانيا وفرنسا تعملان ـ فى نفس الوقت الذى أعطت فيه العرب (باسم الشريف حسين) هذا الوعد ـ بإمضاء معاهدة سايكس بيكو التى تقسم البلاد العربية بين الحلفاء وتقرر قبول وعد بلفور بإعطاء فلسطين للصهيونية العالمية .

وكان هذا هو المأزق الخطير .

وقد قاد هذه الخطة خبراء بريطانيا فى الشرق : لورنس وفيلبى وسيدسى كوك .

وكان لورنس يعمل على خطى هرتزل ويدين بولائه للصهيونية العالمية ، وهو الذى قاد معركة الفصل بين العرب والترك فى ساحة سيناء ، وكان قد جاء إلى القاهرة ١٩١٤ تحت اسم التنقيب عن الآثار فى (قرقميش) وتجول فى سيناء ورسم خريطة مساحية عسكرية لسيناء من العقبة حتى العريش ، وقام باستطلاع رأى العرب فى توطين اليهود فى فلسطين والتمهيد لوعد بلفور .

وقد انطلق لورنس لإذكاء ما أطلق عليه (الثورة العربية) وتوجيهها ضد تركيا وإثارة النعرات المختلفة داخل الدولة العثمانية وكانت أوروبا قد بذلت المستحيل لتغذية هذه النعرات الطورانية والعربية والأرمنية .

وكانت المسرحية قد بدأت منذ سبعين عاماً فى محاولة تمزيق الطابع الإسلامى للدولة العثمانية وسلخها من الوحدة والخلافة .

وكان مصطفى كمال طاهياً عظيماً فى وليمة الخيانة التى أقامتها الدول الكبرى .

وقد كشفت الوثائق عن تقرير أعده لورنس (كانون ثانى ١٩١٦) بعنوان سياسات مكة :

قال : إن أهدافنا الرئيسية هى تفتيت الوحدة الإسلامية ودحر الامبراطورية العثمانية وتدميرها وإذا عرفنا كيف يقاتل العرب وهم الأقل وعياً للاستقرار من الأتراك فسيبقون فى دوامة من الفوضى السياسية داخل دويلات صغيرة حاقدة ومتنافرة غير مائلة للتماسك إلا أنها على استعداد دائم لتشكيل قوة موحدة ضد أى قوة خارجية .

وكان من أهداف الخطة : العمل على القضاء على أى محاولة لإحياء الكيان الإسلامى وإقامة دويلات قومية عربية متخلية كل التخلى عن الإسلام .

وقال لورنس : إن إعطاء الوعد للعرب للقتال إلى جانب الإنجليز لتحقيق دولتهم مع العلم بأن السياسة البريطانية لن تنفذ أبداً هذا الوعد الذى يحلم به العرب ومن أجله حاربوا .

وأن الأفضل لنا أن ننتصر وننكث بوعدنا من أن ننكسر .

★ ★ ★

يقول الأستاذ عبد الغنى حسن : إن فكرة الثورة العربية التى يزعم لورنس أنه اقتنع بها قبل تعرفه بفيصل هى تقطيع أوصال الدولة العثمانية ولعلها فكرة انجلترا نفسها والتى أمدت العرب بكل شىء لتحقيق هذه الفكرة ولم يجد لورنس بأساً بالتضحية ببعض العرب لبلوغه هدفه البعيد .

ويتساءل الأستاذ سليمان موسى : هل كان لورنس مخلصاً للعرب ؟.

وجوابه : إنه كان انجليزياً قلباً وقالباً ولم يكن تهمه مصلحة العرب إلا بقدر ما تحقق من مصالح لبلاده فقد أثبت هذا بأقوال لورنس نفسه وبتصرفاته بعد الحرب العالمية الأولى .

ويقول لورنس : إننى أكثر ما أكون فخراً بأن الدم الإنجليزى لم يسفك فى المعارك الثلاثين التى خضتها ، لأن جميع الأقطار الخاضعة لنا لم تكن تساوى فى نظرى موت إنجليزى واحد .

لقد جازفت بخديعة العرب لاعتقادى أن مساعدتهم كانت ضرورية لانتصارنا .

وقد أكد كثيرون إخلاص لورنس لأمته رغم موقفه الخادع للعرب وذهب البعض إلى أنه كان مؤيداً للصهيونية واليهود إلى أبعد حد .

وقد أشار وايزمن فى كتابه : (التجربة والخطأ) إلى أن لورنس ساعد الصهيونية مساعدات جلى .



الخطران يزحفان معاً

ما بين الحربين العالميتين (١٩١٨ ـ ١٩٣٩) واجه العالم الإسلامى زحفاً مزدوجاً للصهيونية والشيوعية معاً وهما وجهان لعملة واحدة وهى الحقيقة التى خفيت طويلاً على قادة العرب والمسلمين .

كانت الصهيونية قد استطاعت أن تواصل هجرتها إلى فلسطين تحت عون ومساعدة القوتين الشيوعية والغربية .

وكان الاستعمار البريطانى والفرنسى يعمل على تثبيت وجوده وتحويل المسلمين إلى ولاء غربى قائم على تغريب من خلال المناهج الدراسية والثقافية والصحافة جميعاً .

وكان سقوط الخلافة هو المأزق الأكبر الذى كان العرب والمسلمون يفكرون فى مواجهته .

وكانت قوى كثيرة تعمل وتتآمر وتقاتل فى سبيل السيطرة على مقدرات العرب والمسلمين وقد بدا أن جسماً غريباً يحاول أن يتشكل فى قلب الأمة الإسلامية لتحقيق الهدف الذى وصل إليه الخبراء والعلماء منذ عام ١٩٠٧ من خلال ما يطلق عليه مؤتمر (بترمان) الذى أوصى بأنه لتأخير هذه الأمة التى تعيش فى أفريقيا وآسيا والتى تملك كل مقدرات السيادة والحضارة عن إقامة مجتمعها لابد من غرس جنس غريب فى منطقة تعزل كلتا القارتين وتحول بين أهليهما من التكامل والنماء وتحقيق هدف انبعاث الحضارة الإسلامية المتجددة .

ومن هنا كان لابد من غرس هذا الجسم الغريب ، وتقسيم تركيا وإقامة القوميات وإسقاط الخلافة وتحويل هذه الأمة عن منهجها الأصيل تحقيقاً للمخطط الذى رسمه القديس لويس ونفذته الكنيسة الكاثوليكية وهو إعلان حرب الكلمة على الإسلام وأهله .

وكان القانون الوضعى هو النظام الذى حرصت كل دول الاستعمار على غرسه

وحجب الشريعة الإسلامية ، وانتزاع اللغة العربية من مكانتها وإحلال العاميات وإعادة الإسلام إلى المسجد والحيلولة بينه وبين فرض نظامه على المجتمع وكان إسقاط الخلافة علامة على أن هذا المنهج يسير إلى غايته وقد أكد هذا المستشرق هاملتون جب فى كتابه مع زملائه (وجهة الإسلام) حين قال ١٩٣٤ : « نستطيع أن نقول حسب سير الأمور الآن : إن العالم الإسلامى سيصبح خلال فترة قصيرة (لادينياً) فى كل مظاهر حياته مالم تطرأ على الأمور عوامل ليست فى الحسبان فيتغير اتجاه التيار » .

وكان (جب) يظن أن عشر سنوات بعد سقوط الخلافة واستشراء العلمانية على النحو الذى قدمه مصطفى كمال أتاتورك فى تحويل تركيا إلى دولة لادينية سيكون بعيد الأثر فى مختلف البلاد العربية والإسلامية .

ولكن الأمر لم يكن كما تصوره (جب) وأن هذه اللحظات التى كان فيها (جب) يستشرف المستقبل كانت الدعوة الإسلامية قد ولدت ومضت تشق طريقها لتكون فى خلال سنوات قليلة تعويضاً عن الفراغ الذى شهده العالم الإسلامى بسقوط الخلافة .

وكان أكبر مواقفها هو « الجهاد » وإنشاء أجيال تؤمن بالموت فى سبيل الله لاسترداد الأرض المقدسة التى سلبت .



كان ظهور الحركة الإسلامية بعد سقوط الخلافة بأعوام قليلة (١٩٢٤ ـ ١٩٢٨) علامة على صدق عطاء الإسلام فى قانونه الخالد وهو قدرة الإسلام على تصحيح مسيرة أهله وإعادتهم إلى الطريق ، فقد كان سقوط الخلافة يعنى حجب الشريعة الإسلامية عن المجتمع الإسلامى كله بعد أن حجبت قبل ذلك بسنوات قليلة فى الهند وأندونيسيا ثم فى الجزائر ومصر والسودان وتونس .

وكانت صيحة الحركة الإسلامية ممثلة فى كلمة واحدة : هى تصحيح المفهوم الإسلامى وإعادته إلى أصالته .

وهو أن الإسلام نظام مجتمع ومنهج حياة .

وقد ترتب على اعتناق هذا المفهوم تغييرات كثيرة انتقل معها هذا المعنى إلى أقصى المشرق الإسلامى ثم إلى أقصى المغرب الإسلامى كالنار فى الهشيم يصحح وضعاً حاول النفوذ الأجنبى فرضه وإرساءه عن طريق الترهيب والترغيب فلما تبين فساده وانهياره أزعج ذلك أعوانه الذين ظنوا أنهم قد حطموا قاعدة الإسلام الأساسية وأن (تغريب) الأمة الإسلامية قد بدا محتماً .

وجاءت التجربة الغربية ثم التجربة الماركسية فى البلاد الإسلامية تجر أذيال الفشل ولم يستطع الفكر القومى أو الفكر الماركسى أو الفكر العلمانى أن يحقق نجاحاً يذكر وقد أنفق فى سبيل دعم هذه المخططات ما أنفق دون أن يجنى أصحابها إلا حصاد الهشيم وقبض الريح واستطاعت الحركة الإسلامية أن تقدم فى مرحلة أولى كثيراً من مدافعات السموم التى نشرها الاستعمار والاستشراق ثم أخذت منذ وقت فى بناء المناهج الإسلامية الأصيلة فى مجال الاقتصاد والأدب والاجتماع والتربية .

ولقد استطاعت الدعوة الإسلامية فى خلال عشرين عاماً أن تقيم دعائم المجتمع الإسلامى القادر على حمل أمانة الدعوة الإسلامية وكان أخطر تلك العلامات دخول معركة فلسطين وتكبيد اليهود أكبر الخسائر ، حتى إذا لم يبق بين المسلمين والنصر إلا قدر قاب قوسين أو أدنى إذا بالقوى الغربية مجتمعة فرنسا وبريطانيا تقدم إنذاراً لحكومة مصر بضرورة تصفية هذا النظام وتدميره وذلك بعد انهزام الجيش الرسمى وذلك حتى يتحقق قيام هذا الكيان الذى أعطى فيه من لا يملك وجوداً لمن ليس له حق شرعى بأرض العرب والمسلمين فى فلسطين .

وهكذا عجل النفوذ الأجنبى بتصفية الوجود السياسى الشرعى للدعوة الإسلامية لأنه كان يعلم تمام العلم أن الخطوة التالية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية هى قيادة الدعوة الإسلامية للنظام السياسى عن طريق الأغلبية الساحقة من خلال النظام الديمقراطى والانتخابات النيابية .

وقد قدم النفوذ الأجنبى البديل وهو النظام العسكرى الذى قاده بعض ضباط الجيش والذى سيطر على الحياة السياسية فى أوروبا والعراق ومصر والسودان والذى اتخذ من فكرة القومية منطلقاً له وجعل من خطة حزب البعث إماماً له وهى فكرة تقوم أساساً على مفاهيم العلمانية والماركسية ومن مضمون مفرغ تماماً

من المفهوم الإسلامى ومن الوحدة الإسلامية .

وقد امتد هذ النظام منذ نهاية الحرب العالمية الثانية واضطربت أقطار الوطن العربى بين القومية والماركسية ما عدا الأقطار التى كان يحكمها النظام الملكى (السعودية والأردن والمغرب) .

وفى خلال هذه الفترة وقعت عدة أحداث أهمها :

١ ـ الوحدة بين مصر وسوريا .

٢ ـ نكسة ١٩٦٧ .

٣ ـ التغيير السياسى فى اليمن.

٤ ـ استقلال الجزائر .

وظهرت فى هذه الفترة منظمة التحرير الفلسطينية التى استفادت من النظام الاشتراكى وحاولت أن تحقق فى ظله بعض المكاسب .

أما الدول المسماة بالتقدمية فقد أقامت أنظمتها على أساس القومية الغربية والماركسية وانحازت إلى السوفيت وأما الأنظمة الأخرى فوالت الولايات المتحدة وكانت نكسة ١٩٦٧ ـ التى استطاعت فيها إسرائيل السيطرة على الجولان وصحراء سيناء والضفة والقطاع ـ هى ذروة المأساة ، فإن إسرائيل استطاعت السيطرة على بيت المقدس ، وكان ذلك أخطر التحديات التى واجهت المسلمين بعد سقوط فلسطين تحت نفوذ إسرائيل ١٩٤٨ .

★ ★ ★

لقد كشفت نكسة ١٩٦٧ عن فساد التبعية التى وقع فيها العرب والمسلمون عندما اتخذوا منهج الغرب أولاً منطلقاً لنظامهم الاجتماعى ولما اختلفوا معه اعتنقوا الماركسية وجاءت نكسة ١٩٦٧لتكشف هزيمة النظام الذى قبل التبعية الأولى والثانية واتضح أن الغرب لحماية وجوده ولحماية إسرائيل كان قد أعد هذه المخططات .

الماركسية - القومية - العلمانية

كانت النظم الماركسية والقومية والعلمانية ممثلة فى نظم وأحزاب سيطرت على مصر وعلى البلاد العربية وانتهت بالهزيمة الخطيرة حيث اجتاحت إسرائيل مصر وسوريا والأردن وسيطرت على بيت المقدس بعد أن سيطرت على فلسطين .

وكان لابد من وقفة إزاء هذا الخطر الصهيونى الماركسى الغربى الذى احتوى العرب والمسلمين .

لقد أثبت النظام السياسى الذى تحرك فيه القادة العسكريون طوال سبعة عشر عاماً أنهم تنقلوا من فشل إلى فشل ومن هزيمة إلى هزيمة .

لقد أتاحت الفرصةللماركسية المسيطرة على الفكر والثقافة والصحافة فى بلادنا العربية وخاصة فى مصر والسودان وسوريا أن تضرب ضربات قاسية فى جدار الإسلام بمعول هو أشد عنفاً من معول الليبرالية والعلمانية الذى كان الغرب يحمله خلال أكثر من سبعين عاماً ويرجع ذلك إلى أن الماركسيين بإنكارهم للغيب جملة وسخريتهم من كل حقائق الألوهية والنبوة والغيب قد أعطاهم جرأة خطيرة فى إثارة الاتهامات حول القيم الأساسية للإسلام وخاصة أبحاثهم التى ظهرت على أيدى بعض الماركسيين من العرب والمسلمين عن القرآن واتهامه بأنه نص بشرى ، ونظرية التفسير المادى للتاريخ وعن تلك الحملة الجائرة الموجهة للدين جملة ، وما يتصل بها من مفاهيم الإلحاد وفلسفته ومفاهيم الإباحية .

ولما كانت هذه الخطة فد بدأت أساساً فى الغرب فى مواجهة المسيحية فإنها حين امتدت إلى عالم الإسلام استغلت كثيراً من نصوصها ودعاواها فى محاولة الخداع وتضليل بعض المسلمين الذين لم يستطيعوا أن يحصلوا على ثقافة إسلامية أصيلة أو فهم أصيل للإسلام بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع يختلف كل الاختلاف عن مفهوم الدين اللاهوتى الغربى حيث يجرى الاتهام للدين جملة وللإسلام بأنه مصدر التخلف .

وقد كان اتساع نطاق الصحوة الرسلامية ، وإقبال مفكرى الغرب وخاصة

الماركسيين على فهم الإسلام عاملاً من العوامل الخطرة التى ألهبت مشاعرهم دفعتهم إلى مزيد من العنف والتطرف فى نقد الإسلام واتهامه والسخرية بمقوماته والتهكم على بطولاته .

وقد ضاعف ذلك للمرة الثانية سقوط الماركسية نفسها وهزيمة الشيوعية فى بلادها التى طبقتها أكثر من سبعين عاماً ، مما حمل الماركسيين على مضاعفة حملاتهم واندفاعهم الحاقد المشين على ما يرونه خطراً على وجودهم وظناً منهم أنهم قادرون على النيل من الإسلام فى غفلة خطيرة عن مدى الفرق البعيد والعميق بين المنهج الربانى والمنهج البشرى .

هذا إلى غرورهم الخادع فى أنهم قادرون على تغليب منهج البشر على منهج الله ، وبالرغم من ظهور عشرات الثغرات التى كشفت عن فساد التجربة التى استغلت لأن تكون فى مستوى المنهج الربانى وسقوطها مرة واحدة ، كل هذا لم يعط لهذه النفوس الحاقدة أى عبرة ، وما زالت مخدوعة مضللة بما تسميه المنهج العلمى والجدلية المادية والجبرية .

والواقع أن الماركسيين والعلمانيين والقوميين قد كونوا عصابة الكراهية والحقد على الإسلام وأهله العاملين له من خلال الهدف المرسوم منذ أول الشوط ، لعدم تمكين الإسلام من السيطرة ، وحصاره فى الداخل عن طريق الماركسية والقومية وحصاره من الخارج من خلال غرس الجسم الغريب العازل بين أبناء الأمة الواحدة .

لقد كانت الوصية الأولى والكبرى : أن يقوم النظام السياسى على نسق النظام الغربى من خلال القانون والمدرسة والمحكمة مع حجب الشريعة الإسلامية والمنهج الإسلامى والحيلولة دون تمكين القوى الإسلامية من العمل وإثارة الزوابع عليها من كل مكان لتأكيد النظام الربوى وتحديد النسل وإلغاء الجهاد .





الباب الثالث

تعانق القومية والماركسية على أرض الإسلام

قال أحد كبار المستشرقين الذين عملوا فى بلاد المسلمين : (هروبجة) .

اعطوا المسلمين منهجاً تشترك فيه القومية والماركسية ، القومية تهدم الوحدة الإسلامية الجامعة والماركسية تهدم النظام الإسلامى .

ولقد كانت مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى منطلقاً لقيام أحزاب ونظم وحكومات على هذا المفهوم المعادى للإسلام الحاجب لكل صوره ومعانيه . وفلاسفة هذ النظام هم : ساطع الحصرى ، وميشيل عفلق ، ومحمد حسنين هيكل ، ويمثل هؤلاء ورثة المنهج العلمانى الليبرالى الدارونى الذى حمل لواءه فى المرحلة السابقة .

(شبلى شميل ، وسلامة موسى ، وإسماعيل مظهر) .

وكانت مقرراته تتمثل فى بروتوكولات صهيون وفلسفة الماسونية حيث كان مفهوم العروبة قد استعلى قبل الانفصال بين العرب والترك ، ولكنه كان فى كتابات أصحابه من المارون أداة لإسقاط الوحدة الإسلامية فلما سقطت تحولت دعوات هؤلاء إلى الفلسفة والعرقية الإقليمية .

ثم اكتشف العلمانيون أن الدعوة إلى القومية العربية المفرغة من الإسلام هى المنطلق الحقيقى ، فقامت الأحزاب التى تجمع بين كل عناصر النحل والأديان والمذاهب المعارضة للإسلام لتتشكل فى تنظيم مكثف ، وتحققت هذه الدعوة واشتعلت عندما استطاعت الدعوة الإسلامية أن تخطو خطواتها الأولى نحو تشكيل الفكر الإسلامى على أساس المفهوم الصحيح للإسلام . وحشد للدعوة القومية العشرات من المفكرين والفلاسفة ووضعت لها خطة ذات معالم واضحة :

أولاً : أن الأصل هو العروبة وأن الإسلام طارىء عليها .

ثانياً : الاعتداد العنصرى بالعروبة فى مواجهة الشعوب الإسلامية وخاصة الفرس والترك بالاستعلاء والخلاف .

ثالثاً : اعتماد الماركسية أساساً للنظام الاجتماعى والاقتصادى .

وهذا يعنى فصل العروبة عن الوحدة الإسلامية وفصل مفهوم العروبة السياسى والاجتماعى عن منهج الإسلام .

وكان هذا التيار يستهدف تحقيق أهداف إسرائيل فى القضاء على جذر الوحدة الجامعة القادرة على مقاومة الاحتلال الصهيونى لفلسطين .

ويقرر كثير من الباحثين أن القومية والنظام القومى فى الوطن العربى كان وليد الصهيونية والشيوعية ونفوذ الغرب المسيحى الذى يطلق عليه اسم (الصليبية) وأن هذه القوى تعاونت منذ فجر هذا القرن الميلادى لتدمير الخلافة العثمانية بهدف إقامة إسرائيل على أنقاضها ، وقد استغلت أدوات التبشير المسيحى والصهيونى فى لبنان والقاهرة واستانبول وأشعلت نار القومية العربية والقومية التركية .

وكان زعماء القومية العربية إذ ذاك : فارس نمر وإبراهيم اليازجى ونجيب العازورى .

ثم جاءت طبقة أخرى من المتشددين الذين حاولوا أن يجعلوا من العروبة ديناً على النحو الذى عرف عن على ناصر الدين بدعوى أن العروبة وجدت قبل الإسلام وقبل المسيحية .

وقال آخرون : إن الوحدة العربية يجب أن تنزل من قلوب العرب أينما كانوا منزل وحدة الله من قلوب المؤمنين ، وقال تيمور : (إن القومية العربية هى نبوة هذا العصر) .

وهكذا أراد زعماء القومية العربية أن تحل فى قلوب الناس محل الدين (أى محل الإسلام) لتكون ديانة وعقيدة وفكراً وفلسفة مستقلة بذاتها كما يقول عمر فاخورى : (لا ينهض العرب إلا إذا جعلوا العروبة والقومية عقيدة وديانة يتغنون بها ويحاربون كل ما سواها خاصة الإسلام « كتابه : كيف ينهض العرب ») .

وقد تطورت هذه المفاهيم إلى الحد الذى تعانقت فيه المارونية مع الصهيونية فى لبنان ومن المعروف تاريخياً أنه عندما دخلت القوات الصليبية إلى سواحل لبنان

١٠٩٩ رحب بها المارون وتعاونوا معها للقضاء على الإسلام وتدمير القدس وفلسطين وقدموا لها فيلقاً من المحاربين .

★ ★ ★

وهكذا أدخلت القومية على العرب والمسلمين بخدعة كبرى وهدف مبيت .

فقد كان تدمير الوحدة الإسلامية نجاحاً كبيراً يمهد للصهيونية تقسيم الشرق الأوسط إلى دول وإمارات لتحبسها فى سجون القومية ، ولقد كان النفوذ الأجنبى حريصاً على تمزيق الوحدة الإسلامية على أساس الفصل بين القومية والدين ، ولم يتوقف عند حد إثارة الشبهة حول العناصر : العرب والترك والفرس إلخ .

بل ذهب إلى أبعد من ذلك ، إذ حاول أن يجعل لهذه القوميات تاريخاً سابقاً على الإسلام فكان من ذلك إحياؤه : « الطورانية فى تركيا بما يتصل بها من زعامة الذئب الأغبر ، والكسروية فى إيران بتاريخها الطويل المتصل بالدولة الساسانية وقورش وقمبيز ودارا » .

وبذلك دخلت المعركة بين فصائل المسلمين إلى مجال العنصر والقومية العربية وحول هذا المعنى اتسع نطاق البحوث حول الوحدة الإسلامية وحول الخلافة الإسلامية والخلافة العربية على النحو الذى قدمه جمال الدين ومحمد عبده ورشيد رضا والكواكبى .

ثم كانت محاولات المارون فى القضاء على الجامعة الإسلامية .

لقد تلقف النفوذ الأجنبى هذه القضية للفصل بين المسلمين والعرب من ناحية وبين العرب بعضهم وبعض وبين المسلمين بعضهم وبعض من ناحية أخرى وذلك من خلال إحياء تاريخ قديم سابق للإسلام .

ثم استعلى هذا الاتجاه من خلال الأحزاب التى حملت لواءه ، وعندما اتجهت بعض القوى العربية للاتحاد تحت لواء القومية العربية :

١ ـ ألغيت مادة دين الدولة الرسمى الإسلام من الدستور .

٢ ـ فرض مفهوم اشتراكى غربى علمانى على كل ما يتعلق بالتعليم والحكم والاقتصاد والقانون

وبذلك وقفت القومية العربية فى موقف الخصم الشديد المعارض لمفهوم الإسلام الجامع الذى يعتبر العروبة حلقة من حلقاته والذى يدعو إلى أن يقوم نظام عربى ليحمل لواء الفكرة الإسلامية استكمالاً لحلقاتها الثلاث : الوطنية ، والقومية ، والإسلامية .

ولكن دعاة القومية العربية كانوا يحاولون أن يجعلوا الإسلام مرحلة من مراحل العروبة وحلقة من حلقاتها ، بينما يثبت التاريخ ويؤكد : أن العرب لم يتجمعوا فى كيان واحد ، إلا بعد الإسلام وبفضل الإسلام .

لقد كانت تجربة الوحدة العربية بمفهومها الوافد تجربة مريرة دامية سرعان ما سقطت وخلفت من بعدها آثاراً بعيدة المدى .

ولقد كشفت عن حقيقة أساسية : هى فساد المخطط نفسه الذى قام على مفهوم علمانى غربى والذى استعار التجربة القومية الغربية فعجز عن أن يحقق الهدف ، لأنه كان يتطلع أساساً إلى (أيديولوجية) قوامها المفهوم القومى بينما يعجز هذا المفهوم عن أن يعطى بنية صالحة لإقامة نظام اجتماعى وسياسى واقتصادى .

ولقد كان واضحاً أن الغرب يريد أن يعلى من شأن القومية والإقليمية بمفهوم العنصرية والدماء والأعراق ليجعل منها وسيلة إلى تمزيق الوحدة التى أقامها الإسلام على أساس العقيدة والفكر بعد أن أسقط مفاهيم الصراع القائم على الدماء والعناصر . وإن كان قد اعترف بالقوميات والأمم ودعاها إلى التعارف والالتقاء دون الصراع والخلاف .

وليس الإسلام لغير العرب إلا منهل الثقافة والقيم الاجتماعية التى دعت إليها الأديان كلها وجاء الإسلام خاتمها ليصهرها فى قالب عالمى إنسانى جامع .

ولقد كانت هناك تجاوزات لم يتنبه إليها الدعاة إلى القومية العربية حين أرادوا صياغة تاريخ عربى بينما ليس للعرب فى الحقيقة تاريخ خاص بهم بعد الإسلام وحتى سقوط الدولة العثمانية .

فتاريخ العرب وتراثهم بعد ظهور الإسلام هو تاريخ الإسلام وتراثه الذى ساهمت

فيه جميع العناصر والإسلام فى العروبة كما قال مسيحى معروف ـ علاقة دين للمسلم وثقافة وحياة قومية لغير المسلم .

ولقد كشفت حركة اليقظة الإسلامية محاذير الدعوة إلى القومية العربية بمفهوم الغرب وجاءت التجربة لتؤكد فسادها وضرورة العمل على تعديل النظرة القومية من داخل مفهوم متكامل جامع قوامه الإسلام : والقومية فيه مرحلة وليست حركة منفصلة والإسلام دليلها وقوامها . ولقد أُدخل الغرب فى هذه المفاهيم بالخداع والتضليل ، ولما جاءوا غلبوا على منهجهم ولم يعد فى إمكانهم مقاومة النفوذ الصهيونى أو الماركسى ولقد تم وضع العالم الإسلامى فى حصار قوامه أربعة عناصر :

هى : (القومية ، والعلمانية ، والماركسية ، والصهيونية) .

ولا تزال هذه العناصر الأربعة تتفاعل خلال أكثر من مائة عام من أجل احتواء المجتمع الإسلامى حتى لا يعود إلى أصوله الأصيلة ولا خلاف على أن سيطرة الصهيونية باتفاق القوتين هو أخطر امتحان يواجه الأمة الإسلامية خلال الأربعين سنة الأخيرة والمؤثر الحقيقى لمختلف القضايا والتحركات .

ولقد حاولت القومية أن تسيطر على عدد من أقطار الوطن العربى من خلال نظام ديكتاتورى دموى وتسلط شديد ، على نحو ما فعلت الماركسية فى فرض نظامها بالقوة وتقديم الضحايا دون اعتبار للمنهج الإسلامى الذى عرفته بلادنا ؛ ولم تكن الأوضاع المفروضة ذات قبول من الرأى العام ولكنها فرضت عليه بأسلوب أقرب إلى أسلوب النازيين والفاشيين وحجبت الطوابع الإسلامية للمجتمع أو الاقتصاد أو المعاملات إلى أن اصطدمت هذه الأوضاع بالمظالم والمطامع حتى انهارت فى نكسة ١٩٦٧ وفى هزيمة الخليج .

وكان واضحاً أن فرض هذا النظام القومى الوافد المغلف بالماركسية وأسلوب السيطرة الفردية والاستعلاء والظلم والاستبداد والقتل والاغتيال والتشريد لن يحقق أى نجاح حقيقى إذ سرعان ما كشفت الوقائع انهياره وتبين أن هذه الأمة لا تستطيع أن تبنى وجودها الحقيقى إلا من خلال منهج الإسلام .

النظام القومى الوافد

حكمت البلاد العربية أسرتان : الأسرة العلوية فى مصر والأسرة الهاشمية فى بلاد الشام والحجاز حتى نهاية الحرب العالمية الثانية حيث انتهى نفوذ بريطانيا وفرنسا واستعلى نفوذ الولايات المتحدة ، حيث سيطر أسلوب جديد هو أسلوب الانقلابات العسكرية ، حيث وقع ذلك فى سوريا ومصر والسودان والعراق وليبيا .

(أما الأردن فقد شكلها التنظيم الاستعمارى الذى خطط لوعد بلفور وتسليم فلسطين للصهيونية لتكون قاعدة حامية للكيان اليهودى فى المنطقة) .

وبذلك انقسم نظام الحكم إلى نوعين : نظام ملكى فى السعودية والأردن والمغرب ونظام جمهورى فى مصر وسوريا والسودان والجزائر وهى الدول التى وقعت فى مصيدة الشيوعية ، وفى خلال ذلك برز نفوذ الناصرية فى مصر والبعث فى سوريا ثم فى العراق ، وظهر ما يسمى بالتقدميين والرجعيين ، حيث كانت الدول الملكية تتحرك فى إطار النظام الغربى الرأسمالى وفى صف الولايات المتحدة بينما اتخذت الدول المسماة بالتقدمية (مصر ، سوريا ، العراق ، السودان ، ليبيا ، الجزائر) علاقات عميقة مع الشيوعيين الروس .

وقد جرى ذلك كله فى إطار التحول الخطير الذى طرأ على البلاد العربية فى أخطر التحديات التى تواجهها وهى :

(غرس رأس جسر غريب فى قلب الوطن العربى هو إسرائيل) :

وكما انقسمت البلاد العربية إلى نظامين للحكم : ملكى وجمهورى ، فقد انقسمت إلى تبعيتين : للغرب وللشيوعيين .

وعندما ظهرت حركة اليقظة الإسلامية داعية إلى الوحدة الجامعة بديلاً عن الخلافة التى تهاوت سارع النفوذ الغربى فأقام أحزاباً تدعو إلى الإقليمية وأحزاباً تدعو إلى القومية العربية ، بالإضافة إلى الأحزاب السياسية التى تشكلت بعد تمزق الوحدة الإسلامية الجامعة فى ظل الخلافة والدولة العثمانية إلى أقطار عربية تدين بالنظام

الليبرالى ويتبع خطوه فى المصرف والمحكمة والمدرسة .

كانت المؤامرة فى أساسها هى عدم العودة إلى الوحدة تحت أى اسم وعدم العودة إلى الإسلام بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع ، والعمل الدائب على تمزيق وحدة الأمة الإسلامية وإخراجها من نظامها الإسلامى واحتوائها والسيطرة عليها عسكرياً وسياسياً واقتصادياً ، وذلك بتزييف منهج الإسلام واختراقه واحتواء الأجيال الجديدة وتغريبها بالمدرسة والصحافة وأدوات الإعلام والترفيه ومحاصرتها تماماً حتى لا تكون قادرة على تمثيل الإسلام الصحيح .

وكان التركيز خطيراً على هذه الغاية : إنشاء أجيال مغربة تؤمن بالولاء للنفوذ الغربى وتخضع له ، حتى إذا ما انسحب عسكرياً أو سياسياً يظل أتباعه قائمين بديلاً منه مؤدين دورهم فى حماسة أشد ، لأنهم يرون أن هزيمة مفاهيمهم تؤدى إلى سقوطهم .

وكان الهدف هو تمكين النفوذ الغربى من السيطرة على مقدرات الأمة الإسلامية ومواقفها ومواردها .

أما الأسرة العلوية التى كان على رأسها محمد على ، فقد ثبت بالدليل القاطع خضوعها وتبعيتها لفرنسا سواء كان ذلك فى مجال السياسة أو الاقتصاد أو التعليم ، حتى استطاعت بريطانيا أن تهزم نفوذ فرنسا وأن تحقق سيطرتها من خلال شراء أسهم قناة السويس ومن خلال المراحل التى مكنتها أخيراً من احتلال مصر عسكرياً ، ومن ثم أحفاد محمد على وخلفاؤه أولياء النفوذ البريطانى إلى اليوم الذى أخرج فيه آخرهم (فاروق) .

وقد عملت هذه الأسرة فى خدمة الأهداف التى ترمى إلى تمزيق الدولة العثمانية وسقوط الخلافة وفتح الباب واسعاً أمام النفوذ الصهيونى الذى سيطر بالغدر والخيانة على فلسطين حين كان آخر خلفاء محمد على يدير مع يهود مصر أحجار الشطرنج .

أما الأسرة الهاشمية فقد عمدت إلى ضرب الوحدة الإسلامية فى مقتل حين أعلن شريف مكة الحرب على الدولة العثمانية التى كان يطلق عليها محمد عبده

ثالثة العقائد (بعد الإيمان بالله ورسوله) ، ومكن لعملاء بريطانيا وفى مقدمتهم لورنس من الفصل بين شطرى الوحدة الإسلامية : العرب الترك ، من خلال وعود خادعة لم تتحقق بعد انتصار الحلفاء ، فلم تقم الدولة العربية الموعودة فى الحجاز ، وإن وزع أبناء الشريف على دمشق وبغداد والأردن وقد أنشئت إمارة شرق الأردن لتكون ظهيراً لمشروع الدولة اليهودية حيث تولاها الملك عبد الله وهى آخر ما بقى من سلطان الهاشميين بعد سقوط عرش العراق .

ولقد كان ما أطلق عليه (الثورة العربية) التى قادها الشريف حسين علامة على التحول الخطير الذى صدع وحدة الإمة الإسلامية ، وثانى الضربات التى وجهت لتوسيد مشروع إسرائيل (بعد إسقاط عبد الحميد والخلافة) حيث تخلصت الدولة العثمانية من الطابع الإسلامى جملة ، وقادها كمال أتاتورك ـ بعد أن سيطر الاتحاديون عليها وأدخلوها الحرب العالمية لتهزم ـ قادها إلى العلمانية وجعلها مثلاً يحتذى أمام قادة العرب فى التحول الخطير من دولة الخلافة إلى دولة علمانية أوروبية تكتب باللاتينية وتتنكر للإسلام واللغة العربية وتولى وجهها شطر الغرب .

أما البلاد التى كانت تمثل الشطر الآخر من الدولة العثمانية فقد قسمت بين بريطانيا وفرنسا وإيطاليا حيث قامت نظم ليبرالية انفصالية تقوم على مفهوم الدولة القومية (كما كان يدعو إليه لطفى السيد وطه حسين) التى تستمد تاريخها من الفرعونية والبابلية والأشورية ، وبدأت تقاوم النفوذ الأجنبى العسكرى والسياسى وقد سيطر على أنظمة الحكم هـؤلاء الذين أعـدهم الاستعمار لاحتلال السلطة وإدارة دفة البلاد .

وكان الولاء للغرب واضحاً فى كل خطوات القادة والأمراء والحكام حتى إذا انتهت الحرب العالمية الثانية ، سيطر نفوذ الولايات المتحدة بوصفها الوريثة لنفوذ الغرب بعد تراجع بريطانيا وفرنسا ؛ وقد قادت الحركة الصهيونية ورسمت خريطة جديدة للبلاد العربية ، وكان أبرز مظاهر هذا العهد كما أسلفنا الحكم العسكرى القائم على انقلابات عسكرية ويبدو أنه قد وضع للتنفيذ كما يرى صاحب كتاب (لعبة الأمم) لأنه أصلح الأنظمة التى تحول دون قيام المؤمنين بتحرير فلسطين وإقامة

فريضة الجهاد ، ذلك لأن أصحاب هذه الأنظمة قبلوا بوضع سيطرة إسرائيل على فلسطين ووجهها جهودهم إلى تثبيت وجودهم داخلياً .

وكانت حركة الجيش فى مصر التى تولاها جمال عبد الناصر والتى تعاونت فى مرحلة من مراحلها مع حزب البعث السورى فى إقامة الوحدة التى هزمت بعد قليل وتلا ذلك قيام الانقلاب العسكرى فى العراق على يد البعث العراقى .

وقد كان بعث سوريا الذى سيطر على الحكم بعد فشل الوحدة المصرية السورية ممثلاً لطائفة العلويين التى تنتسب إلى طائفة النصيرية إحدى فرق الشيعة الغالية .

وقد قام حكم الجيش فى مصر وفى غيرها من البلاد التى وقعت فيها الانقلابات وفى الجزائر بعد ثورتها وتسلم ضباط جبهة التحرير لها ـ على مفهوم القومية العربية والدولة القومية العلمانية المفرغ من المضمون الإسلامى والمرتبط بالماركسية والولاء للشيوعيين فى تحول معارض للنفوذ الأمريكى .

وكذلك مضى نفوذ السوفيت يزداد عن طريق الأنظمة العسكرية فى سوريا والعراق والجزائر واليمن الشمالية وحمل معه الفكر الماركسى ونظريات الصراع الطبقى والحرب المعلنة على كل ما هو إسلامى حتى كان رئيس تحرير إحدى كبرى الصحف اليومية فى مصر يمنع ذكر اسم النبى محمد متبوعاً بعبارة (ﷺ) .

وقد أدى هذا فى مصر إلى فشل الوحدة السورية ومؤامرة اليمن وجاءت نكسة ١٩٦٧ التى كانت بمثابة الهزيمة الساحقة التى ألمت بمصر والبلاد العربية والتى تمثل قمة التحول الخطير الذى أصاب البلاد العربية بقيادة عبد الناصر .

وكان أخطر ما هنالك لجوء التقدميين الماركسيين بقيادة عبد الناصر إلى عون ما يسمون الرجعيين من السعوديين والليبيين فى سبيل دعمهم بما يعوض خسارتهم من غلق قناة السويس والسياحة على النحو الذى قام به الملك فيصل رحمه الله .

أما البعث فقد استطاع أن يسيطر على النفوذ فى سوريا والعراق بمفاهيم القوة والعنف والإبادة ومن خلال مفاهيم بعيدة كل البعد عن أصول الثقافة الإسلامية العربية مستمداً مفاهيمه من العلمانية الغربية والقومية الوافدة ممتزجة بالماركسية على نحو يصور الاتجاه القومى على ما سارت إليه أوروبا فى مفهوم الصراع وإعلاء العنصر واحتقار الدين .

وقد ربط البعث السورى مفاهيمه هذه بالنحلة النصيرية التى هى بمثابة فرقة من غلاة الشيعة الكارهين للإسلام الذين يربطون أنفسهم بعبادة غير الله تبارك وتعالى ولهم تاريخهم الأسود فى حقدهم على أهل السنة وعلى مفاهيم الإسلام ، ولهم روابطهم مع فرق أخرى أشد خطورة كالدروز وغيرهم .

وكان النفوذ الفرنسى قد أولى هاتين الفرقتين اهتماماً كبيراً وأفسح لهما وجوه التعليم والسيطرة والنفوذ ، وأتاح للنصيريين التعليم فى المدارس الحربية على ولاء لهم من أجل إعدادهم لهذ الدور الخطير الذى سيطر بعد الحرب العالمية الثانية والذى كان من قواعده حماية الوجود الإسرائيلى فى فلسطين .

وكان ميشيل عفلق قد أقام هذا الحزب من جماع العناصر والأقليات الكارهة للسنة والإسلام جملة ، فجمع فى حزبه النصارى واليهود والمارون والنصيريين والدروز وكل هذه الفرق تصوغ من جديد قوة حاقدة كارهة للإسلام ومقاومة لنفوذ الصحوة الإسلامية .

أما فكرة البعث فقد أنشأها الغرب المسيحى وتحت راية الكنيسة فى الفاتيكان لضرب الإسلام بالعروبة وقد كوفىء منشىء حزب البعث وهو ميشيل عفلق بأن منح أرفع وسام يمنحه بابا روما وقال له فى سبب منحه هذا الوسام كلمته المشهورة : إنه أدى للمسيحية خدمات أكبر من قادة الحروب الصليبية .

ولقد كان واضحاً أن قادة البعث يحملون لواء الازدواجية فى الولاء ، ظاهرها النفوذ الماركسى الشيوعى وباطنها الولاء الأمريكى .

ولقد حاول عبد الناصر أن يسلك نفس الطريق ولكنه عجز عن ذلك ، فحين اختلف مع الأمريكيين انضم إلى الشيوعيين فقطع على نفسه خط الرجعة واستطاع الشيوعيون أن يحصروه فى دائرة ضيقة حتى انهزم فى ١٩٦٧ وكانت هزيمة ١٩٦٧ بمثابة موت له كما عبر عن ذلك حسين الشافعى غير أنه ظل يتقدم نحو النهاية حتى مات كمداً سنة ١٩٧٠ .

ولقد نشرت فى السنوات الأخيرة أبحاث كثيرة تكشف عن حقائق هذه

الزعامات حتى قال حمدان التكريتى وزير الدفاع العراقى إن أحد هذه الزعامات كان بمثابة عميل صنعته المخابرات الأمريكية وإن حزب البعث كان ينفق ٨٦٠٠ دينار شهرياً لبسط نفوذ البعث فى القاهرة ؛ وأن خطتهم كانت تحويل الناصريين إلى بعثيين ، أما موقفهم من الإسلام سواء فى العراق أو سوريا فهو موقف الطغاة ، فقد بلغوا غاية الإرهاب والظلم فى معاملة علماء المسلمين والشباب المسلم وكان أسلوب البعث فى التعامل مع أعدائه كريهاً .

وهكذا كان هذا التيار التقدمى الماركسى الذى قاده عبد الناصر وميشيل عفلق وحلفاؤهما فى مصر والعراق وسوريا من أخطر التيارات التى أساءت إلى الأمة الإسلامية عامة والتى عوقت النهضة الصحيحة وحالت دون سعى العاملين لقيام نظام إسلامى جامع .

وقد اتخذ الدكتاتوريون أسلوب الماركسية ، فهو أقرب الأساليب إلى تحقيق سيطرتهم وإذلالهم للناس ، فادعوا أنهم يساريون أو اشتراكيون ، حيث وضعوا فى أيديهم جميع القوى والأدوات وانتهى أمرهم إلى نوع من الحكم يدمر كل شىء وأوله إذلال النفس الإنسانية وكرامتها .

وكذلك فعلوا (من مضى منهم ومن بقى) ، وفى بعض البلاد جرى مسح الأرض ومن عليها ودفنها تماماً .

أما الهاشميون فقد كان الملك عبد الله على قمة الولاء البريطانى وله دوره الخطير فى حرب فلسطين إذ سلم اليهود أجزاء كثيرة منها وقاد المعركة لحساب الصهيونية .

وجاء بعد ذلك الخلاف العميق بين عبد الناصر من ناحية والملك حسين والملك فيصل من ناحية أخرى علامة على عمق اختلاف الوجهة والمفاهيم .

يقول الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى: إن موقف الملك حسين منذ توليه الحكم حتى الوقت الحاضر تشوبه علامات استفهام متعددة ، فمن المعروف أنه كان لفترة طويلة من ركائز السياسات الغربية فى الشرق الأوسط وأن بريطانيا والولايات

المتحدة قد وفرتا الحماية لعرشه فى مواجهة المخاطر التى كانت تهدده .

وبالتالى فإن مما لاشك فيه أنه كان على استعداد لتنسيق المواقف مع الغرب سواء فى خطط الأحلاف التى سعت بريطانيا إلى تنفيذها فى أعقاب الحرب العالمية الثانية أو فى محاولة احتواء المد القومى العربى المعادى للغرب وبخاصة بعد ظهور عبد الناصر على الساحة العربية وتزعمه للاتجاهات القومية ، وهنا نجد الملك حسين ينضم إلى اتحاد الملوك المناوئ للجمهوريات الناشئة فى مصر واليمن وسوريا والعراق وقد اصطنع المرونة مع الفلسطينيين مع الاعتماد على الغرب حين تحتدم الأمور .

وقد لعب دوراً مهماً فى التمهيد لأحداث يونيو ١٩٦٧ .



قد كانت الناصرية والبعث والحزب القومى السورى وغيرها هى ثمار العمل على تمزيق وحدة الأمة الإسلامية وقد حملت هذه الأحزاب طابع الدكتاتورية إلى جوار طابع القومية المستعلية على مفاهيم الإسلام والوحدة العربية الأصيلة .

وكان من وراء ذلك كله حاجز سميك هو مخططات الماسونية وتنفيذ بروتوكولات صهيون .

ولما كانت هذه المخططات تجرى ضد إيمان الأمة الإسلامية وقيمها فإنها سرعان ما تهاوت وتكشفت أغراضها الخفية وذلك بعدوانها الشديد على التيار الإسلامى والعمل على تدميره سواء فى مصر أو سوريا أو العراق .

وقد كشفت تجربة البعث فى العراق نتائج خطيرة فى أمرين خطيرين :

١ ـ فى موقفها من إيران الشيعية .

٢ ـ فى الكويت وما أسفرت عنه الحرب فى الميدانين ومدى الأثر الذى تركته الصراعات بين السنة والشيعة وبين العرب أنفسهم .

والواقع أنه لم تكن الأحزاب السياسية المغربة هى العامل الوحيد الذى وقف أمام

التيار الإسلامى وعمل لمقاومته ، ولكن كانت هناك تيارات أخرى استغلها النفوذ الأجنبى وحرضها على ضرب تيار المنطقة الأصيل والذى هو أساس للنظام السياسى فى دساتير المنطقة .

وكان أخطر هذه التيارات :

١ ـ المارونية التى هى جناح من أجنحة تيار المسيحية .

٢ ـ الكنيسة الغربية التى حاربت الإسلام قروناً طويلة .

٣ ـ تيارات الروتارى والليونز والمحافل الماسونية .



الباب الرابع

القومية عامل أساسى لتحطيم الوحدة الإسلامية

إن من يطالع كتابات القوميين سواء من كانوا على صلة بالماركسية أو الأحزاب القومية يؤمن تماماً بأنها تمثل طليعة المخطط الذى رسمه المستشرقون والمبشرون ودعاة الماسونية والروتارى والليونز فى سبيل دعم مفاهيم العلمانية وفصل الدين عن السياسة وإعلاء مصطلحات مفرغة كالثورة والتقدمية .

وتضم كتاباتهم كل ما تريد أن تقول الصهيونية أو أن تصل إليه والتعمية على دور الإسلام فى التحرر والمقاومة وعن صلاحيته للحكم واستمراره منذ فجره فى أداء دوره إلى اليوم وحاجة البشرية إليه .

ذلك أن الإسلام هو الدين القوى القادر على تحطيم أحلام الصهيونية فى المنطقة العربية وطرد مفاهيم العلمانية وكافة المبادىء الدخيلة على مفهوم الوحدة فى إطار النظريات القومية .

وأخطر ما تقوله الأحزاب القومية والعلمانية : إن الدين من الموروثات القديمة البالية التى يجب التخلى عنها كلية .

تدعو الأحزاب القومية إلى تخطى الموروثات المختلفة فى المجتمع العربى والتخلى عن الظاهرة الدينية من أساسها .

وحين تراجع ما قدمته الأحزاب العلمانية تجد ثقافة مختلطة قوامها القومية الضيقة والاشتراكية والاستعلاء بالعنصر والسيطرة الدكتاتورية وهى فى مهدها مع العلمانية والفكر الغربى والماركسية ، وكل هذ مختلط فى أسلوب عجيب وله روافد

أخـرى تتـمثل فى (الحـداثة فى الأدب) واحتـقـار التـاريخ والتـراث الإسـلامى واللغـة العـربية .

وحرب معلنة على ما يسمى القديم (وهو يستهدف الدين) حيث تنكر هذه الأحزاب (البعث والوحى والغيب) .

تعمل هذه الأحزاب القومية لخدمة الاستعمار وتأخير تحقيق الهدف الإسلامى وتدمير الوجود الإسلامى بقتل قادته والقائمين عليه .

وقد تبين أن منظمات الأحزاب العلمانية والقومية تضم مجموعات من الملاحدة والماركسيين يقودهم ويوجههم عدد من الرفاق النصارى يرون أن توجيه العداء للصهيونية من منطلق دينى يساعد الصهيونية على استقطاب المزيد من الدعم والتأييد من البلاد الغربية المسيحية وهم يطرحون هذه المفاهيم المتعلقة بالوجود اليهودى فى فلسطين من أجل إسقاط مبدأ (الجهاد الإسلامى) الذى وضعه الإسلام كحل وحيد فى التعامل مع الغازى والمحتل .

ومن هنا فهم يعالجون القضية الفلسطينية على نفس النسق الذى رسمه النصارى والعلمانيون وذلك للحيلولة دون تمكين التصور الإسلامى من حشد كل المسلمين والعرب فى مواجهة الكيان الصهيونى .

وترمى حركة القومية إلى حشد الطاقات العربية من النصارى واليهود والدروز والإسماعيليين والأشوريين واليزيدية من عبدة الشيطان إلى جانب العرب المسلمين .

وكل هذه مفاهيم رسمها الاستعمار والصهيونية ليلقى إلى العرب والمسلمين بواسطة أناس منهم تحت هالات ضخمة من التنظيمات التى تحمل لواء (الأمة العربية) كذباً وبهتاناً .



ويقرر الباحثون فى المؤتمر الذى عقده المعهد الإسلامى (١٩٨٥) عن القومية وتأثيرها على الأمة الإسلامية :

إن القومية هى المسئول الأول من تفكك العالم الإسلامى لدرجة أن الوفود التى جاءت من غير العرب كانت تقول : لماذا وحدة الصف الإسلامى فريضة وأنتم

تتركوننا ونحن مسلمون مثلكم ، هـل جريمتنا أننا لا نتكلم العربية وأن وجودنا فى الصف أمر غير هام .

ولاريب أن الدولة الإسلامية جزء أساسى ومكمل للإسلام ، والحقيقة أن الإسلام يظل ناقصاً بدون الدولة الإسلامية والإسلام ليس مجرد طقوس للتقوى الذاتية بل هو مخطط وضعه خالق الكون ووضعه بشراً وإنذاراً لكل البشرية ولا يمكن لمسلم ما أن يعيش حياة طيبة فى عزلة ، ولا يمكن أن يزاول حياة التقوى الفردية بعيداً عن الناس والمجتمع .

إن الدولة الإسلامية هى إطار العمل الذى اختاره الله تبارك وتعالى لتسلكه أمة الإسلام للحصول على أهداف الإسلام الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية والثقافية .

إن الالتباس الذى يشوب عقولنا حول منهج الإسلام فى تأسيس الدولة الإسلامية يعود إلى حد كبير إلى سيطرة الغرب السياسية على المجتمعات الإسلامية ، وما إن خضعت الدولة الإسلامية لسيطرتهم حى بدأ يظهر فيها مثقفون ومفكرون وقادة سياسيون قبلوا سلطان الغرب العقلى والثقافى .

وإن أغلب دول العالم الإسلامى القومية غير مستقرة وضعيفة وتوشك على الانهيار ، وأن حلقات الدعم المستمرة فى صورة المساعدات العسكرية والاقتصادية من قبل الدول الاستعمارية الكبرى هى التى تبقى هذه الدول القومية على قيد الحياة .

وأن أياً من هذه الدول القومية لم تتمكن من حل مشكلاتها و مشكلات شعوبها ، ولأن هذه الدول ليست لها جذور فى الإسلام أو فى تاريخ شعوبها فلن يكون تفكيكها صعباً ، ويبدو أن إمكان قيام دولة إسلامية عالمية واحدة الآن أمر بعيد المنال نظراً لموقفنا الحالى ، لدرجة أن معظم النـاس سيعتبرون هذا الهـدف خارج دائرة الواقعية .

إن علينا أن ندرك جيداً أننا لا نستطيع أن نفكر فى تحول الأمة الإسلامية تحولاً شاملاً دون أن نصل إلى قناعة واضحة بأنه لا سبيل إلى المواءمة أو التوفيق بين الإسلام والغرب .

ويخلص البحث إلى أن هناك ثلاث مواجهات رئيسية فى تاريخ الإسلام :

الأولى : أن الدعوة الإسلامية انطلقت إلى الوجود فى أول لحظة ، إنسانية الهدف ، عالمية الاتجاه ، ليست مقصورة على قوم أو إقليم أو عشيرة بل خاطبت الإنسان بغض النظر عن زمانه ومكانه .

الثانية : كانت بعد أن ضرب الإسلام فى الأرض وطوى تحت جناحيه دولتى الفرس والروم ودخل الناس فى دين الله أفواجاً من جميع الأجناس والأقوام ثم بدأت تظهر القوميات بعد حكم الأمويين وظهور حركة الشعوبية والعصبية وظهور دويلات صغيرة كالدولة السلجوقية والسامانية والحمدانية والبوهية وغيرها .

الثالثة : التى انقسمت إلى مرحلتين :

١ ـ الدعوة إلى القومية :

وهى أنه على كل قوم ينتسبون إلى عرق معين أو منظمة محدودة أن يستقلوا بدولة خاصة بهم وبدأ التركيز على الإقليمية وتسربت القومية إلى مركز الخلافة الإسلامية عن طريق أوروبا الوسطى والشرقية عبر قنوات متعددة ومن ذلك الدعوة إلى الطورانية .

وقد أثبت ذلك السلطان عبد الحميد فى مذكراته ثم تسللت عبر طريق الذين كانوا يدرسون فى الغرب أو فى الإرساليات التبشيرية فى البلاد العربية وخاصة فى بلاد الشام .

وكان هؤلاء أول من أسسوا المطابع ونشروا المجلات والصحف وتلاحقت أنواع المتعلمين الذين تلقوا على أيدى هؤلاء فنشأوا الأجيال على أفكارهم التى هى بدورها غريبة المصدر والمنشأ .



كذلك فقد كانت « القومية » أداة تبشيرية فى غرب أفريقيا ، كانت هناك عوامل مهدت لاستعمار أفريقيا أهمها :

أنه بعد الثورة الصناعية فى أوروبا ظهرت الحاجة للمواد الخام وتألفت شركات تجارية للعمل فى أفريقيا وكان مؤتمر برلين ١٨٨٤الذى تم فيه تقسيم القارة الأفريقية إلى مناطق نفوذ بين انجلترا وفرنسا وألمانيا وبلجيكا والبرتغال قد مهد لقابلية

غـرب أفريقيـا للاستعمار ثلاثة قـرون من تجارة الرقيـق ، فذهب ملايين من الشبـاب والشابات الأفارقة مكبلين فى الأصفاد إلى أمريكا لكى يصبحوا هنـاك عبيداً وخدماً .

ثم اشتدت موجات التبشير داخل هذه البلاد السوداء .

وقد رسخ وجودها انفراط الروابط الدينية والسياسية بسقوط الامبراطوريات الأربعة وقيام كيانات سياسية أخرى بدلاً منها ، وشعر الأوروبيون بالراحة تجاه الاتجاهات الجديدة والتى حوت بين ثناياها الحدود واللغات والأجناس والمصالح المشتركة ثم كثرة الفراغ من هذه الدول ثم عوامل الفرقة المتعددة التى ضربت باطنها بها فى كل مكان .

ولقد قامت القوميات المعاصرة فى أوروبا على أنقاض النظم الإقطاعية التى كانت سائدة فى العصور الوسطى ، وإن الصراع المرير ضد نظام الإقطاع ومحاولات شعوب أوروبا للتحرر من الظلم الاجتماعى الذى ولدته تلك النظم السياسية الفاسدة المتحالفة مع الكنيسة قد أدى إلى قيام تحالف بين تلك النظم وبين الكنيسة فى وجه الإصلاحات والثورات الاجتماعية والسياسية إلى جانب محاولات التغيير الاجتماعى والاقتصادى والسياسى .

أما فى الدول الإسلامية فكان الأمر مختلفاً كل الاختلاف ، إذ لم يوجد فيها أصلاً نظام الإقطاع أو المؤسسة الدينية التى تفرض سيطرتها مثل البابوية ، إلا أنها كانت تعانى من ضعف الخلافة العثمانية التى انهزمت فى الحرب العالمية الأولى على يد الدول القومية الأوروبية .

وأصبحت معظم مناطق المسلمين من جاكارتا فى أقصى المشرق إلى موريتانيا والدار البيضاء مستعمرات ومناطق محتلة من قبل الدول الغربية ، وكان تقسيم المناطق المستعمرة قائماً على ضمان مصالح الدول الاستعمارية فكانت محاولات التقسيم التى لم يوجد لها سلاح مثل سلاح القومية الذى استطاع أن يقدم لهم ما يريدون .

ولم يكن هذا البحث وحده هو الذى كشف مدى الخطر الذى حاق بالأمة الإسلامية باستشراء الفكرة القومية التى فرضها النفوذ الأجنبى لهدف أساسى واضح هو إسقاط الوحدة الإسلامية .

قد تكلفوا فى ذلك كثيراً من المغالطات وتزييف المفاهيم فى سبيل وصف الفكر القومى بالعقيدة ، والقول بالعقيدة القومية فى مقابل العقيدة الإسلامية ويتصل هذا بما يردد البعض من أن (العروبة) نفسها دين لأنها وجدت قبل الإسلام وقبل المسيحية أو القول بأن القومية هى نبوءة هذا العصر فليست القومية فى الحقيقة عقيدة أو نبوءة .

ذلك أن العقيدة تعنى منهجاً متكاملاً (أيديولوجية) أو تصوراً جامعاً يفسر الحياة وينبثق عنه نظام كامل فى جميع مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع فهل القومية عقيدة بهذا المعنى ، أو تستطيع أن تقدم تفسيراً للكون والحياة والإنسان ؟ .

لقد حاولت القومية أن تصور نفسها بصورة الاستعلاء العرقى والمنهج الاشتراكى وعمدت إلى تفسير التاريخ الإسلامى منذ ظهور الإسلام إلى اليوم تفسيراً يصدر عن الجنس والعرق ويتحدد بالوطن العربى وبذلك أجهضت مفهومه الجامع الذى تجاوز التمييز العرقى والجنسى ومزج كل القوميات فى إطاره الشامل وأحل مفهوم : ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ بديلاً من مفهوم العنصرية كما أنه قدم للبشرية المنهج الربانى ، أما القومية فلم تجد غير المفهوم اليسارى الاشتراكى الماركسى .

كذلك فإن الفكرة القومية العربية ليست غاية نهائية وإنما هى حلقة من حلقات ومرحلة من مراحل نحو الوحدة الإسلامية وقد تأكدت قيمة هذا بعد سقوط الجهد الضخم الذى بذل لتحقيق الوحدة العربية وفشل هذه الوجهة لأنها لم تبدأ عن طريق الأصالة ، لقد ظن كثيرون أن الوحدة العربية غايةبينما هى مرحلة على الطريق ومن ثم كانت كل المحاولات التى قادها دعاة القومية معوقة لهذه الوحدة عن أن تتخذ طريقها الصحيح .

ولقد دل تاريخ الشرق الحديث ـ فى تقدير باحث منصف كالفريد كانتول سميث على أن القومية المجردة ليست هى القاعدة الملائمة للنهوض والبناء وما لم يكن المثل الأعلى إسلامياً على وجه من الوجوه فلن تثمر الجهود البتة » .

والواقع أن مقولة « سبق العروبة للإسلام » هى مقولة باطلة ومغلوطة ، فقد

كان العرب قبل الإسلام قبائل متصارعة ولم يجمعهم إلا الإسلام وهم اليوم يمرون بنفس التجربة .

لقد دفعتهم القومية إلى الصراع وألحقت بعضهم بالغرب وبعضهم بالشرق ولن يردهم إلى الجادة إلا الإسلام الذى جمع المسلمين تحت لواء واحد فى أيام المحن والأزمات .

لقد وصلت القومية العربية على أيدى قادتها المعاصرين إلى نهاية الطريق المسدود وذلك حين حجب العرب منهج الله تبارك وتعالى واتخذوا من القومية عقيدة أيديولوجية ومن العلمانية منهجاً .

وهى فى خلال هذه الفترات ذات العقود الأربعة لم تستطع أن تحقق أى مكاسب حقيقية بل لم تزد عن شعارات براقة تلهب حماس الشارع العربى ولكنها لا تستطيع أن تحقق نتائج إيجابية .

★ ★ ★

إن سقوط الوحدة الإسلامية جاء مع دعوات الإقليميات والقوميات ولن تعود هذه الوحدة إلا عن طريق وحدة الفكر التى تقوم أساساً على نتائج تصور إسلامى أصيل مستمد من المنابع ، قائم على فهم محرر من تبعية الفلسفات الوثنية والمادية والإباحية سواء منها الفلسفة اليونانية أو الفلسفة الغربية المعاصرة .

ولقد كشفت محاولة الاقتباس التى قام بها بعض المفكرين المسلمين أضراراً بالغة وأثاراً خطيرة ، فقد كانت هذه الأفكار قد فشلت فى موطنها الأصلى فأصبحت أكثر قدرة على تحقيق الفشل عندما نقلت إلى محيط إسلامى يختلف عنها .

إن أكبر العوامل القادرة على إعادة وحدة المسلمين هى وحدة الفكر الإسلامى وأن المنطلق الحقيقى للأمة الإسلامية إلى وحدتها ووسطيتها هو العودة إلى منهجها الربانى الأصيل ، فقد كانت دعوة التوحيد موحدة لها من خلال أنها الأمة الوسط التى كانت خير أمة أخرجت للناس ولن يجمعها إلى محور الوحدة إلا إجماعها الفكرى والثقافى أساساً حول مفهوم الإسلام بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع ، فهو

وحدة القادر على تحطيم تلك الدوائر المغلقة التى تعمل على حبسنا فى إطارات القومية والإقليمية والطائفية والعنصرية .

ومن خلال منهج أصيل للتربية الإسلامية يكون المنطلق الحقيق لبناء العقل المسلم والوجدان المسلم الذى يستطيع أن يقيم قوانينه الاجتماعية والاقتصادية على تشريع الإسلام .

وفى مقدمة ذلك تحرر المناهج التعليمية والثقافية المعاصرة من معطيات الفلسفات المادية والوثنية وإعادة النظر فى مذهب التفسير المادى للتاريخ ونظرية دارون ومفهوم فرويد للجنس ومفاهيم دوركايم فى الأخلاق ووضع مقدمات للعلوم التى تدرس فى جامعاتنا توضح دور المسلمين فى بناء هذه المناهج .

ولابد أن يحاط ذلك كله ببناء الإيمان واليقين فى نفوس المسلمين بحيث لا يستهينون بالعقبات التى توضع أمامهم لتأخير وصولهم إلى امتلاك إرادتهم والتى تحول دون وحدتهم .

وذلك إيماناً بأن العودة إلى الله تبارك وتعالى هى وحدها السلاح القادر على إقامة وحدة المسلمين .

والإيمان بأن هناك مخططاً واسعاً يرمى إلى إخراج الإسلام من ذاتيته الخاصة وإخراج المسلمين من مفهوم الإسلام الجامع الصحيح وعلينا أن نحمى وجودنا من نظريات الفصل بين الماضى والحاضر أو احتقار التراث أو تفسير التاريخ الإسلامى تفسيراً مادياً أو ماركسياً أو النيل من بطولات المسلمين أو امتهان الصحافة لهم بتحويلهم إلى سياسيين محترفين .

وقد ثبت بما لايدع مجالاً للشك أنه لا توجد ثقافة عالمية يشترك فيها جميع البشر وأن الثقافة مرتبطة أساساً بالعقائد والأديان والتاريخ واللغة وقد تأكد أن فكرة التطور وفكرة التقدم وفكرة المتغيرات لها فى مفهوم الإسلام تصور جامع بين الروح والمادة مما يختلف اختلافاً واضحاً عن مفهومها فى الفكر الغربى .

وفى مجال العلوم تبين أنها لا يمكن أن تؤخذ من الغرب إلا بمثابة مواد خام يشكلها المسلمون فى دائرة مفهومهم للعلم والحضارة فلسنا نريد أن نُحتَوى فى دائرة

التكنولوجيا العالمية فننصهر فيها ونكون جزءاً من ذلك النظام العالمى العلمى والاقتصادى ذلك لأن للإسلام مفهوماً مختلفاً تماماً بعيداً عن الاحتكار والربا والعنصرية وإعلان شأن العنصر والعرق والجنس الأبيض والسيطرة على الآخرين ، وأننا لسنا مستعدين أن نحتوى فى بوتقة حضارة تلفظ أنفاسها الأخيرة .

ونحن نقول مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب :

(**نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فإن ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله**) .

ونقول : الإسلام وليس القومية هو حضارتنا وطريق مستقبلنا .



الباب الخامس

قوامه القومية والماركسية

كانت الصهيونية فى سبيل وجودها على أرض الإسلام قد رسمت نظاماً جامعاً بين القومية والماركسية ليكون بديلاً وحجاباً حاجزاً عن الإسلام القادر على تدمير النظم الباطلة .

لقد زحف الخطران معاً فى مركب واحد ليحاصرا الإسلام من كل الجوانب ، أما القومية فقد تكشفت سمومها ومحاذيرها وبقى أن نتحدث عن الماركسية ، فقد نشأت الاشتراكية من رحم الرأسمالية ثم صارعتها خلال سبعين عاماً ثم عجزت عن إصلاح نفسها واعتبرت منهجها له قداسة النبوات والأديان ، فى الوقت الذى ثبت منذ اليوم الأول أن النظرية عارضت العلم والفطرة والتاريخ ، وأن ماركس تعمد التماس أحداث معينة (انتقائية) ليبنى عليها نظرية كان قد حددها مسبقاً ثم بحث لها عن النصوص التى تؤيدها .

وهى من أجل عدم اتساقها مع الفطرة والعلم وحقائق الحياة والتاريخ لم تلبث إلا قليلاً حتى أصابها العطب واضطر المتمسكون بها إلى تعديلها بالإضافة والحذف ، بل لقد اضطروا فى وقت ما إلى إخفاء جوانب منها كانت قد نقلت من بعض مظاهرها العلوم التجريبية التى تجاوزتها الأحداث فيما بعد .

وكان استعلاؤها وغرورها فى إنكار الحقائق الأساسية لهذا الكون وخاصة الخالق تبارك وتعالى والكتب المنزلة والأديان والأنبياء والدين الخاتم على وجه الخصوص .

كما أنكروا أثر الدين فى المجتمعات والحضارات وحركة الأمم وأقاموا منهجاً مضاداً هو علم الإلحاد مخالفاً لطبيعة النفس الإنسانية التى كانت تعتمد على التوافق والالتقاء وحلول روح التكامل بين القيم والتوازن بين الأوضاع .

وكان الغلو فى إنكار الدين والألوهية والعنت هو مقتل الماركسية الذى نفذ إلى قلبها ، وكذلك كان إنكار كرامة الإنسان واعتباره ترساً فى آلة .

وكان فهم التطور على أنه تطور مطلق ، والتنكر للثوابت الأساسية فى نظام الكون والمجتمع والحضارة هى أيضاً مقاتل للماركسية والشيوعية جميعاً .

لقد كانت هذه المرحلة بمثابة محاولة خطيرة لفرض نظام الإلحاد على العالم كله وقطع الصلة بالأديان المنزلة وذلك فى سبيل خدمة الهدف الذى رسمته الصهيونية أساساً لفرض سلطانها ونفوذها على العالم بمحو العلاقة بين الإنسان وخالقه وقد تحطمت الآن هذه المحاولة بعد أن زعزعت إيمان الملايين وأزعجت كل ذى لب ودفعت المثقفين إلى البحث عن الدين الحق .

ولا شك فى أن الخروج من مأزق الماركسية الآن لن يكون لحساب الرأسمالية أبداً وإنما سيكون لحساب الدين الحق الذى يستطيع أن يملأ القلوب إيماناً وأمناً ويقدم للنفس الإنسانية السكينة والسماحة والرضا .

وإذا كانت الماركسية قد سقطت اليوم (١٩٩٠) فإن الفرويدية والوجودية ومفاهيم علم الاجتماع (دور كايم وليفى بريل) وغيرها قد سقطت جميعها وقد تكشف للبشرية مدى خطئها وفسادها واضطرابها .

وإنما جاءت الماركسية اليوم لتؤكد أن الفكر البشرى الذى صنعته عقول وأهواء مفكرى اليهودية (استمداداً من التلمود والبروتوكلات والفلسفة الماسونية) هؤلاء المتطلعين إلى السيطرة على العالم وإقامة حكومة العجل الذهبى والداعين إلى الاستعلاء والتحرر والاندفاع وراء الشهوات والأهواء والمطامع والجرأة على الله تبارك وتعالى بالإنكار له ولأنبيائه وكتبه وغيبه ، وكل ذلك قد سقط تماماً ولم يعد يستطيع أن يحقق أى سعادة للنفس البشرية ولاطمأنينة لها ولا إيماناً .

ولقد تأكد أن هذه المفاهيم جميعها كان مصدرها التلمود والتوراة التى كتبها الأحبار والتى صدرت عن حقد اليهود على البشرية كلها وطمعهم فى السيطرة عليها وإذلالها وفرض إمبراطورية الربا على العالمين .



الدين أفيون الشعوب :

فى سنة ١٩١٨ صدر مرسوم فى الاتحاد السوفييتى الوليد بعد عام واحد من قيامه بفصل الكنيسة عن الدولة والمدرسة وتصفية وجود الكنيسة فى مواجهة الثورة البلشفية وتعهد قادة الثورة بأنهم سيحققون لأتباعهم فى الدنيا ما وعدت الأديان بتحقيقه بعد الموت فى العالم الآخر ، وقالوا إن الأديان تعد أتباعها بجنة فى العالم فيما بعد .

وبدأ منذ يومئذ تدريس الأفكار المادية والتباهى بالإلحاد ، وكان المنطق الذى يساق لهؤلاء أن الدين يخدر النفس عن ضرورة تغيير الأوضاع وأنه يلعب مع الشعوب دور الأفيون وبالتالى فهو سبب تخلف الشعوب .

ومرت ٧٢ سنة وأفلس البلشفيك فى تحقيق الجنة التى وعدوا بها الناس على الأرض وقدموا بدلاً منها طوابير من ملايين الجوعى الذين ينتظرون دورهم لشراء الطعام ، كما فشلوا فى الوقوف فى وجه الفطرة الإنسانية السليمة التى تتجه إلى الإيمان بالله تبارك وتعالى .

والواقع أنه لا يمكن دراسة هذا الخطر الذى احتضن الأمة الإسلامية إلا بمراجعة واسعة مع مخطط غزوها للوطن العربى واتخاذ بعض الأحزاب والتنظيمات منهجها أساساً لنظام اجتماعى على النحو الذى حدث فى مصر وأندونيسيا والجزائر وسوريا والعراق ، وفى غانا وتنزانيا وزامبيا وأنجولا وموزمبيق وأثيوبيا من خلال ادعاء بأن روسيا عدوة الاستعمار الغربى وأنها تستطيع أن تساعد الأقطار المتحررة من الاستعمار فى بناء نفسها .

هذه هى الخدعة الكبرى التى خدعت قادة كباراً أمثال سوكارنو وجمال عبد الناصر دون أن يقرأوا التاريخ أو خطوط السياسة العالمية كما رسمتها الصهيونية من خلال الماسونية حين تأكد أن الصهيونية والشيوعية وجهان لعملة واحدة ، وأن النظام الشيوعى لا يستطيع أن يساعد العرب والمسلمين على مواجهة الصهيونية .

لقد خاب أمل ثلاثين دولة أفريقية فى الشيوعية (كما يقول دكتور مصطفى

محمود) عندما أرادت هذه الشعوب أن تستقل وتتحرر فاختارت الماركسية وتحدثت عن الطبقة الفقيرة وانكسار أعناق الدول الاستعمارية التى تعيش على ثروات أفريقيا بينما الشعوب صاحبة الثروات تقف جائعة ، تعيش على فتات الموائد الأوروبية والأمريكية .. هذه الدول عليها ديون تبلغ ٢٧ ألف مليون دولار لا تستطيع سدادها ، لقد ضللت الشيوعية زعماء الدول الفقيرة وجاء الزعماء فأضلوا شعوبهم .

وقال جورباتشوف : لقد أسرفنا فى الوعود وأسرفنا فى استخدام اللون الوردى لكل شيء وأخيراً لم يعد لدينا أكاذيب جديدة ، وكانت الشعوب ضحايا أكاذيب قادتها .

لم يكن للماركسية نظام اقتصادى مستقل ولكنها كانت بمثابة رد فعل لغلواء الرأسمالية ولم يكن ماركس قد درس التاريخ البشرى ولكنه اختار بعض المواقف لتأييد نظرية وضعها من قبل ذلك وكان فيها على خطا الصهيونية فى السيطرة على العالم وحبس بين النظريتين الرأسمالية والماركسية لخدمة هدف السيطرة اليهودية على العالم .

ولقد كان الهدف من الماسونية أساساً تدمير الأديان ، وكان حصار الدين المسيحى هو الهدف الأول وقد تحقق هذا فى عملين كبيرين :

الأول : الثورة الفرنسية التى قامت باسم النهضة العلمية الصناعية والتنوير والتحرر من قيود الأساطير والكهنة ، وإعلاء العلم المادى على الدين (بمفهومه الذى عرفته أوروبا وليس بمفهوم المسيحية المنزلة) .

ومن خلال الثورة الفرنسية سيطر اليهود على ركائز المجتمع الأوروبى كله وكسروا القيد الذى كانت تفرضه الكنيسة على اليهود بحبسهم فى الجيتو وأصبح فى يدهم كل مقدرات المجتمع الأوروبى وخاصة فى مجال الفن والثقافة والسياسة والاقتصاد والقانون .

وسجن القساوسة والرهبان داخل الكنائس والأديرة وتوارى الدين فى أركان الظلام وقبر رجاله وهم أحياء وزحفت العلمانية الملحدة على عرش الغرب كله وزحفت من بعد إلى بلاد العالم الإسلامى كتركيا ومصر وتونس وأندونيسيا وغيرها

(كما ذكر الأستاذ عبد القادر أحمد فى بحث له) واستطاعت الثورة الصناعية الملحدة فى أوروبا أن تحارب الدين بشدة وضراوة .

الثانى : ثم قامت الثورة الثانية الملحدة فى روسيا على أساس إنكار وجود الله تبارك وتعالى والكفر بالغيب كله ونبذ الدين وحرق رجاله وأتباعه وحكمت الشيوعية تحت أسماء الاشتراكية والشعبية والجماهيرية والثورية والتقدمية أكثر من سبعين عاماً.

ثم اكتشفت الشعوب المغلوبة أنها فقدت كل شيء حتى جاء جورباتشوف ليهيل التراب على الماركسية فى عاصمتها موسكو .

كان هذا هو مخطط الماسونية والبروتوكولات وقد نفذ تماماً ، كانت تهدف إلى حرب الدين المسيحى أولاً ثم الإسلام ، وأسالت دماء المؤمنين بالله أساساً ، ولكنها لم تلبث أن انكسرت وسنحت الفرصة للمسلمين أن يتقدموا لإنقاذ العالم ولا تزال الفرصة قائمة ليقدموا الإسلام للبشرية ديناً صحيحاً .

وفى مصر جاءت قيادات اليهود لتحكم الحصار على المسلمين والعرب .. يقول عادل حسين : كانت الحركة الشيوعية فى مصر منقسمة إلى تنظيمات ثلاثة :

الأول : يقوده هنرى كوريل .

الثانى : هليل شفانزر .

الثالث : بقيادة جاكو دى كومب .

والثلاثة يهود .

والواقع أن الشيوعيين ما كانوا يدعون لاستقلال حقيقى ولكن كانوا يقصدون إحلال الهيمنة السوفيتية محل الهيمنة الأمريكية ، وإذا كان القصد تحقيق (العدل الاجتماعى) فإننا نقول : إن النظام الشمولى الذى بشروا به لم يحقق ما يدّعون ، وأكثر من ذلك فإن الدعوة للعدل الاجتماعى ودعم الفقراء لا تتطلب الإلحاد والكفر بالله تبارك وتعالى كما تدعو فلسفتهم (المادية الجبرية) .

وكان الوصول إلى الحكم يتطلب فى النظرية الشيوعية قيام ثورة دموية عنيفة . ومن هنا كان اعتزازهم باللون الأحمر .

وهكذا جاءت الثورة الشيوعية مكملة للثورة الفرنسية وجاءت الماركسية بمثابة الوجه الآخر للحضارة الغربية التى قامت على الاستعمار ونهب ثروات الأمم وتدمير وجود الإنسان واستغلاله واستعباده ، وقد قامت فى مواجهة الرأسمالية وخدعت الناس بالدعوة إلى العدل والمساواة .

ثم تبين أن العقل اليهودى من وراء الرأسمالية والماركسية على السواء ، وأن القوتين خاضعتان لقوى أخرى مسيطرة من وراء الحكومات والنظم هى الصهيونية .

وكان النظام الرأسمالى (الذى رسمه اليهود) قد بدأ فى بريطانيا ١٦٩٠ ثم امتد إلى غرب أوروبا ووسطها وشمال أمريكا ثم غرب الباسفيك وقد ارتبطت الرأسمالية بالنفوذ الاستعمارى والنهب الدولى واستغلال المواد الخام والأيدى العاملة وقد قامت الرأسمالية على استغلال الإنسان وتكديس ثرواته لصالح فئة محدودة من الانتفاعيين والاستغلاليين ولم ينته الاستعمار وإنما تقدم تحت أسماء أخرى ولا تزال الرأسمالية تهيمن من خلال قوى ظاهرة .

وقد قسمت الرأسمالية العالم إلى طبقات وتعمل الرأسمالية على أن يصبح الإنسان مستهلكاً ، والاستهلاك سبيل العبودية الدائمة وبالسيطرة على وسائل الإعلام ، تسيطر على المرأة والطفل وقد استطاعت الرأسمالية السيطرة على الصناعة ومواردها الأولية وأسواقها المتعددة والشعوب المستضعفة .

وفى خلال الصراع بين الشيوعية والرأسمالية ظهرت علامات خطيرة من التحول ، فقد كانت الشيوعية تطمع فى أن تقضى على الدين كلية وتفرض الدكتاتورية والصراع الطبقى على العالم بينما كانت الرآسمالية تطمع فى أن تحول العالم كله إلى سوق مالية تستعبد فيها الشعوب ويقضى على مفاهيمها وقيمها ولكن حدث أن ظهرت فى خلال الصراع علامات جديدة أهمها :

١ ـ الابتعاث الدينى كظاهرة عالمية .

٢ ـ الإسلام يسجل قدراً ضخماً من الانتصارات فى أجواء الغرب نفسه .

٣ ـ انهيار الأيديولوجيات حين طبقت فى البلاد الإسلامية .

٤ ـ عجز الاستشراق والتبشير عن استيعاب المؤمنين وانهيار مخططهما .

٥ ـ عودة المسلمين إلى منابعهم بعد أن ظن الغرب أنهم قد نسوها ودخلوا دائرة الانصهار فى الغرب .

وقد تشكلت الحركة الشيوعية فى مصر من خلال نظرية المراحل ومفادها أن الحركة الشيوعية يتعين أن تنمو خلال مراحل ، فالمرحلة الأولى يجرى فيها استيراد وزرع النظرية الماركسية فى المجتمع المصرى وأكثر القيادات أهلية للنهوض بهذه المهمة هم المثقفون الملمون بثقافة أجنبية لأنهم أقدر على استيعاب أدبيات الماركسية وهم أناس نشأوا فى مصر ولكنهم تلقوا تعليمهم فى مدارس أجنبية (المدارس الفرنسية ـ الليسيه ـ الجزويت) .

ثم تأتى مرحلة المتمصرين ثم العمال والمثقفين والطلبة .

وكان القادة اليهود هم الذين أعادوا تأسيس الحركة الشيوعية المصرية فى الأربعينات .

قال كوريل : أن هويته اليهودية ، هى التى قادته إلى اعتناق الشيوعية وأن تأسيس الحركة الشيوعية المصرية كان لحماية الهوية اليهودية وكان من هدفهم ألا يكون القوميون العرب معادين لإسرائيل .. وهو ما تحقق بعد ذلك بثلاثين عاماً من خلال اتفاقات كامب ديفيد بما يعرف بالتضحية بموقف مصر القومى من منطلق الالتزام بالهوية المصرية فقط مقابل اتفاق سلام غير متكافئ مع إسرائيل ، مضمونه الحقيقى إفساح المجال أمام إسرائيل كى تحقق أهدافها الصهيونية التوسعية .

ولقد كان الشيوعيون العرب والمصريون الذين سيطروا على الإعلام والصحافة فترة عقد الستينات اللعين هم تلاميذ اليهودى الصهيونى هنرى كوريل أول شيوعى مصرى زرع الصهيونية العالمية فى بلادنا ليكون طابوراً خامساً لتدمير قيم مصر وشبابها .

فالماركسية الشيوعية (من ماركس إلى لينين) مؤامرة دبرت بإحكام من قبل الصهيونية العالمية لتخريب الشعوب والتآمر على البشرية حتى يسهل إقامة إمبراطورية صهيونية فى أرض العالم بدءاً من فلسطين .. فماركس ولينين يهوديان صهيونان ولا يستبعد أن يكونا من حكومة صهيون الخفية .

إن أكبر أخطاء ماركس هو تصوره إمكان وضع نظام بشرى ليحكم العالم كله ويكون أشبه بمناهج الأديان أو النبوات ، وقد خفى عليه عجز مثل هذه المعطيات عن الاستجابة للزمن المتغير والبيئة المختلفة ، وهو ما حدث فعلاً ولما يمض على وفاة ماركس إلا سنوات قليلة ، يقول وحيد الدين خان : إن الخطأ الذى ارتكبه فيلسوف الشيوعية ماركس هو افتراضه أن الإنسان وبقية أجزاء الكون المادية أجزاء مجموعة واحدة ، فالإنسان والكون عنده يخضعان لقانون مادى واحد مثلما تتبع التربة والماء قانوناً واحداً ، ومن هنا انطلق ماركس إلى الادعاء بأن القانون الذى يحدث التغيير فى الكون المادى هو ذاته الذى يحدث التغيير فى المجتمع البشرى ، وهذا هو الخطأ الفكرى والأساسى الذى سقطت فيه الفكرة الماركسية ، ذلك الخط الذى أدى إلى بطلان كل البنيان الفكرى الذى أنشأته هذه الفكرة .

لقد ظن ماركس أن الإنسان عميل لا خيار له فى الخضوع لقوانين الكون الطبيعية بينما الحقيقة هى أن خاصية الكون فى انعدام الخيار لا تنسحب على الإنسان بل على العكس من هذا فالكون هو المجال الأرحب للخيار والحرية التى يتمتع بها ابن آدم .

ومن ناحية أخرى فإن ماركس « فيما يسمى علم الاقتصاد الماركسى » لم يكن على تمام الإلمام بتاريخ الاقتصاد البشرى واعتمد فى مساحات واسعة منه على تخمينات وضعية .

ومن ذلك أنها تقسم تاريخ الإنسانية إلى مراحل أربع :

١ ـ مرحلة الشيوعية الليبرالية .

٢ ـ مرحلة الرق وفيها اكتشف الإنسان الزراعة .

٣ ـ مرحلة الإقطاع وهى الرأسمالية .

٤ ـ مرحلة الشيوعية ، حيث سيادة الشيوعية على العالم كله حيث لا أسرة ولا ملكية خاصة ولا قوانين ولا مبادئ .

وفيها أصبحت الطبقة الكادحة هى لب الفكر الشيوعى وأصبحت هى الفردوس الذى كان يحلم به الناس .

وهذا التصور لم يتحقق وأعلن قادة الشيوعية أن إفلاس النظرية الماركسية جاء نتيجة طبيعية لفشل السياسات التى اتبعتها الدول الشيوعية وأكدت أن النظام الذى اتبع خلال سبعين عاماً ليس هو النظام الصحيح .

★ ★ ★

يقول وحيد الدين خان : إن الزمن الذى عاش فه ماركس والتحديات التى كانت غالبة فى عصره هى التى فرضت عليه نظريته فلما تعثرت الظروف بدا أن النظرية فقدت كثيراً من قيمتها الحقيقية .

وكان الخطأ هو الظن بأن ما وصل إليه هو قانون عام أو أنه مقتضى التاريخ نفسه .

وكان الوضع الناشئ من احتكار البعض لإمكانات الثورة الصناعية له أثر كبير فى مفكرى أوروبا حيث أخذوا يفكرون فى إنقاذ مجتمعهم من هذا الاحتكار وظهر من بين هؤلاء ماركس الذى حول رد فعل الفكر الأوروبى ضد الرأسمالية إلى فلسفة قائمة بذاتها وكانت هذه الفلسفة شكلاً جديداً من أشكال الاستعلاء (عرفها ماركس بأنها تجرد ملكيات الذين يجردون الآخرين من ملكياتهم) .

والواقع أن ماركس لم يقم بمجرد التأكيد على ضرورة هذا الحل الذى اقترحه بل تقدم إلى الأمام فزعم أن هذا الحل هو مقتضى التاريخ وأنه حتمية من حتميات التاريخ .

وظن ماركس ورفاقه أنهم اكتشفوا بصورة ما أسرار القوانين التى تحكم مسيرة البشرية .

لكن تجربة الزمن أثبتت أن تحليل ماركس لأحوال زمانه كان خاطئاً

وقد أخفى الشيوعيون تجربتهم الدموية طويلاً ، حتى جاء خروشوف عام ١٩٦٥ ففجر قنبلة جرائم الشيوعية أمام المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفيتى وفى عام ١٩٦١ كشف خروشوف حملته ضد ستالين والستالينية .

وتم نقل جثمان ستالين من ضريح لينين وأعيد دفنه فى قبر متواضع بالقرب من سور الكرملين .

وهكذا اختفى ذكر ستالين من وعى الأجيال الجديدة فى الاتحاد السوفيتى وأضحت الستالينية البغيضة تهمة لا تقل بشاعة عن النازية والفاشية وتكشف الأمر عن عنصر قمع وقهر وإرهاب .

وظل الأمر كذلك حتى جاء جورباتشوف فكشف أمر الماركسية نفسها وتكشفت جرائم لينين نفسه الذى كان مؤسس النظام والذى طبق نظرية ماركس على نحو دفع بتماثيله تحت الأحذية والأقدام .

وقال جورباتشوف : إن الماضى لا يقدم حلولاً للمشكلات المعاصرة ولا يحمل لنا سوى دروس تؤكد لنا أننا لا يمكن أن نعيش كما كنا نعيش فى سابق الأيام وبهذا حدد موقفه من نظريات لينين التى جثمت على العقلية السوفيتية عشرات السنين وتبين أن النظرية العلمية التى وضعها لينين كانت محض تزييف وأصبحت فى حاجة إلى تطهير وهى كلمة مهذبة تعنى فى الحقيقة أنها بالية يجب أن تأخذ طريقها إلى مزبلة التاريخ .

★ ★ ★

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل لقد أوقفت الجامعات السوفيتية تدريس الماركسية اللينينية وأحيطت تماثيل لينين بأقفاص من حديد .

وقالت جريدة برافدا : إن لينين لم يكن قديساً على الإطلاق .

ولم يقف الأمر عند هذا بل لقد أحرق جثمان ستالين ولينين وحطمت تماثيلهما وطوردت سلالتاهما وفضحتا بهما ومزقت كتبهما وأصبح الذين يعرفونهما ينكرونهما .

بل لقد أثبت الزمن أن الحل الذى اقترحه ماركس لعلاج مشاكل البشرية هو أبشع أنواع الظلم وهكذا رفضت تجربة التاريخ كل الأسس التى اعتمدها ماركس لبناء مبادىء فلسفة المستقبل (وهو عنوان كتاب لماركس) .

إن هذه التجربة التاريخية هى حكم التاريخ على الماركسية ولكن اتباع ماركس رفضوا قبول هذا الحكم وكان هذا يعنى مواجهة كل نقيصة من نقائص الماركسية وخطأ من أخطائها ، فقد اخترع هؤلاء تأويلات كلامية واهية وادعوا أنها حقائق جديدة .

وبينما كان هدف ماركس هو إعداد أتباعه لخوض الحرب الطبقية كان النظام الرأسمالى قد عدل من خططه وأثبت ؛ وأن ما أخذه ماركس على الرأسمالية من الممكن وجوده الآن فى حوزة الاشتراكية .

وما قامت الحرب العالمية الأولى حتى خذل عمال العالم النظرية الماركسية وأيدوا الأنظمة الحاكمة فى بلادهم ونهج العمال طريقاً مخالفاً للميثاق الشيوعى الذى وضعه ماركس .

أما لينين فقد أوجد تناقضات جديدة فى الماركسية خلال سعيه لإزالة التناقض واخترع الماركسيون اصطلاحاً جديداً هو (الماركسية اللينينية) لربط أفكار لينين بفكر ماركس وزعموا أن هذه الخطوة ليست انحرافاً عن الفكر الماركسى بل تطوير له .

★ ★ ★

ولم يقف الأمر عن هذا الحد ، فقد أدخل تعديلاً جديداً عندما تسلم الحكم ستالين ١٩٢٥ : ستالين الذى دمر الشعوب وخاصة الشعوب الإسلامية وقتل عشرات الملايين منهم فى مجزرة بشرية حيث أباد الجماعات الإسلامية بكاملها وهّجر المسلمين من بلادهم فى روسيا وأحل محلهم مستوطنين من روسيا والنصارى .

أما المسلمون فنقلوا إلى سيبريا وغيرها .

ومرحلة ستالين هى مرحلة عبادة الفرد .

ورأى الذين كانوا يشيدون به يخجلون من اسمه ، هكذا فى دورة زمان واحدة .

وكذلك فعلت الشيوعية بماوتسى تونغ وشاوشيسكو .

ولا نزال نذكر الثورة الثقافية التى قام بها ماوتسى تونغ معبود الشعوب الإله الذى سجد له ألف مليون صينى ومرغوا الجباة فى التراب وثورته التى قتل فيها سبعة ملايين صينى ونفى وعذب وسحق أضعاف هذا العدد وشاوشيسكو الأسطورة الذى كانت له دولة تحت الأرض من الحراس والبوليس وأجهزة الأمن وكان اسمه أغنية وخطبه محفوظاته ثم ظهر بعد ذلك أنه سفاح قاتل إرهابى ولص سرق اللقمة والقوت والأنفاس من شعبه .

ومازلنا نذكر (جيفارا) فى جبال بوليفيا التى انتشرت موجة من التقديس له وسقط شبابنا وفنانونا ضحايا لموجة التدليس والتزييف العالمى ، وعمت الصحف والكتب أكاذيب خلال سبعين عاماً ولكن الباطل لايستطع أن يستمر .

ويقول الفيلسوف السوفيتى اليكساندر تسبيكو :

لقد أثبتت الماركسية أنها نظام فاشل بكل المقاييس ولو قرأت كتاب (رأس المال) فلن تصل إلى الصفحة الثالثة منه إلا وقد اتضح لك أن الأغنياء هم وحدهم الذين يمكن أن يؤمنوا بالماركسية .

إن الماركسية عقيدة الذين يعيشون على هامش الحياة ولا يستطيعون الاندماج فى المجتمع لقد هاجم ماركس الأسرة والحكومة والأمة والملكية الخاصة والدين ونسى أن هذه هى الأسس الأصيلة للحضارة .

لقد كان ماركس مفكراً بلا روح .

وكتب روبين نابث (مجلة يواس بنور) الأمريكية :

لقد كانت اللينينية نظاماً انقلب فيه نظام القيم رأساً على عقب وأصبح الكذب فضيلة والإحسان كلمة قذرة والسلوك القويم مرادفاً للثورة المضادة وأصبح الخوف والفساد من طبائع الأمور .

لقد كان سقوط اللينينية درساً كبيراً لكل الأنظمة الشمولية فى عالمنا الحديث فرغم أن اللينينية استطاعت أن تحيا وتستمر رغم الحرب الأهلية والتطهيرات الجماعية والحرب العالمية الثانية وفرضت نفسها لمدة سبعين عاماً إلا أن بناءها بدأ الآن فى الانهيار السريع .

إن دروس سقوط اللينينية تؤكد أن أتباع الأيديولوجيات الشمولية إذا ساورهم الشك فى عقيدتهم فإنهم يهدمون المعبد بما فيه .



التحول الفكرى العالمى نتيجة الشيوعية

جاءت الماركسية مرحلة تالية للعلمانية والإلحاد والفكر الباطنى والوثنى الرومانى المتجدد فى حضارة الغرب ، فهى تمثل أشد تطورات الفلسفة المادية عنفاً وترفاً بعد أن مر هذا الفكر فى مراحل متعددة حتى جاءت الماركسية لتقدم أخطر مفاهيم الحرب على الأديان وعلى الفطرة وعلى الطبيعة البشرية ، فمن خلال الصراع الدموى والحكم الدكتاتورى واستباحة كل قيم الأخلاق وآداب المجتمعات وأصول الروابط بين الأمم تظهر الماركسية علامة على قمة التحول الخطير الذى تنتظره البشرية من خلال حصاد التلمود والبروتوكولات ومخططات الماسونية .

يقول أحد الباحثين :

أنجب القرن التاسع عشر فى أوروبا ـ وهو قرن العلم المادى ـ ثلاثة مفكرين أصبحوا أكثر من مفكرين وصاروا أوصياء فكر وفلسفة لأوروبا العلمانية المادية التى فقدت إيمانها بأديانها .

كان الثالوث الجديد الذى أحلّته أوروبا محل ثالوثها المسيحى القديم (الأب والابن وروح القدس) يتكون من :

(دارون وفرويد وماركس)

١ ـ أما الدارونية فقد أعطت نظرة للحياة والأحياء من خلال مفهوم التطور ولم تقصر خطورتها وجاذبيتها على ميدانها العلمي والبيولوجي الخالص بل اقتحمت سائر مجالات الحياة وأدقها وأخطرها إلى صميم ظواهر القيم والأخلاق والفكر والدين التى أخضعها أصحاب التطورية الجديدة لمجهول التطور المادى وتعاملوا معها كما تعاملوا مع الخلية فى المجهر .

٢ ـ وجاءت الفرويدية لتعطى نظرة مادية مماثلة للفرد الإنسانى الذى أرجعته بالدرجة الأولى إلى البعد الجنسى واحتقرته بكل أبعاده المتشابكة فى بوتقته بل ردت

أعماق اللاوعى الذى اكتشفته فيه إلى ذلك العامل الشبقى المكبوت .

٣ ـ ثم جاءت الماركسية فواصلت التفسير المادى وعمقته من الفرد الواحد إلى الجماعة الإنسانية فغدا المجتمع بالدرجة الأولى نتاج بعده الاقتصادى والمادى ومحصلته قبل كل شىء .

وهذا يعنى أنه بالرغم من اختلاف مجال البحث والنظر بين الفرد الواحد لدى فرويد إلى المجتمع الشمولى لدى ماركس فإن النظرة بقيت هى نفسها النظرة المادية الوثوقية المغلقة التى وصفها رواد العلم المادى فى بدايات ما عرف بعصر التنوير الأوروبى وانطلقت منها أوروبا إلى النظر إلى كل شىء فى الوجود .

كان القرن التاسع عشر قرن السيادة الأوروبية المطلقة على العالم والسيادة الفكرية الكاسحة لفلسفتها المادية .

وأصبح الثالوث الأوروبى الجديد يحكم الحياة والفكر والنظم الاجتماعية والسياسية ليس فى أوروبا وحدها وإنما فى الغرب كله وحيث استطاع النفوذ الغربى أن يمتد إلى القرن العشرين ويجىء بمفكرين ظلوا بشكل أو بآخر مفسرين للثلاثة أو متابعين لهم :

ـ لدارون فى نظرته إلى الحياة .

ـ لفرويد فى نظرته إلى الإنسان .

ـ لماركس فى نظرته للتاريخ والمجتمع .

وظل التأثر بهؤلاء الفرسان الثلاثة ومحاولة الغوص فى أعماق فكرهم وتفسيره واشتقاق المناهج والمذاهب منه ثم محاولة التوفيق بينهم (وخاصة بين الفرويدية والماركسية) لاستخراج النظرة الشمولية إلى الحياة والكون .

ومع انتصاف القرن العشرين بدأ السحر ينقلب على الساحر ، فقد تضاءل وهج الدارونية أولاً أمام تساؤلات علماء الأحياء الجدد أنفسهم وتراجعت النظرية الفرويدية مع غوستاف يونغ الذى حول اللاوعى الجنسى إلى اللاوعى الروحى .

ثم جاء الطب النفسى الجديد ليجعل من التحليل الفرويدى مجرد فرضية أدبية وقتيــة .

وظلت الماركسية صامدة لأنها ارتبطت بمعسكردولة عظمى على الرغم من التساؤلات الفكرية بشأنها ثم حدث الانهيار الكبير ليكشف نهائياً عن الخلل الخطير فى الفكر .

وهكذا تدخل أوروبا والعالم المستمد من عالم القرن الواحد والعشرين بعد أن تحررت من جميع الأوصياء العمالقة المفكرين الذين أنجبهم القرن ١٩ وتحطم الثالوث الجديد .

وبينما كان ماركس ينزل من عليائه مع المتغيرات الأخيرة كانت الأبحاث والوثائق تكشف لنا فرويد رجلاً لا يتصف بالنزاهة والأمانة العلمية ويزور فى وصف الحالات النفسية لإثبات نظريته .

فهل انتهت الدارونية والفرويدية والماركسية ؟

انتهت كنظم مغلقــة قائمة بذاتها تدعى ملكيتها للحقيقة النهائية وتنفى كل ما عـداها .

أخطر ما فى هذه المذاهب دعوى كل منها أنها منهج كامل كأنه دين أو بديل عن الدين .

وسيبقى منها ما بقى من الأفلاطونية والأرسطية .

ونتساءل : من سيملأ الفراغ الفكرى والروحى فى أوروبا والغرب مكان الأسلاف المتهاوين ، أى فكر جديد ؟ هل تحل التقنية محل الأيديولوجية كما يقولون أو سيظل الإنسان بحاجة إلى فكر واعتقاد ونظر يوجه كينونته الإنسانية ويعطى الحياة والكون معناهما ؟ .

إن أوروبا قد تحررت من أسلافها المفكرين المهيمنين على حياتها ومفكريها خلال فترة لا تتجاو القرن من بداية سطوتهم وأعادت النظر فى أسس فكرهم وبدأت

تبحث عن حقائق جديدة ونظم جديدة بمعزل عن تأثيراتهم ومقولاتهم التى تجاوزها الزمن والواقع والحياة .

★ ★ ★

وبعد فإذا أردنا أن ننظر إلى التجربة الشيوعية كواقع لوجدنا أنها كشفت عن عديد من المعارضات للفطرة وأنها عارضت تيار التقدم البشرى :

أولاً : كشفت التجربة الشيوعية عن إهدار الكرامة الإنسانية ، وذلك بالقضاء على مفهوم فردية الإنسان وحريته الخاصة وكرامته .

ثانياً : تدمير الأخوة الإنسانية وذلك بإثارة روح العصبيات والحقد بين الطبقات .

ثالثاً : إذلال الإنسان وتحقيره وذلك بجعله أشبه بترس فى آلة ليس له الحق فى امتلاك كيانه الخاص ولا مقدراته الحرة .

ـ ومن ناحية أخرى لم تكن الشيوعية اشتراكية أو اشتراكية علمية وإنما كانت تلفيقاً فلسفياً وفكراً يهودياً صنعه ماركس لتحويل العالم إلى حمامات دم وإلى صراعات رهيبة بين يمين ويسار .

ـ وكان من أكبر أخطاء النظرية الماركسية اعتماد ماركس على المبالغة وإنكار الذكاء الإنسانى كعامل من العوامل التى تميز الفرد عن الآخر فى البيئة الواحدة .

ـ كذلك فقد أخطأ ماركس فى تقديم المادة على الفكر ولو أنه قال : إن العلاقة بينهما علاقة متبادلة لكان أقرب إلى الصواب .

ـ أخطأ ماركس فى مسألة الحتمية ، والحتمية لا تتفق مع إرادة التغيير والحتمية لا تجعل من الإنسان إزاء تطور التاريخ إلامراقباً وهذا يتعارض مع مسئولية الإنسان فى الاكتساب كما قررها الإسلام .

وكان تجاهل ماركس للدين بوصفه منهج الحياة الأصيل سبباً فى أخطر الأزمات وهى أزمة الانشطارية والانفصال بين الروح والمادة فليست القوانين التى

صنعها الإنسان إلا نتاجاً هيناً لعقولنا البشرية القاصرة وأن الإيمان بالله تبارك وتعالى هو الذى يدفع الإنسان إلى العمل وليس العقل ، والدين وحده هو الذى يقدم لنا حلاً لمشكلات البشرية وقد استطاع الإيمان الدينى والوحى الإلهى أن يمنح أسلافنا يقين النفس وأمن الحياة .

لقد جعل الإسلام الإنسان مزاجاً من المادة والروح وليس مخلوقاً أرضياً صرفاً ولا مخلوقاً روحياً صرفاً وعمل الإسلام على تأكيد ذلك المزج بين روح الإنسان وجسده حتى لا يقع فى تناقضات تجعله مهتز العواطف وقد مزج الإنسان بين وسائل الحياة وجعل حاجات الجسم إذا تمت بطريقة خاصة فى خدمة الروح .



نقد الماركسية

لم تكن الماركسية إلا نظرية بشرية وضعت من خلال العقل البشرى القاصر المحدود الذى يتصرف فى حدود التحديات التى تواجهه فى عصر محدود وبيئة محدودة .

وقد قدمها ماركس باسم العلم وهى مبنية على الرغبة والتمنى لا على الحقيقة، فالماركسية لا تعدو أن تكون فلسفة ضالة لم تصمد أمام اختبار العلم والمنطق يوماً واحداً ولقد ظلت تتغير بفعل عدم قدرتها على الاستجابة لتحولات العصر حتى قال عنها (سيدنى هول) :

إنها المجىء لماركس على غرار المجىء الثانى للمسيح حيث لا يوجدمجرد فكر مترابط يمكن إطلاق اسم الماركسية عليه .

وقد انطلقت الماركسية من نفس يهودية حاقدة على المجتمع الإنسانى كله فكانت نقمة ماركس ضد المجتمع الرأسمالى الذى كان ينقم على اليهودية كدين وشعب معاً بعد أن صارت طبقة مستقلة جديدة تنافسهم الثراء .

ولم يكن ماركس قد اطلع على منهج الإسلام ومجتمعه فضلاً عن مطالعته للتاريخ البشرى ، فقد كانت نماذجه انتقائية وفق ما يطابق نظريته التى وضعها أساساً ثم بدأ يجمع لها الأمثلة من التاريخ ولم يكن العكس هو الصحيح بأن يبدأ بدراسة وقائع التاريخ التى يمكن أن تسلمه إلى النظرية .

ومن أخطائه تأكيد ماركس على ثورة الطبقة العاملة وأنها لا تكون إلا عنيفة ودموية إذ ينفى عنها الصفة السلمية تماماً .

كذلك من قصور النظرية اقتصارها على المجتمعات المصنعة وحدها .

أما فكرة الصراع الطبقى فقد كانت أسوأ ما ركزت عليه النظرية .

وقد سقطت كل تنبؤاته واستطاعت القوى العاملة فى أوروبا أن تصحح وضعها دون صراع أو ثورة بحيث تتفادى الوقوع فى الماركسية .

وقد جاءت النتائج مخالفة تماماً لتوقعاته ، وأولاها : قيام الثورة فى بلد زراعى متخلف كروسيا .

وأخطر من هذا كله أن النظرية المازكسية حاولت أن ترسم للكون وللخلق نظاماً بشرياً فى محاولة لتكون ديناً ، وقد جاء هذا النظام وفق مفهوم مادى صرف وانطلق من فكرة الصراع الطبقى ولكنه عجز عن العطاء وسرعان ما اصطدم بالمتغيرات .

وقد كشف الباحثون أن النظرية الماركسية اعتمدت على جذر من العلوم التجريبية ثم ثبت تحوله وسقوطه .

قال سنتاجو جريلو الشيوعى الأسبانى : إن الطبقة البروليتارية التى ادعى ماركس بأنها ستتولى أمور الدولة بعد الثورة مضطهدة ومستغلة من قبل طبقة جديدة لم يتنبأ بها ماركس أبداً .

★ ★ ★

هذه الطبقة تمارس الامتيازات التى للطبقة البرجوازية فى المجتمع الرأسمالى .

ومنذ أن قامت الدولة البلشفية على مبادئ ماركس وهى تواجه اللطمات والأخطار والتحديات نتيجة فساد التشكيل الفكرى أساساً وجرى البحث عما إذا كان سبب الأزمة الخطأ فى النظرية أو التطبيق ومحاولة الادعاء بسلامة النظرية بل بخلودها ونسبة الأزمات إلى عملية التطبيق .

ولكن الواقع يؤكد أن المخطط لم يكن مطابقاً للتحولات الطبيعية التى تجرى فى المجتمعات ولا موازناً لسنن التغيير بل كان الأمر فى أوله وآخره يقوم على فرض الأوضاع بالعنف والقتل والإرهاب على النحو الذى فعله ستالين فى إقامة الدولة الشيوعية فى روسيا ، فقد كانت الماركسية فى مجموعها منافية للفطرة والطبيعة وأبرز مظهر لانحرافها عن سنن الحياة هو فكرتها التسلطية الرافضة التى تحرم النشاط الاقتصادى الخاص .

بل إن ماركس فى إبان حياته تنبه إلى التحدى الخطير الذى لم يلتفت إليه أول الأمر وهو (سنن التغيير فى المجتمعات) فقال : إن أجزاء من البنيان الشيوعى قد شاخت أى سقطت أهميتها وثبت خطؤها وقال المراقبون : إن من حقهم بعد مرور

قرن من الزمان أن يقولوا : إن أفكاره كلها شاخت وتبين أن الماركسية لم تكن كنظرية سوى إفراز ردىء للحضارة الغربية يتمثل أكبر ما يتمثل فى فضح إفلاس هذه الحضارة .

وأن الماركسية عندما تعلن اليوم أنها تمثل إفلاس آخر نظريات الغرب فإن الطريق أصبح ممهداً للإسلام كى يسود العالم بلا نزاع ولا منازع .

ومنذ ظهرت الأنظمة الشيوعية فإنها تعانى أزمات اقتصادية وسياسية وعقائدية تهزها من جهاتها الأربع مما لم يكن وارداً فى حسابات البلاشفة خلال الاندفاع الثورى ١٩١٧ .

إن سبع عشرة دولة شيوعية يعيش فيها ما يربو على مائة مليون نسمة فى حالة سيئة من العوز الاقتصادى .

ولم تجد هذه الدول أمامها من سبيل لمواصلة الحياة إلا أن تفتح أبوابها للاستثمارات الأجنبية وتسعى للانفتاح على العالم الخارجى وهكذا سقطت نظرية ماركس التى أريقت من أجلها الدماء وسحقت شعوب بأكملها وطمست هويتها ظلماً وبغياً وغررت بأجيال كاملة لتنسلخ من عقيدتها وتراثها فى سبيل (ديكتاتورية البروليتاريا) أو الجنة الموعودة على الأرض .

وكان أكبر هزائم هذا النظام :

أولاً : التخلى عن وجهات النظر القديمة القائلة بحتمية الصراع الطبقى .

ثانياً : التخلى عن وهم تحقيق الثورة العالمية .

وقال جورباتشوف كلمة حاسمة رددها من ورائه الملايين بأن التجربة الماركسية فشلت لأنها لم تطعم جائعاً ولم تكس عرياناً ولم تحقق الفردوس المفقود ، فالشيوعيون ازدادوا بؤساً ، فهم الفلاسفة الجياع ، وازدادوا تمزقاً ؛ فهم المؤمنون الخاسرون .

أما الكاسبون الرابحون فهم الأمريكان واليابانيون والألمان والفرنسيون والإنجليز .



إن سقوط الشيوعية شهادة للإسلام بإخفاق الأنظمة والفلسفات البشرية فى مواجهة منهج ربانى عادل كامل للحياة وإن سقوط الشيوعية إنما يعنى سقوط أشد جوانب الفكر المادى قساوة وانحرافاً وتطرفاً .

ولقد تبين موقف الإسلام من النظريتين الرأسمالية والشيوعية فهو يرفضهما جميعاً وقد أعلن كبار مفكرى الغرب عن عجز كل منهما عن تحقيق المجتمع الأمثل وبعد أن تبين للعرب والمسلمين فى أكثر من موقع عجزهما عن التطبيق .

تأكد هذا من التجربة أو التطبيق فى مصر والسودان وغانا وأندونيسيا وتبين أن المسلمين ليسوا فى حاجة إلى نظام يقوم على إنكار وجود الله تبارك وتعالى ومحاربة النوازع الفطرية فى الإنسان كنزعة الحرية والإيمان فضلاً عن أن الإسلام يجمع بين خير ما يقدمه النظامان ويتجنب أخطاءهما وقد ظن البعض أن الحرية هى الأساس وظن الآخر أن العدل الاجتماعى هو الأساس ولكن الإسلام يقرر أنهما متكاملان وأنه يقدم منهجاً يحقق سيادتهما على المجتمعات .

إن أكبر عبرة لسقوط الشيوعية هى أن أى منهج يقوم على غير الأصول الربانية فلابد أن يهوى ويسقط مهما تذرع بشتى الحيل فى سبيل البقاء والاستمرار وقد اعتمدت الشيوعية المقاييس الزائفة والنظريات الباطلة واستعملت الوسائل كلها دون جدوى .

وقد جاء سقوط الماركسية الشيوعية قبل الموعد الذى حددته بروتوكولات صهيون آية ودليلاً على الهزيمة التى ستمنى بها الديمقراطية الغربية والصهيونية معاً فى القريب ما دام المسلمون قد أصروا على الثبات والتمسك بدينهم .

إن أخطر ما منيت به الصهيونية فى هذا العقد الأخير من القرن العشرين الميلادى هو سقوط ربيبتها وصنيعتها الشيوعية التى أعدتها لتكون الوجه الآخر للصهيونية فى استيلائها على البشرية .

وتتناثر الدعاوى المضللة بأن الشيوعية لم تسقط وإنما تمر بأزمة والواقع أن الشيوعية قد سقطت منذ أكثر من ثلاثة عقود ولكنها كانت تعانى حشرجة الموت ، فقد سقطت فكراً وتجربة ونظاماً وتطبيقاً أمام القانون الإلهى الذى لا يتخلف .

﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ... ﴾ .

سقطت لأنها كانت تحمل فى طياتها عوامل سقوطها واندثارها ، لقد كانت الشيوعية الماركسية ضد الفطرة وضد الطبيعة الإنسانية وضد العلم والفكر وضد المجرى العام للتاريخ الإنسانى .

ولذلك نجد أن مشاهير المفكرين فى الغرب قد رفضوها رفضاً تاماً ، وهذا شيخهم برتراند راسل يقول :

إن عناصر الفلسفة الماركسية التى استمدت من هيجل كلها غير علمية .

* يقول جون كينز : إن كتاب رأس المال الذى جمع فيه كارل ماركس مذهبه الاقتصادى كتاب مبتذل ليس له أهمية فى العلم الحديث ولا يطبق فيه .

* أما أرنولد توينبى فيقول : إنه رفض النظرة الماركسية للتاريخ وأن كثيرين نفوا عن الماركسية صفة العلم فليس من الغريب أنه تسقط الماركسية ولكن من الغريب أن تبقى . (محفوظ على عزام) .

إن من يدرس الشيوعية يجد أن الصهيونية قد ألقت إليها كل عناصر التدمير والإفساد والإباحية وارتفعت بها درجة عن الفكر الغربى العلمانى لتحقيق هدفها الرئيسى وهو إسقاط المجتمع البشرى فى براثنها .

ولاريب أن فشل الماركسية هو مفتاح لدراسة فشل الرأسمالية والديمقراطية وأنه قد انفتح باب الإيمان بالأديان المنزلة وأن سقوط الفرع يوحى بفساد الأصل فما الماركسية إلا رد فعل داخل دائرة الرأسمالية .

ولقد نادت شعوب كثيرة منذ وقت طويل بالدعوة إلى نظام عالمى جديد وذلك بعد أن فشلت الحضارة المعاصرة وتبين عجزها عن العطاء وتعقدها . والحقيقة أننا نحن المسلمين ننظر إلى الرأسمالية والماركسية بمفهوم الإسلام فنرى عجزهما معاً ورفضنا لهما معاً .

ونرى أن القرآن الكريم قد أعطانا منهجاً ربانياً جمع فى نسق واحد خير الفردية وخير الجماعية ، ولن ينسى المسلمون الظلم والنهب والإبادة التى قام بها النظام الرأسمالى والاستعمار والسيطرة على مقدرات الأمة الإسلامية خلال أكثر من قرنين

من الزمان خاصة بعد أن كشفت أبحاث المفكرين الغربيين عن عجز النظام الديمقراطى عن تمثيل الشعوب وأنه ليس إلا نفس مفاهيم ديمقراطية أثينا القديمة التى كانت تقيم العدالة بين السادة وحدهم وتحرم منها العبيد والملونين .

ولن يستطيع أى نظام عالمى جديد يقوم الآن مقام الرأسمالية أو الماركسية أن يتجاهل هذه القاعدة الإسلامية العريضة بما تحمله من منهج مختلف . وهى لا تستطيع على المدى الطويل أن تحول دون قيام هذا المجتمع من خلال نظامه المتميز وأخلاقياته وقيمه .

بل إن المسلمين يجب أن يكونوا قادرين على أن يقدموا الإسلام كبديل لكل الأنظمة البشرية ، حيث تقدم مبادىء الإسلام أرفع صور العدل والسماحة والأخلاق بعيداً عن التعصب والعنصرية وحيث يحل التوازن وتحل المواءمة بين القيم المتعارضة أو المتصارعة ، وتفهم التقدم على أنه تقدم مادى وروحى فى نفس الوقت ، على أنه ترابط بين الماضى والحاضر ، والدين والعلم ، والأصالة والمعاصرة ، مع القضاء على كل طوابع التناقض والازدواجية وغيرها .



الباب السادس

التغريب الماركسى بعد الغزو الغربى

يمكن القول اليوم أن هذه الجولة التى بدأت مع مطالع مفاهيم الثورة الاشتراكية والعلمانية قد انتهت إلى قبض الريح وحصاد الهشيم ، فقد قامت أساساً على غير قاعدة أصيلة من القيم الإسلامية العربية ومن المفاهيم الصحيحة المستمدة من العقيدة والانتماء والتاريخ المتصل بأمجاد هذه الأمة وتراثها وإنما كانت فى مبدئها وامتدادها ومنتهاها أشبه بعاصفة مضطربة حاولت أن تؤكد على مجموعة من المغالطات والأكاذيب وجمعت نتفاً من مفاهيم الأيديولوجيات والنظريات الغربية المتضاربة فى مختلف محاولاتها ، ولم تكن أسلوباً لبناء حضارة أصيلة ممتمدة على جذورها الصحيحة ، وإنما كانت أشبه بإعصار تسوقه أهواء ومطامع ، ولذلك فقد مضى يضرب يميناً وشمالاً حتى أوفى على غايته اليوم ، فإذا هو ركام وأصبح الذين حملوا لواءه أشبه بأوراق الخريف التى تتساقط هنا وهناك وهكذا ينتهى أى عمل يقوم على غير أساس أصيل من قيم الأمة التى تحمل لواءه .

لقد كانت هذه الموجة التى بدأت بعد الحرب العالمية الثانية بمثابة مرحلة تالية لمرحلة التغريب والغزو الثقافى التى بدأت مع الاستعمار أصلاً ومن خلال مؤسساته ومدارسه ودعاواه والتى جاءت الدعوة الإسلامية لتكشف زيفها وتعلن أصول النهضات فى الأمم التى تريد أن تستعيد مكانتها وقد استطاعت أن تبنى قاعدتها للبناء وتواجه هذ الحملات الضاربة التى ساقها النفوذ الأجنبى وأدواته من الاستشراق والتبشير والتغريب من خلال مؤسسات المدرسة والصحافة والمحكمة والمصرف .

وفى الوقت الذى كانت اليقظة تأخذ طريقها لتفرض وجودها الحقيقى إذا بها تواجه بإعصار خطير يتمثل فى قوى ثلاث :

هى العلمانية الغربية والماركسية والصهيونية وكأنها قد تجمعت ونسقت عملها من أجل احتواء الأمة الإسلامية والسيطرة عليها وإذابتها فى بوتقة الحضارة الغربية

المادية الإباحية ، ومن ثم كان هذا العمل الأدبى والفكرى والاجتماعى الذى نشأ وتطور خلال هذه الفترة ١٩٦٢ ـ ١٩٧١ والذى أطلق عليه عقد الستينات اللعين حيث سيطرت وتعانقت مفاهيم الماركسية والعلمانية ونشأت تلك الأسماء ذات الأقلام المسمومة التى سيطرت على أدوات النشر : الصحافة والمسرح والإعلام .

وبرزت في هذا المجال كتابات العلمانيين ودعاة الحداثة والإباحة والجنس فيما أطلق عليه ظلماً وعدوانا أسم (الإبداع) والفن والتى استوعبت عدداً من الكلمات المهومة المستقاة من كتابات الباطنية والغنوصية .

والتى كان جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة قد أدخلاها إلى اللغة العربية فى العصر الحديث ثم اتسع نطاقها من حيث أعيد صياغة الأساليب المظللة التى عرفتها كتابات ابن عربى والحلاج وابن سبعين وغيرهم .

وكان أثر الماركسية على الأدب والفكر بعيد الأثر وكانت سيطرتها على الشعر والقصة فى نفس الوقت الذى كان أثر العلمانية قد سيطر على التاريخ والمجتمع والمرأة والاقتصاد .

ثم سيطرت الماركسية على العلمانية ولم تلبث أن سقطت الماركسية وتحول الماركسيون إلى خدام وتابعين للذين يحملون لواء معاداة الإسلام .

وفى هذه المرحلة فتحت الصحف أبوابها للأسماء اللامعة سواء أكانت ماركسية أم علمانية واحتضنت كتابات هؤلاء الذين كانوا يتقحمون على الناس من خلال القصة ثم لم يلبثوا أن تراجعوا إلى كتابات التعليقات الصحفية .

لقد تحول الأدباء من كتاب قصة إلى كتاب مقالات وتحول الشعراء إلى نقاد .

وجاءت مرحلة ثالثة وراء المرحلتين لتجمع شتات هؤلاء الملاحدة الماركسيين وتجعل من أحقادهم أسلحة يضربون بها فى وجه الإسلام .

ويرون فى كتابات لويس عوض ويوسف إدريس وإحسان عبد القدوس وجه مصر وإبداعها وذهب زكى نجيب محمود وأحمد بهاء الدين وصلاح حافظ وموسى صبرى ونجيب محفوظ إلى نهاية الشوط فى إعلان الخصومة للأصالة ولقيم هذه الأمة وعقيدتها ومقوماتها إنهم إنما يحاربون حرباً خاسرة . ويدخلون معركة فاشلة ،

ذلك لأنهم يقاومون سنن الحضارة ، والمجتمعات الأصيلة ويعارضون الأصالة والفطرة والثوابت التى أقرها الإسلام منذ أربعة عشر قرناً .

وقد قدموا فى خلال هذه السنوات نتاجاً كبيراً عريضاً يحمل طابع التمرد والتهويم والإظلام والانحلال ويرسم صورة الأزمة والصراع ولا يقدم إلا التضارب والخلاف ، لأنه لم يكن فى يوم من الأيام جارياً مع تيار الأمة أو ممثلاً لروحها أو ملتقياً مع وجهتها ، إنما كان دائماً وفى كل صورة يحمل طوابع التعارض والانحلال والتدمير فى محاولة جريئة خطيرة تريد أن تقتلع هذه الأمة من جذورها وأن تصهرها فى بوتقة غيرها ، هذا النتاج المظلم المضبب الذى يتبين اليوم كم كان ظالماً ومتعسفاً ، لقد تحدثوا عن الأزمة : أزمة الثقافة وما دروا أنهم هم مصدر الأزمة فقد أدخلوا على الفكر الإسلامى الناصع المشرق الربانى تلك المحاولات والمؤامرات لهدم ذاتيته الخالصة وتجريده من طابعه المميز والعمل على صهره فى بوتقة الأممية فلما استعصى عليهم وكشف عن صموده وقوة جوهره عدوا هذا الأمر أزمة وانكب أحدهم يكتب عن الأخطار التى تهدد دعاواهم .

كيف ينهزمون وهم الذين يملكون مقاليد السلطان فى مجال الثقافة والفن والصحافة والمسرح وأدوات الترفيه بينما تتراجع الخطوات وينصرف الحضور ؟ وماذا يغنى عن ذهاب هذه الخيوط المهلهلة التى ظنوها أوتاداً لبقاء مفاهيمهم من أمثال صلاح عبد الصبور وأمل دنقل ويوسف إدريس وعشرات غيرهم من التافهين المنهارين الذين ماتوا على مائدة الدخان الأسود ؟ إنهم يرتعدون فرقاً عندما يرون زعماء عقد الستينات اللعين يتوارون وقد ظنوا أنهم خالدون .

وما دروا أن نتاج عصر الستينات اللعين قد انتهى وأن أوراق الخريف تساقطت وأن شمس العلمانية والبعثية والحداثة ، قد غربت أو أوشكت على الغروب .

إن كل هذه الكتابات المظلمة التى ظنوها أنها تضىء الطريق لعصر قومى ماركسى اشتراكى قد تلاشت وسقطت مع سقوط تماثيل لينين وستالين وداستها الأقدام فى الوحل .

كان الاتجاه الماركسى خلال فترة سيطرته (١٩٦٢ ـ ١٩٧٢) له أسلوبه

الخاص وحركته المتميزة وسلطانه على الصحافة والمسرح والفن وأدوات الترفيه .

وقد نشأ فى تلك الفترة ما سمى بجيل الستينات اللعين الذى لون الحياة الفكرية والأدبية والاجتماعية بلون أحمر قاتم من خلال مجموعة من الماركسيين المحترفين الذين مكنتهم الظروف من تولى مناصب القيادة الفكرية وفى ظلهم نشأ التيار الطليعى الذى أصبح بمثابة قوة سياسية مسيطرة تفرض الإلحاد والماركسية والفكر المادى وتنشئ جيلاً من الشباب على مفاهيم إنكار الله تبارك وتعالى والبعث والوحى .

وسرعان ما هوت هذه الفترة مدمرة فى حرب ١٩٦٧ حيث كانت مصدر هزيمة مصر والسودان وسوريا ولبنان وحيث سقط المسجد الأقصى فى أيدى الصهيونية العالمية .

وأصر الماركسيون على أن الدولة العصرية تتطلب منا أن ننزع أنفسنا تماماً من الماضى ، كل الماضى ، الماضى بكل ما يحمل من مفاهيم ورموز والعمل على حجب هذا التقديم المتمثل فى الإسلام والقرآن والوحى والغيب والنبوة .

ولكن الأمة الإسلامية سرعان ما اكتشفت أسباب الهزيمة الحقيقية وهى التنكر للإسلام ونظامه وقيمه والجرى وراء منهج الماركسية على أنه مصدر للنصر والقوة والتقدم وبناء المجتمع الجديد ، فكان أن كشف هذا المذهب عن عجزه وتراجعه على نفس النمط الذى كشفت عنه من قبل التبعية للمنهج الغربى الذى عرفته البلاد الإسلامية منذ سقوطها فى يد الاستعمار الغربى .

واليوم تعود دورة الفكر والحياة مرة أخرى فنرى أدوات الإعلام والصحافة والمسرح جميعاً تسلم بعد سقوط الماركسية إلى الماركسيين القدامى الذين يحملون الآن لواء ما يسمونه التقدم وحرية الإبداع والتنوير والفرنكفونية والحداثة والمعاصرة .

★ ★ ★

إن عبرة الأحداث واضحة تماماً فقد سقط التيار العلمانى الماركسى الذى ظهر فى الستينات والذى كان من كبرى نتائجه نكسة ١٩٦٧ بما أحدثت من سقوط القدس الشريف فى أيدى الصهيونية ولكن الصحوة الإسلامية التى نبعت من قلب

الهزيمة استفاقت على الحقيقة التى ليس هناك غيرها وهى أن الإسلام هو الطريق الوحيد لهذه الأمة .

ولذلك فقد كانت دهشة التغريبيين لا حد لها عندما انفجرت الصحوة الإسلامية وشملت جميع أقطار الإسلام وكانوا قد ظنوا أنهم قد سيطروا على الفكر والمجتمع فى (مرحلة سيطرة الماركسية) على الإعلام والصحافة والجامعة حيث أخذت القوى كلها تروج للشيوعية والإلحاد .

وكان سقوط الشيوعية فى مسقط رأسها علامة على صدق الصحوة وسلامة منطلقها .

وقد واجه الماركسيون هذه الهزيمة بنوع من الاعتراف والتراجع على نحو من الرثاء للمرحلة العلمانية وللآمال التى كانت معلقة عليها وهى تحمل فى إصرار عنيد إنكار هذا السقوط فى تبجح شديد ومغالطة وعصبية .

ولو كانوا صادقين لعلموا أن إرهاصات هذا التراجع كانت واضحة تماماً عندما رفض الكيان الإسلامى على طول المسافة جغرافياً من جاكارتا وغانا وغيرهما للجسم الغريب حيث عجزت الفكرة الماركسية أن تحقق قبولاً (أى قبول) فى مجتمع ترسخت فيه قواعد الإيمان بالله الواحد الأحد منذ أربعة عشر قرناً .

وكان هذا الرفض مستمراً ومتصلاً من الحملة الفرنسية إلى اليوم ولو صدقوا هذا لعلموا أن (الجزر العلمانى) قد بدأ فعلاً منذ ذلك اليوم وأنه امتد فيما بين سنوات ١٩٧٩ إلى ١٩٩١ حتى أوفى على غايته .

ولقد فجرت هزيمة ومرض وموت رموز العلمانية اليوم القضية حيث سقط يوسف إدريس ، ولويس عوض ، وتوفيق الحكيم ، وتوقف زكى نجيب محمود ، وأحمد بهاء الدين ، واختفت من قبل ذلك وجوه السياب ، وأمل دنقل ، وصلاح عبد الصبور ، وسقطت أوراق الخريف وانتهى الأمر .

أما الذين يظنون أن هناك أملاً فى مد جديد وابتعاث جديد للعلمانية والماركسية فى أسماء تعيش الآن فى مجال العمالة للصهيونية العالمية والنفوذ

الغربى (أو قد تولد من بعد) فإن هذا أمل باطل وزائف سوف تكذبه الأيام .

ولقد كانت تلك المرحلة الماضية هى مرحلة تحفز فى الفكر الإسلامى وقد أيقظت النفوس وصححت المفاهيم ولن تعود .

إن رموز العلمانية الموجودة الآن :

أدونيس وعبد الرحمن بدوى وفواد زكريا وحسن حنفى وإدوار الخراط وأحمد عبد المعطى حجازى إنما يمرون بمرحلة الشيخوخة وأن جيل الستينات اللعين قد انطوت صفحته تماماً ولم يعد كقاعدة ابتعاث تغريبى جديد لا تخدع أحداً وسوف لا تخدع كتابات هذا الجيل مهما ساندها خصوم الإسلام ومهما ترجمها المستشرقون لإبرازهم وتلميعهم فإنها لا تخدع أحداً أبداً .



صراع النظام العالميين فى بلاد الإسلام

عاشت بلاد الإسلام فى ظل النظام الديمقراطى الغربى فرة طويلة خلال احتلال بريطانيا وفرنسا ، وبعد الحرب العالمية الثانية حدثت تحولات من خلال الأنظمة الفردية العسكرية التى سيطرت على أغلب أقطار الإسلام والوطن العربى .

فى فترة النظام الغربى : سيطر على الوطن الإسلامى القانون الوضعى وحجبت الشريعة الإسلامية لأول مرة منذ فجر الإسلام ، فقد سيطر الخبراء والمستشاون الغربيون على جميع المرافق خاصة التعليم والقضاء والصحافة .

وفرض قانون نابليون وأدخلت إلى المناهج التعليمية الأفكار المادية والإلحادية وأخرجت قيم الإسلام ومفاهيم القرآن وفرض دنلوب نظاماً تعليمياً خطيراً هاجم اللغة العربية وأعلى عليها العامية ، وغير توجهات الشباب الاجتماعية والأخلاقية وحاصرت المجتمع مقولات غربية ، وفرض تعليم الفلسفة المادية واللغات الأجنبية وآدابها وتشكل للمجتمع الإسلامى تصور غريب أفضى إلى تدمير الخلايا الحية فى المجتمع حيث غلبت روح الحرام والفاحشة وجعلتها القوانين الوافدة مباحة ومسموحاً بها وحجبت حقيقة الإسلام بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع ولم يعد أكثر من صلوات فى المساجد أو احتفال بالمولد النبوى .

وسيطرت على اقتصاد البلاد قوى الاستعمار والرأسمالية العالمية ولم يعد للمسلمين دور إلا بوصفهم منتجين للمواد التى تصدر إلى الغرب ومستوردين لكل شىء بعد ذلك من خلال مفهوم النزعة الاستهلاكية الخطيرة .

وسيطر مفهوم الدولة القومية فى محاولة لعزل كل قطر من الأقطار فى تاريخه وحدوده وفى ذلك قضاء على مفهوم الوحدة الجامعة والخلافة ، لقد امتدت سيطرة النظام الغربى على بلاد المسلمين بما يمثله من الظلم والنهب والإبادة التى قام بها الاستعمار والسيطرة على مقدرات الأمة الإسلامية .

أما النظام الديمقراطى نفسه فقد عجز عن إعطاء المسلمين الأمن أو سكينة النفس وتبين أن ديمقراطية أثينا هى التى حاول الغرب أن يطبقها وهى تتمثل فى أن

العدالة للسادة وحدهم أما الطبقات الفقيرة فلا حقوق لها .

إن الغرب هو الذى جعل التفرقة العنصرية قاعدة التكامل بين البشر نقلاً عن الرومان واليونان فيما يسمى الجنس الأبيض ، هذ الواقع فى الغرب لا مثيل له عند المسلم الذى يعرف من كتاب الله أن اختلاف الألوان من آيات الله وأن الحكم على الإنسان هو بعمله .

ثم جاءت الشيوعية من خلال مجموعة من اليهود على رأسهم هنرى كوريل بدعوى العصرية والتقدمية والعدل الاجتماعى ولم تكن الماركسية إلا مؤامرة دبرت بأحكام من قبل الصهيونية العالمية لتخريب الشعوب الإسلامية حتى يسهل إقامة امبراطورية صهيون فى أرض الإسلام ابتداء بفلسطين ؛ فماركس ولينين يهوديان صهيونيان .

جاءت الشيوعية لتبنى نظاماً أشد فساداً واضطراباً من النظام الرأسمالى على قواعد الإلحاد والإباحية والتحلل والاضطراب الاجتماعى الذى وضعته الأنظمة الغربية .

وإذا كانت الديمقراطية تمثل خلافاً فكرياً فإن الماركسية تمثل صراعاً كاملاً يقف من البعث والوحى والنبوة والأديان والأخلاق موقف الرفض الكامل .

فهم لا يؤمنون بالأخلاق التى جاء بها الدين ولكنهم يؤمنون بأن الأخلاق هى تقاليد وعادات مرتبطة بالمجتمعات وتختلف باختلافها .

هذا فضلاً عن فرض مفاهيمهم فى التفسير المادى للتاريخ فى فكرة الصراع الطبقى بالإضافة إلى إنكار الألوهية والغيب جملة .

وقدعاشت بلاد الإسلام فى ظلال النظام الماركسى فى ظلمات وكآبة ، فقد اجتاحتها رياح السموم وعمها الفقر وأصابها الكساد وأقفرت من الخيرات التى كانت غارقة فيها من قبل ، وشهدت انحسار الأنهار وتزايد الأعاصير التى حبستها فى الظلمات الحقيقية التى لم تعرفها بلاد التوحيد إلا منذ شاء لها حكامها وقادتها اتخاذ هذا النظام الأسود الكئيب .

ولقد كان اتجاه النظام الماركسى الذى عرفته بعض الأقطار العربية والإسلامية يقوم على إلغاء الملكية الفردية وأن الاقتصاد هو أساس المجتمعات

وغـايـات الحياة وأنه العامل الأساسى والوحيد فى تفسير التاريخ .

وإذا كان النظام السياسى الغربى قد أحدث ارتباكاً شديداً فى الأسرة والمجتمع نظراً لحجب الشريعة الإسلامية وضوابط المجتمع وإباحة الزنا والربا فإن النظام الماركسى ألغى الحرية الشخصية وحول الإنسان إلى (ترس) فى آلة وطبعه على التواكل وبذلك وصل المجتمع الإسلامى بعد ثلاثين عاماً إلى الانهيار ولقد كان لأدبيات الماركسية فى الثقفة والفن والمسرح آثارهماالبعيدة فى تدمير كل القيم الأخلاقية والضوابط الاجتماعية .

لقد ركزت الحضارة الغربية على الجوانب المادية وأمعنت فيها إمعاناً وخلقت الغلظة فى القلوب والطبائع وانحرفت بالسياسات والأخلاقيات انحرافاً مشيناً . فلماجاءت الماركسية حطمت فى القلوب الرحمة وفى النفوس العفة ودفعت الناس دفعاً إلى النهب والمطامع دون تقدير لحدود الحلال والحرام وأبرزت أصحاب الولاء وأعلتهم على أصحاب الكفاية .

ولقد تبين للأمة الإسلامية بعد هذه الجولة الواسعة مع التجربتين الغربية والماركسية أن الإسلام منهج أكثر أصالة وقوة وأقرب إلى النفس الإنسانية والفطرة وأبعد عن الجبرية المفروضة حيث يقرر الإسلام الملكية الفردية ويحيطها بسياج من الحماية ويعطى لكل فرد جزاء اجتهاده ، كذلك فقد لبى الإسلام مطامح الروح وحاجات الجسم فى توازن عجيب وأقام تكافؤ الفرص بين الناس ، وجعل الحرية الشخصية منضبطة ، وليس بمفهوم الماسونية أو المادية . ومعنى انهيار النمط المادى الماركسى هو انهيار النمط المادى الغربى أيضاً وأن الفطرة والدين الحق سيأخذان مجالاً جديداً فيه يكون البديل الإسلامى مطلوباً بعد أن سقطت النظرية التى تنكر وجود الخالق وتحاول القضاء على الأديان .

ولاشك فى أن سقوط الماركسية يفتح الطريق أمام الإسلام بعد أن عجزت المسيحية عن أن تقدم شيئاً خلال هذه العقود السبعة .

وإذا قيل أن النظام الغربى قدم الديمقراطية فإن الإسلام قدم نظام الشورى الذى هو أصدق تمثيل لحاجات الأمة وإذا قيل إن الماركسية قدمت الاشتراكية فإن الإسلام

قدم العدل الاجتماعى عن طريق الزكاة منذ أربعة عشر قرنا .

وإذا كانت الرأسمالية الغربية والماركسية الشيوعية يشتركان فى شىء فهو اشتراكهما فى مؤامرة بناء رأس جسر فى قلب العالم الإسلامى من اليهود ليمزق وحدة المسلمين الجامعة التى تربط أفريقيا وآسيا ، فقد كان الغرب متفقاً مع الشيوعية تماماً فى مؤامرة إقامة الكيان الإسرائيلى فى قلب الإسلام بما يؤكد أن النظامين صناعة صهيونية أساساً وأن الغرب كله قد تنفس الصعداء عندما رمى المسلمين والعرب باليهود من خلال مؤامرة أن فلسطين كانت يوماً ما فى التاريخ مقاماً لأبناء إسرائيل .

وإذا كانت الأنظمة الغربية قد خلقت النظام القومى لتمزق به الأمة الإسلامية فإن الأنظمة الماركسية قد مزقتها مرة أخرى بالصراع الطبقى .

لقد عمقت الدعوة إلى القومية ومن خلال إضرامها الخلافات بين الدول الإسلامية والعربية وحشدت كثيراً من الأحقاد والصراعات حتى إذا ما جاءت الفرصة ظهرت فى صورة حرب عنيفة .

لقد حارب الأتراك العرب تحت لواء الاتحاديين باسم الطورانية حربا انتهت بتمزق الوحدة الجامعة ، ثم حارب العرب الفرس تحت لواء القوميين على نحو أوجد مأزقاً شديد العمق .

لقد حارب النفوذ الغربى تحت لواء الخلاف القومى الذى استحدثه بين شعوب الإسلام من أجل تمزيق وحدة العرب والترك والفرس جميعاً .

وقد استطاع أن يصل فى ذلك إلى أبعاد خطيرة ما أظن أن تندمل جراحها إلا بعد عقود .

واليوم قد سقطت التجربتان القومية والشيوعية فى عالم الإسلام أساساً ، فليس من الغرابة فى شىء أن يكون الإسلام هو المبدأ الربانى المجدد ليقظة الشعوب الإسلامية ومعينها على الاجتماع فى إرادة واحدة من النضال ضد المستعمرين وأن تنسى خلافاتها القديمة وتعود إلى مفهوم الإسلام الأصيل قبل ظهور الخلاف .

وبالرغم من فشل التجربة الغربية (من خلال العلمانية والقومية فقد فشلت التجربة الماركسية من خلال الصراع الطبقى) .

ولكن المؤامرة الماركسية القومية التى تجمع بين كراهية الوحدة الإسلامية ورفض العودة إلى منهج الله تبارك وتعالى تحاول أن تدس فى كتب التاريخ السموم وتقدم وجهة نظر أوروبا المتعصبة إزاء المماليك والدولة العثمانية وكل من حارب الحملة الصليبية والحملة الفرنسية وما يقدم الآن لشباب الإسلام من خلال الماسونية والمسرح والصحافة والمفاهيم المنحرفة المدمرة .

والواضح أن هناك اهتماماً واسعاً وعريضاً من الكنيسة ودوائر الاستعمار بتجنيد عدد كبير من المبشرين (الذين يلبسون ثياب المستشرقين) لإثارة الشبهات وقد تتلمذ على أيديهم من النصارى العرب أمثال سلامة موسى وجرجى زيدان وفيليب حتى ولويس عوض وكذلك بعض المسلمين اللامعين .

والهدف استمرار إثارة العنصريات وتعميقها بين العرب والبربر والأتراك والفرس بهدف إضعاف روح الإخاء الإسلامى وتمجيد أعداء الإسلام القدامى والمعاصرين (أتاتورك وأكبر شاه) والتنكر لأمجاد أبطال المسلمين (صلاح الدين وبيبرس ومحمد الفاتح وقطز) .



الباب السابع

الدعوة الإسلامية : مولد العملاق

إننا الآن بعد أربعة عشر قرناً من فجر الدعوة الإسلامية نقف لنراجع الأحداث ، ونستخلص العبرة بعد هذه الجولات الواسعة من الصراع المبيت الممتد الذى لم يتوقف والذى شنّه الغرب والشرق بمختلف قواهما : اليهودية والمسيحية ، والرأسمالية والماركسية فى حقد شديد ، وإصرار عجيب حسبما وصفهم القرآن :

﴿ **ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذ اخلو اعضوا عليكم الأنامل من الغيظ** ﴾ [آل عمران : ١١٨] .

وقوله تعالى : ﴿ **قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر...** ﴾ [آل عمران : ١١٧] .

وما من مؤامرة من مؤامرات الحروب الصليبية ، وسقوط بغداد وزحوف التتار وحروب الفرنجة إلاكانت اليهودية وراءها بهدف تدميرالإسلام ، وإسقاط الخلافة وغرس رأس جسر غريب فى قلب الوطن الإسلامى .

ومنذ وقف غلادستون رئيس وزراء بريطانيا (الامبراطورية التى لم تكن تغيب عنها الشمس) وقد أمسك المصحف الشريف فى يده من فوق منبر مجلس العموم البريطانى وقال : ما دام هذا الكتاب باقياً فى الأرض فلا أمل لنا فى السيطرة على المسلمين بل نحن على خطر فى وجودنا نفسه) .

منذ ذلك اليوم كان واضحاً لأوروبا وللنفوذ العالمى المسيحى اليهودى مدى خطر هذا الكتاب ، وليس على وجودهم فى بلاد المسلمين بل على وجودهم نفسه .

كان هذ الفهم للقرآن الكريم قد تشكل فعلاً عند ساسة الغرب فى القرن التاسع عشر بعد مراحل طويلة من التعامل مع المسلمين من خلال علومهم التجريبية التى انتقلت من جامعات الأندلس إلى الغرب كله وبها امتلكت أوروبا ناصية القوة

والسيطرة فى الوقت الذى أخذت فيه الدولة الإسلامية فى التراجع بعد خمسة قرون من السيادة والقيادة والسيطرة على مناطق واسعة من أوروبا بلغت فيها أسوار فيينا .

جاء الإسلام ليحرر البشرية من الوثنية والعبودية والظلم والفساد داعياً إلى التوحيد الخالص فى مواجهة التجسيم والتعدد وعبادة أصنام المال والقوة وكان أخطر ما دعا إليه الإسلام : أخلاقية المجتمع والحياة والحضارة وتحرير الشعوب من الإباحية والفساد .

وقد قام هذ النموذج الربانى ومكن الله تبارك وتعالى له فى الأرض أكثر من ألف عام ليضىء المشرق والمغرب ويحرر الإنسان (كل الإنسان) من العبودية والظلم والفساد .

قدم الإسلام المنهج الربانى الأصيل وقام الرسول ﷺ على تبليغه وتطبيقه واستطاع خلفاؤه التوسع حتى امتد من حدود الصين إلى نهر اللوار ثم توقف ثمة عندما تخلى المسلمون عن الاستمساك بالمنهج وغلبتهم عوامل الترف والتحلل ، فداهمهم العدو وأدال منهم ، ولا تزال هذه المعركة قائمة حتى اليوم حيث سيطر النفوذ الأجنبى على كل موارد المسلمين ولم يترك لأهل الأوطان إلا الفتات .

وفرض الغزو الغربى (المسيحى اليهودى) منهجه للسيطرة على المجتمع الإسلامى فحطم ثلاثة حصون من حصون الإسلام :

١ ــ الشريعة الإسلامية .

٢ ــ الخلافة والوحدة الإسلامية .

٣ ــ القدس قبلة المسلمين الأولى .

تلك هى المؤامرة الكبرى التى رسمها النفوذ الأجنبى بقواه الثلاث : الغربية والصهيونية والماركسية فأصبحت فريضة الجهاد قائمة حتى تنكشف هذه الغمة وإليها توجه كل قوى المسلمين وثرواتهم وأرواحهم رخيصة فى سبيل الله .

فأعداء الإسلام لا يتوقفون اليوم عن مواصلة خطوات المؤامرة وقد أقلقتهم الصحوة فضاعفت من جهودهم لمقاومتها ، فلابد من حشد إسلامى كاسح تحت اسم فريضة الجهاد والرباط فى الثغور لمواجهة العدو والقدرة على ردعه واستخلاص أرض الإسلام ومقدساته .

إن أخطر ما يواجه المسلمين اليوم هذا التوسع الصهيونى الطامح إلى إقامة دولة عنصرية من النيل إلى الفرات وبناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى .

★ ★ ★

وفى هذه المرحلة الدقيقة الحساسة يجب ألايستسلم المسلمون إزاء ما يسمى بالسلام الخادع أو الأمن الزائف الذى يبيت لخطوات واسعة من السيطرة ويجب أن تحشد الجهود فى الوطن الإسلامى كله لفهم حقيقة الرابطة والحفاظ على الأرض من غارات الأعداء والاستعداد النفسى لهذا بوصفه جهاداً فى سبيل الله فريضة قائمة فإن لم يفعل المسلمون ذلك فإنهم خاسرون .

إنه بعد أربعة عشر قرناً من نزول الرسالة الخاتمة نجد أن ألفاً ومائتى ألف مليون مسلم منتشرون فى أرجاء الدنيا من أقصاها إلى أقصاها .

وقد أُعطى المسلمون الموقع الجغرافى الاستراتيجى والثروة والطاقة والتفوق البشرى، ولا يزال المسلمون فى صراع وحروب وجهاد مع أعدائهم الذين يحاولون السيطرة عليهم وعلى مقدراتهم .

إن قوة المسلمين وثرواتهم هى ثمن لوجودهم ويجب أن تستثمر فى سبيل حماية وجود المسلمين والإسلام والتصدى لأعداء الإسلام الذين لا يكفون عن المؤامرة ، ولابد من تعبئة القوى وحشدها للرباط فى الثغور لمواجهة العدو والقدرة على ردعه وعدم تمكينه من أرض الإسلام .



إن الأمة الإسلامية تمتلك أربعة عناصر رئيسية تمكنها من حماية وجودها وبناء مجتمعها على منهج الله تبارك وتعالى وهى :

١ ــــ القــوة الاقتصــاديــة :

ممثلة فى الثروات البترولية والخامات ولا تزال ثروات الأمة الإسلامية بكراً حتى الآن رغم ما تعرضت له من استنزاف منذ بداية الاستعمار الحديث .



٢ ـــ الموقع الاستراتيجى :

حيث تقع أمتنا فى منطقة تمثل حزاماً بالنسبة للكرة الأرضية وتتحكم فى طرق المواصلات البرية والجوية والبحرية وبالتالى تتحكم فى التجارة العالمية .

٣ ـــ القوة البشرية :

فالمسلمون يمثلون ربع سكان العالم ومعدل تعداد السكان يفوق كل معدلات النمو فى العالم وقد يتضاعف فى فترة قليلة بحيث يزيد المسلمون على ثلثى سكان المعمورة .

٤ ـــ الإســـــلام :

باعتباره قوة روحية ومادية جامعة حافظت على وحدة العالم الإسلامى حيث كانت اليهودية ديانة خاصة باليهود ولا يمكن أن تقدم حلولاً لمشاكل العالم ، أما النصرانية فقد قامت على عقيدة التثليث وهى عقيدة منشطرة يقف فيها العقل الحديث موقف التساؤل كما أن وصاياها الأخلاقية لا تقدم حلولاً لمشاكل المجتمع أما الشيوعية فتقوم أساسا على الفكر المادى .

* * *

اليوم بين كل خمسة من أهل الكرة الأرضية يوجد مسلم ، حيث يشكل المسلمون ٨٠ فى المائة مما يسمى بالعالم الثالث ، وتبقى الأمة واحدة ما بقيت رسالتها رغم كل حالات الضعف والتخلف العارضة .

إن الأمر الخطير الذى يعلو على كل شىء هو :

« عودة المسلمين إلى مفهوم الإسلام الأصيل من منابعه بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع » .

وذلك بعد أن تمكنت القوى الاستعمارية والاستشراق والتبشير والتغريب من أن تفرض على الإسلام مفهوماً لاهوتياً جرت به القوى المسيطرة أكثر من مائة عام من خلال كرومر ودنلوب وزويمر ومن خلال فرض قانون نابليون .

حتى جاء هذا الداعى الكريم الذى صحح المفهوم وأمضى عشرين عاماً يحول الطرق إلى الأصالة .

﴿ **وأن هـذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

ذلك هو العمل الذى قامت عليه أعمدة الدعوة الإسلامية ومنه بدأت المراحل : اليقظة ، ثم الصحوة وصولاً إلى النهضة .

جاء هذا العمل بعد سقوط الخلافة مباشرة كأنما هو بتقدير الله بديلها وهو مولد العملاق وامتد عشرين عاماً قبل أن تخترقه سهام الأعداء وتكشف مدى تأثيره على المجتمع الإسلامى .

كان مفهوم الدعوة الإسلامية المتجددة على يد الإمام الشهيد حسن البنا إعادة الأمة إلى إسلامها الصحيح بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع بعد أن عمد الاستعمار والنفوذ الغربى خلال أكثر من قرن (من الحملة الفرنسية ١٧٩٨ إلى سقوط الخلافة ١٩٢٤) على تقديم الإسلام على أنه دين عبادى ليس له صلة بالمجتمع ولا بالسياسة والاقتصاد مع حجب شريعته وقوانينه ونظمه التربوية والاجتماعية .

وكانت الدعوة الإسلامية مرحلة تالية لمراحل سبقت ووسدت بعض الركائز ومنها تيار الجامعة الإسلامية وتيار السلفية .

وقد جاءت الدعوة للعمل مع عامة المسلمين ولم تقف عند الصفوة والنخبة (كما فعل جمال الدين ومحمد عبده) لخلق الفرد المسلم والأسرة المسلمة والأمة المسلمة فالحكومة المسلمة وتربية الشعب على العزة والكرامة وإعادة صياغة عقيدة الإسلام التماساً للينابيع الباقية بما يقضى على الجمود والجبرية والخرافات والبدع .

« يعتقد الإخوان المسلمون أن أساس التعاليم الإسلامية ، ومعينها هو كتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسوله ﷺ ، وأن كثيراً من الآراء والعلوم التى اتصلت بالإسلام وتلونت بلونه تحمل لون العصور التى أوجدتها والشعوب التى عاصرتها ، ولهذا يجب أن نستقى النظم الإسلامية التى تحمل عليها الأمة من هذا المعين الصافى : معين الدعوة الأولى وأن نفهم الإسلا م كما كان يفهمه الصحابة والتابعون من السلف

الصالح رضوان الله عليهم وأن نقف عند هذه الحدود الربانية النبوية حتى لانقيد أنفسنا بغير ما يقيدنا به الله تبارك وتعالى ولا نلزم عصرنا لون عصر لا يتفق معه والإسلام دين البشرية جميعاً » .

وهذا التوجه بمثابة خطوة على الطريق الذى رسمه دعاة اليقظة السابقين ، وهو ما أجمله الشيخ محمد عبده فى قوله :

(تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف هذه الأمة قبل ظهور الخلاف والرجوع فى كسب معارفه إلى ينابعها الأولى) ، وقد قطعت الدعوة خطوة جديدة عندما لم تقف عند ظواهر النصوص بل كان للعقل فى نهج الإخوان مكان ملحوظ .

وقد قطع الأستاذ البنا باستحالة الخلاف والصدام بين النظر العقلى والنظر الشرعى فى الأمور القطعية .

« ولما كان العقل البشرى قاصراً عن إدراك حقائق الأشياء خاصة أمر السمعيات فإن الإسلام قد أرشد العقول إلى التزام حدها وعرفها قلة علمها وندبها إلى الاستزادة من معارفها قال تعالى: ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ .

وإذا كانت طبيعة البحث هى التى تحدد أداة النظر فيه وهل الأولى أن تكون (العقل)أو (الشرع) فإن خلافهما إنما يكون فى (الظاهر) وفيما هو (ظنى) لم يبلغ فيه أحدهما مرتبة اليقين .

فقد يتناول كل من النظر الشرعى والنظر العقلى مالا يدخل فى دائرة الآخر ولكنهما لن يختلفا فى القطعى .

فلن تصطدم حقيقة علمية صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة ، ويؤول الظنى فى كل منهما ليتفق مع القطعى ، فإن كانا ظنيين فالنظر الشرعى أولى بالاتباع حتى يثبت العقلى أو ينهار .

وإذا كان الإسلام قد رفض غرور العقل وانفراده بالنظر فى كل الميادين ودعا إلى التوازن بين نظره وبين النظر الشرعى فإنه لم يحجر على الأفكار ولم يحبس العقول .

بل جاء يحرر العقل ويحث على النظر فى الكون ويرفع قدر العلم والعلماء ويرحب بالصالح النافع من كل شيء :

(**والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها**) .

والفكر الإسلامى يرفض الخرافة المنكرة للعقل كما يرفض المادية المنكرة لعالم الغيب والمجهول .

وكلا اللونين من ألوان التفكير خطأ صريح وغلو فاحش ، هذه قاعدة أساسية:

القاعدة الثانية:

فقد رفض (مفهوم الدعوة) تكفير الفرد بالمعصية حتى ولو كانت كبيرة قال الإمام الشهيد : (إننا لا نكفر مسلماً أقرّ بالشهادتين وعمل بمقتضاهما وأدى الفرائض برأى أو معصية إلا إن أقر بكلمة الكفر أو أنكر معلوماً من الدين بالضرورة أو كذّب صريح القرآن أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال ، أو عمل عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر) .

القاعدة الثالثة:

لا يكفر المجتمع بسبب ابتعاد نظمه الحياتية فى كثير من جوانبها عن شريعة الإسلام ، بل يرى أن ذلك مجتمع ناقص الإيمان ولكنه النقص الذى لا يدخله فى الكفر أو الجاهلية ويدعو إلى استكمال النواقص وتلافى السلبيات .

يقول الإمام الشهيد : لقد اندمجت مصر بكليتها فى الإسلام بكليته : عقيدته ولغته وحضارته ودافعت عنه وذادت عن حياضه وردت عنه عادية المعتدين وليس تفريطها فيه بالشيء الهين ، ولا إبعادها عنه بالأمر المستطاع ، مهما بُذلت فى سبيل ذلك الجهود الهدامة المدمرة .

القاعدة الرابعة :

إنه لا يدين المجتمع بالارتداد إلى الجاهلية أو الكفر بعد الإيمان ، وإنما يدعو إلى استكمال الإسلام الناقص وإلغاء الثنائية التى أثمرتها الغزوة الحضارية الغربية ، ويستنهض الأمة إلى استكمال إسلامها بتحقيق استقلالها الحضارى عن الأعداء .

القاعدة الخامسة :

الدعوة إلى الإسلام الذى جاء به محمد ﷺ والحكومة جزء منه والحرية فريضة من فرائضه فإن قيل هذه سياسة قلنا هذا هو الإسلام ونحن لا نعرف هذه الأقسام .

القاعدة السادسة :

إن العودة إلى الإسلام هى الضمان الوحيد للحياة الكريمة ، وأن الإسلام يرفض أن توجد طبقة تحتكر الثروة ، والإسلام يحارب الإقطاعات الشاسعة فى النظام الرأسمالى كما يحارب الشيوعية اللادينية التى تنادى بأن تكون الأرض ملكاً للدولة فينهار بذلك ركن من أركان الاقتصاد السليم فضلاً عن تجاهل المبـــدأ الإنسانى وهو (حق التملك) ، وأن الحل الوسط بين الرأسمالية والشيوعية هو أن يمتلك الإنسان بقدر طاقته الزراعية وما زاد على ذلك يجب أن يعطيه لغيره من المعدمين مجاناً .

القاعدة السابعة :

سبيلنا إلى التعرف على ذات الله وأسمائه وصفاته ليس علم أصول الكلام فى نزوعه إلى الفلسفة والاصطلاحات العلمية المعقدة التى تشتت الذهن وتفرق القلب ، ولا ذوق أصحاب الوجد فى انقطاعه عن منهج العلم ، وإنما سبيلنا هو العلم الصحيح الثابت فى الكتاب والسنة الموصول إلى العمل الذى تتحرك به الجوارح منفعلة بوجدان قلب عَلم من ذات الله ربه وصفاته ما حركه بالخشية والرهبة والحب وكمال الخضوع والذل .

ولابد من تحاشى الخوض فى النظريات الفلسفية أو الأساليب المنطقية التى درج عليها المتكلمون حين يعالجون مثل هذه الموضوعات ، واللجوء إلى القرآن الكريم والسنة المطهرة وإلى ما عرفنا من سيرة الصدر الأول من المؤمنين بهذا الدين وهم لاشك أصفى فطرة وألين قلوباً .

القاعدة الثامنة :

البعد عن مواطن الخلاف الدينى ومزالق الجدل الفقهى ، إذ أن الإخوان ألهموا

أن ينظروا إلى الدين نظرة رحبة فسيحة وأن يبرأوا من العصبية للأشخاص أو الآراء وأن يعلموا أن الخلاف فى فروع الدين ضرورة من الضرورات التى يستلزمها عمومه وشموله وبقاؤه وخلوده واستمداده من كتاب الله وهو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم ومن سنة رسول الله ﷺ ، فكان لابد من الخلاف وفيه رحمة ، وليس الخلاف عيباً فى ذاته بل هو سعة فى دين الله ولكن العيب فى التعصب للآراء والتنابذ بالألقاب والتحامل على الخصوم .

والقاعدة فى الخلاف عند الإخوان بينهم وبين غيرهم هى القاعدة الذهبية (نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه) .

وهذه الخصوصية فى دعوة الإخوان جمعت عليهم القلوب المتنافرة وجنبتهم كثيراً من الخصومات ، وصرفتهم إلى لب الدين وصحيحه ، ففيهم الصوفى والسنى والسلفى قد هدى الله كلاً إلى محاسن كل ، وصرفهم عن مآخذه إلى التناصح بالمعروف ، وتعاون الجميع على ما يصير به المسلم مسلماً و ﴿ .. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ [الجمعة : ٤] .

* * *

القاعدة التاسعة :

من خصائص الدعوة منذ نشأت وعاصرت مختلف الحكومات والهيئات أنها لم تنحدر يوماً من الأيام إلى المزالق السياسية ، ولم تتلون بالألوان الحزبية ، ولم تتورط فى المنافع الشخصية ، ولم تخضع لهيبة عظيم من العظماء أو وجيه من الوجهاء ، ولم تعمل ساعة من نهار لحساب شخص أو هيئة أخرى أو دولة ، لأنها صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ، وأنها دعوة الإسلام وهل أقدس منها دعوة وهداية ؟

* * *

القاعدة العاشرة :

من خصائص هذه الدعوة التدرج فى الخطوات وترقب الزمان وعدم التسرع بالنتائج ، والزمن جزء من العلاج ، وهم يعلمون أن رواسب القرون الماضية ونتائج

الحوادث الحالية لا يمكن أن تزول بأمنية تختلج فى الصدور أو كلمة تكتب فى الصحف أو خطب تلقى على الجماهير ، بل لابد من طول الأناة ودوام المثابرة وعظيم المصابرة والدأب على العمل ، وذلك ناموس الحياة الذى لا يتخلف ، ورب عجلة تهب ريثاً ، ولأمر ما قال الله تبارك وتعالى .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ [آل عمران : ١٩٩]

وقد جنبنا هذا المعنى كثيراً من الزلل .

وهذا هو ميراث رسول الله ﷺ ، وعلى القائمين بها أن ينأوا بها عن أن تكون وسيلة لمغنم أو تورط سياسى أو استغلال شخصى : ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً ... ﴾ [فصلت : ٣٣] .

ولقد كان من أبرز ما توصل إليه الإمام الشهيد حسن البنا أنه وضع القواعد الأساسية للتفرقة بين مفهوم الإسلام ومفهوم العلمانية فى جميع ميادين الفكر (السياسة والاجتماع والاقتصاد) وفى مجال الصحافة والثقافة ، كما أنه بنى الجسور بين هذه العلوم وبين مفاهيم الإسلام واختار الرواد الذين تخصصوا فى الكشف عن عظمة الشريعة الإسلامية فى مجال الاقتصاد والمعاملات والتربية وغيرها ، بحيث أصبح هناك فكر إسلامى متميز مستمد من القرآن والسنة ، مكتوب بأسلوب العصر وصالح للتطبيق .

والقاعدة الأساسية للدعوة الاسلامية هى :

« نحن نعتقد أن أحكام الإسلام وتعاليمه شاملة تنتظم شئون الناس فى الدنيا وفى الآخرة ، وأن الذين يظنون أن هذه التعاليم إنما تتناول الناحية العبادية أو الروحية دون غيرهما من النواحى مخطئون فى هذا الظن ، فالإسلام عقيدة وعبادة ووطن وجنسية ودين ودولة وروحانية وعمل ومصحف وسيف . والقرآن الكريم ينطق بهذا كله ويعتبره من لب الإسلام ومن صحيحه ويوصى بالإحسان فيه جميعاً » .

وكان يقول : لا تصادموا قواميس الكون فإنها غلابة ، ولكن غالبوها

واستخدموها وحولوا تيارها واستعينوا ببعضها على بعض وترقبوا ساعة النصر وما هى منكم ببعيد .

وكان الأستاذ البنا عندما فتح عينيه على المجتمع الإسلامى وجد هذه القضايا :

١ ـــ الدعوى التى تقول بأن الخلافة الإسلامية كهنوت وأن الإسلام ليس ديناً ودولة (على عبد الرازق) .

٢ ـــ الدعوى التى تقول إن الشعر الجاهلى الذى يفسر به القرآن منحول . (طه حسين) .

٣ ـــ الدعوى التى تقول إن القوميات والإقليميات هى أساس بناء المجتمع السياسى الإسلامى وتدعو إلى محاربة الوحدة الجامعة . (سلامة موسى) .

٤ ـــ الدعوى التى تقول إن لليهود حقاً فى فلسطين .

وكان عمله الأساسى أن ينقض هذه المفاهيم المغلوطة ويعيد الثقافة الإسلامية إلى الأصالة .

* * *

وقد واجهت الدعوة الإسلامية مراحل من المقاومة التى تمثلت فى حرمانها من الوجود الشرعى منذ عام ١٩٥٤ تقريباً ، وإن عادت بعد ذلك فى صورة أو بأخرى حتى تحقق لها التمثيل النيابى فى البرلمان ، واستطاعت أن تكسب ثقة الشعب فى مجال النقابات وهيئات التدريس وفى مقدمتها نقابات الطب والهندسة والمحاماة .

أما دعوتها إلى تطبيق الشريعة الإسلامية فقد امتدت إلى عدد كبير من الأقطار العربية ، وكان لها وجود حقيقى تحت أسماء مختلفة فى إيران وأفغانستان والباكستان وتركيا .

أما فى الوطن العربى فقد استطاعت أن تحقق وجودها فى دساتير عدد من هذه الأقطار فى مقدمتها مصر.

كذلك فقد خطت خطوات واسعة فى إعداد قوانين الشريعة الإسلامية، وكان ذلك قمة المرحلة التى أطلق عليها (الصحوة الإسلامية) .

غير أن وصول الدعوة الإسلامية إلى مرحلة الصحوة قد أدخلها فى أزمة خطيرة فقد تجمعت دول الغرب وقوى الصهيونية ، والماركسية ، والليبرالية الغربية لإجهاضها ، وجاء سقوط الشيوعية عاملاً فى ظهور تيار غربى خطير يدعو إلى حرب الإسلام ، بل إنه بلغ فى عبارات البعض إلى الإذابة أو الإزالة وذلك إقرار واقتناع بأن الإسلام أصبح هو الخطر الماثل فى وجه أوروبا والغرب والليبرالية الغربية بعد سقوط الشيوعية.

* * *

وقد رد بعض الباحثين ظاهرة المد الإسلامى فى السبعينات إلى عدد من الأسباب يتمثل أهمها فى طبيعة الإسلام كدين يحمل فى داخله عوامل قوته وتجدده واستمراريته .

ومن بينها فشل المشروعين الحضاريين الغربيين كليهما : الماركسى والرأسمالى ، وضيق الناس من الشعارات الاشتراكية والقومية ، مما جعلهم يتجهون إلى المشروع الحضارى الإسلامى كبديل قوى .

يضاف إلى ذلك ما أحدثته نكسة ١٩٦٧ من هزات فى الشعارات السياسية وإحساس قطاع كبير من الشباب بالتناقض بين تعاليم الإسلام وبين ما نراه فى الشارع من انحلال خلقى لدى بعض الناس .

* * *

وتقول جريدة الصنداى تلجراف البريطانية الواسعة الانتشار (أكتوبر ١٩٨٨) إنه لأول مرة منذ قرن تتجه الدول الإسلامية إلى الشريعة بعد فشل الاشتراكية والديمقراطية وقد حقق الإسلاميون فى مصر نجاحاً كبيراً رغم اضطهاد الحكومة لهم .

وأن الإسلام سيكون الديانة السائدة فى العالم خلال العقود القليلة القادمة ، فهو أسرع انتشاراً من أى ديانة فى العالم حيث يزيد معتنقوه عن ألف مليون مسلم ويحقق زيادة سنوية تقدر بحوالى ٥٠ مليون نسمة .

ولم تكن الزيادة التى يحققها الإسلام سنوياً راجعة إلى نسبة المواليد المرتفعة فقط ، ولكنها ترجع إلى الأعداد الكثيرة التى تعتنق الإسلام على أيدى عشرات الآلاف من الدعاة الإسلاميين فى أكثر من ١٢٠ دولة ويشكل المسلمون أغلبية فى ٤١ دولة ويعتبرون أقليات أساسية فى ٥٠ دولة أخرى .

وأن الإسلام فقط هو الذى يستطيع حشد الجماهير وتعبئتها لتغيير أى نظام ديكتاتورى مهما بلغت دقة نظامه وقوة جيشه ، ومدى الدعم غير المحدود الذى يتلقاه من الغرب .

وفى بداية الثمانينات ولأول مرة منذ أكثر من قرن تتجه دول إسلامية إلى الشريعة والقوانين الإسلامية ، وينمو تمسك الأفراد والجماعات بالهوية الإسلامية بعد خيبة الأمل التى وجدوها فيما يسمى بالقومية والاشتراكية والديمقراطية وسائر النظم والقوانين الغربية .

ففى مصر وتحت اضطهاد يتعرض له الإسلاميون منذ ١٩٨١ نجح الإسلاميون فى أن يكونوا المعارضة الرئيسية فى داخل وخارج مجلس الشعب وهم يمثلون الآن قوة كبيرة فى محاولات اقتصادية كثيرة سواء أكانت بنوكاً أم مصانع أم شركات ، وانتشر الزى الإسلامى بين نساء مصر بشكل كبير حيث كان من الصعب رؤية الزى الإسلامى فى بداية السبعينات .

إنه فى تركيا التى حرمت فيها الشعائر والاحتفالات الدينية منذ إعلان (أتاتورك) للدولة العلمانية يعود الأتراك الآن إلى إعلان وأداء الشعائر الإسلامية .

كمابدأت الحكومة التركية منذ عام ١٩٨٠ الاهتمام بالشعائر والأعياد الدينية بدعم الأصوليين ضد التهديد الإرهابى المتزايد لليساريين ومحاولات تمرد الأفراد . وفى الاتحاد السوفيتى يسرى خوف بين قادة الحزب الشيوعى من تنامى الشعور الإسلامى بين ٦٠ مليون مسلم يمثلون خمس جمهوريات من خمس عشرة جمهورية فى الاتحاد السوفيتى ، هذا الشعور الذى أجبر الاستراتيجية السوفيتية على سحب الجنود السوفيت التابعين لجمهورية تاجيكستان الإسلامية من أفغانستان .

* * *

وفى ماليزيا حيث نسبة المسلمين ٥٣٪ من عدد السكان زاد عدد الإسلاميين الأصوليين الذين يعملون من خلال الجمعيات الخيرية حيث يحرص المسلمون هنا على تعليم أطفالهم حفظ القرآن والتزام بناتهم بالحجاب الإسلامى من سن السادسة حتى سن البلوغ فيلبسن النقاب مهما كانت ظروف المناخ الماليزى ويحرص المسلمون أيضاً فى غرب أفريقيا ومالى والسنغال على تعليم أبنائهم القرآن والالتزام الإسلامى ليكون طوق نجاة لهم فى حياتهم .

وقد قام الإسلام بتصحيح عادات وثنية كثيرة فى القبائل الأفريقية المتخلفة .

إن التوجه إلى الشرعية والقوانين الإسلامية بدأ منذ أول التماسك بعد أن كانت كل الدول الإسلامية متوجهة للغرب حتى أواخر السبعينات لتأخذ نظمه وقوانينه .

إن زيادة التمسك بالإسلام لم تقتصر على الدول الإسلامية أو الشرقية ولكنه زاد فى الغرب فهناك دعاة مسلمون فى بريطانيا وأمريكا وفرنسا لهم نشاطهم الملحوظ من خلال الجمعيات الإسلامية كذلك فى (كوسمو) بيوغوسلافيا فقد أدت زيادة الشعور الإسلامى إلى الثورة على السيطرة المركزية لليوغسلاف .

* * *

ولا يزال الإسلام منذ فجر الصحوة ١٩٧٩ ــ باندلاع الثورة الإيرانية ــ يواجه مراجعة متصلة من مفكرى الغرب .

الخروج من الأزمة :

يقول الفريد كانتول سميث فى بحث ضاف : إن العالم الإسلامى كان وحدة لاتتجزأ قبل أن يلتقى بالغرب حيث تمتد حدوده من الهند إلى المغرب الأقصى وقد يعيش مقسم الولاء بين عدة ملوك ودول ولكن وحدة الشعور تجمعها جميعا .

وحين انتصر السلطان الخامس (التركى) بفتح القسطنطينية منذ خمسة قرون عم الابتهاج جميع المسلمين من حدود الهند إلى مراكش رغم أن جميع تلك البلاد لم تكن خاضعة لسلطان العثمانيين .

إن جميع التغييرات التى تحدث الآن فى الشرق والتى يواجهها الغرب ينبغى

حين ينظر إليها أن يدرس الإسلام بالتعرف على تاريخه وتأثيره على نفسية العالم الإسلامى .

إن كلمة العالم الإسلامى لم تعد تستعمل فى الشرق نفسه بعد أن ثبتت القوميات المختلفة أقدامها ونبتت القومية العربية والهندية والفارسية والتركية وانفصلت دولة باكستان الإسلامية عن الهند ولم يصبح الدين هو المحرك الأول للسياسة فى هذه المنطقة .

وجرت محاولة تجميع الشعوب على وضع الأسس الجديدة لعلاقة المسلمين بالغرب وعلاقة الغرب بهم ، ولكن هذه التجربة مع الشعوب الإسلامية قد فشلت وكان مقدراً لها أن تنجح ، فقد فشل الغرب فى الاحتفاظ بنفوذه وفشل فى أن ينشر مثله العليا وقيمه الفكرية وطريقة حياته ممثلة فى تغريب الشرق .

لقد فكر المسلمون فى إصلاح أحوالهم منذ زمن بعيد ، فكروا أولاً مثل كل أمة لها تاريخ وليس لها حاضر فى العودة إلى التاريخ .

وترددت الاتجاهات السلفية إلى ما كان الناس منذ ألف سنة يعملون ويفكرون إلى العصر الذهبى للإسلام : عصر الخلفاء والصالحين .

وخرجت دعوتان سلفيتان فى وقت واحد:

أولاهما : من الجزيرة العربية وهى دعوة محمد بن عبد الوهاب .

وثانيتهما : من الهند وقد قادها ملك من ملوك المغول : الشاه ولى الله الذى كان فى الوقت نفسه شيخاً للطريقة النقشبندية .

ولكن الدعوتين لم يكن لهما صدى معين خارج حدودهما .

أما الدعوة التى هزت أركان العالم الإسلامى وانتقلت من قطر إلى قطر تشعل الثورة وتهز صرح التقاليد فقد قادها رجل كان يفكر كما يفكر الغربيون هو جمال الدين الأفغانى.

وكان انتصار جمال الدين الأفغانى هو الدليل الأول على أن الغرب قد دخل بتفكيره وأسلوبه إلى العقل الشرقى ، وحتى طريقة الغرب فى اختيار الحكومة وانتخاب النواب والفصل بين السلطات .

ومن منتصف القرن ١٩ إلى منتصف القرن العشرين ولد وعاش جيل ضخم من المفكرين المسلمين ، وكانوا يعيشون بقلوبهم مع الإسلام وبعقولهم مع الغرب أمير على وأبو المكارم آزاد ، وسانحو لازى (إيزن) نامق كمال ، عبد الحق حامد ، وتوفيق فكرت فى تركيا كلهم مسلمون ولكن الغرب قد مس وجدانهم من التبعية الفكرية للغرب) .

والواقع أن ما يقوله (الفريد كانتول سميث) لا يمثل أكثر من محاولة الغرب تصوير نهضة المسلمين بصورة مغربة ، ولكن الواقع أن هذا الجيل كله لم يحقق شيئاً ذا بال وهو فى تاريخ الدعوة الإسلامية جيل مغرب لأمرين : لأنه لم يكن يؤمن بالإسلام بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع ، ولكنه لم يكن ملتزماً بالإسلام عبادة وعملاً ولذلك سرعان ما تجاوز التاريخ هذا الجيل كله حين جاء بعد ذلك من هم أكثر أصالة على مستوى العالم الإسلامى كله وفى مقدمتهم النورسى والمودودى والندوى وحسن البنا .

ويرى الفريد كانتول سميث أن هذا الجيل المغرب قد أخذ من الفكر الغربى نزعيتن : إحداهما: تحرير الفرد من سيطرة الأفكار القديمة ، والتقاليد البالية ، والتفكير فى كل ما يدور حوله من أحداث .

(وهذه النزعة إسلامية أساساً ، وقد أخذها الغرب من قبـــل من مفاهيم الإسلام) .

أما النزعة الأخرى كما يقول : فهى (نزعة القومية) بمعناها الذى عرفته أوروبا ـــ القومية التى لا تعتمد على الدين أو العنصر بل على المصالح المشتركة والتاريخ المشترك والأهداف المشتركة .

تلك النزعة تحمل فى صيغتها العداء للغرب وإن كان الذين حملوها لم يشعروا بذلك الشعور . وإن كانت النزعة نفسها مستمدة من تاريخ الغرب وفكره، ولكن هذه النزعة لم تكن وحدها كافية للقضاء على أثر الغرب فى العقل الإسلامى فقد قضى الغرب على نفسه بنفسه .

لقد تدهورت مكانة الغرب بعد احتلال مصر ، وازدادت تدهوراً حين اتفقت بريطانيا وفرنسا عام ١٩٠٧ على اقتسام نصف العالم المسلم ، وعجلت معاهدة

سايكس بيكو على انهيار الغرب بعد الحرب العالمية الأولى حين عمل على إنشاء إسرائيل ففقد احترام العالم الإسلامى له .

وهنا نقول : إن الفكرة القومية لم تكن إلا دسيسة غربية لهدم وحدة المسلمين وإلغاء الخلافة وتمزيق الدولة العثمانية وإقامة كيان غريب هو إسرائيل .

ويؤكد الفريد كانتول سميث فشل الغرب فى التعامل مع المسلمين فيقول : إن السبب الرئيسى فى فشل الغرب فى تعامله مع العرب أنه لم يقدر كبرياءهم حق قدره عندما هوت قنابل الغرب على رءوس العرب فقد هوى الغرب باحتقاره وتعاليه على نفوسهم فأطلق عليهم كلمة الوطنيين ، لابمعنى الانتماء أو الولاء للوطن بل بمعنى انحدارهم درجة عن الرجل الأوروبى ، فضلاً عن أن الغرب كبح آمال الطبقة الوسطى وشككت تقارير المندوبين السامين الإنجليز والفرنسيين فى كفاءتهم ومقدرتهم .

وكانت اللطمة الأخيرة لكبريائهم هى الصهيونية فلم يعد العرب يعانون من الغزو الخارجى وحده بل ومن الغزو الداخلى كذلك .

لقد تحول الشعور بالإعجاب بالغرب والولاء الفكرى له فى أرجاء البلاد العربية إلى نقيضه حين جرح الكبرياء بهذه الأحداث المتوالية .

وانعزل المفكرون العرب الميالون إلى الغرب عن الجماهير وكتب المفكرون الجدد أن الغرب أكثر عبقرية وأصالة من غيرهم من الشعوب .

وكشف عمر فروخ ميراث العرب فى العلوم والفلسفة وظهر مؤرخون متحمسون للعروبة .

وكانت مهمة هذه الكتب هى أن يسترد العرب كبرياءهم الذى أهدره الغرب.

أما تركيا فقد بدأت الحملات الدينية تظهر فى أنقرة وفى عام ١٩٤٧ سمحت تركيا لأول مرة لأتباعها بالحج إلى مكة وفى عام ١٩٥٠ أذيعت بعض البرامج الدينية وافتتحت بعض المدارس .

« وبقيت حيرة تركيا ما بين ماضيها كأمة إسلامية ، وحاضرها كدولة أوروبية ،

ذلك الاضطراب الذى تعانيه فى تحديد نظرتها تجاه الإسلام وتجاه التقاليد الأوروبية على حد سواء » .

* * *

وتتحدث وثائق بريطانية وغربية كثيرة عن قلق الغرب من أى تكتل إسلامى فالقوى الغربية تخشى وحدة المسلمين .

وكان تأسيس المؤتمر الإسلامى الدولى مفاجأة غير سعيدة للقوى الكبرى التى تعمل على إضعاف الوجود الإسلامى على ساحة النشاط الدولى انطلاقاً من تلك الاستراتيجية .

وحرص الإنجليز على الاتصال بالقوى الإسلامية فى مختلف أنحاء العالم اتصالاً مباشراً ومحاولة النفوذ إلى صفوفهم .

وبدأت تحركات الفاتيكان فى أعقاب الثورة الإسلامية فى إيران ، وبتخطيط صليبى لإطفاء الجذوة الإيمانية ، ويقول أحد التقارير : إن الثورة الإيرانية بالرغم من سلبياتها ، فقد حققت دوياً هائلاً فاق كل التقديرات والتخمينات التى توقعتها أجهزة المخابرات العالمية .

وقد أنشىء فى أمريكا جهاز لمتابعة الحركات الإسلامية ، ودعوة الأساقفة والكاردينالات بالتحرك فوراً فى كل من آسيا وأمريكا .

وانتشر القساوسة فى جنوب الصحراء الكبرى فى أفريقيا (١١٣ ألف قسيس وميزانية ٣ آلاف مليون دولار سنوياً) .

هذا فضلاً عن نشاط هيئات التبشير فى جنوب شرق آسيا ووسط أفريقيا .

فى عام ١٩٨٨ نشرت جريدة « العلم » المغربية تقريراً حصلت عليه من إحدى الجهات المتخصصة لرصد خطوات الدعوة الإسلامية يقول :

(**الإخوان المسلمون : القوة السياسية الثانية فى مصر**) .

قال : ذكر التقرير الاستراتيجى العربى الذى تنشره سنوياً صحيفة الأهرام المصرية

إن جماعة الإخوان على الرغم من افتقادهم إلى وجود قانونى تنامت منذ منتصف السبعينات أكثر مما تنامت فى السنوات العشرين الأولى منذ تأسيسها ١٩٢٨ ـــ ١٩٤٨ والتى كان النظام الملكى شبه الليبرالى خلالها يمنح الإخوان حرية كاملة فى التحرك .

ويشير التقرير إلى أن الجماعة التى أسسها حسن البنا تعرضت لقمع شديد فى العهد الناصرى ، ثم استعادت فى عام ١٩٧١م فى ظل أنور السادات بعض حرية التحرك ، وغربت أسلوباً بالغ البراعة وهو كيف تستفيد من كل الأوضاع لتعزيز حضورها .

وحين وجد نظام السادات نفسه ابتداء من ١٩٧٧ أمام نقمة شعبية انتقلت جماعة الإخوان إلى المعارضة ، ولكنها تحاشت المخاطرة بمواجهة سياسية مع النظام .

ويذكر التقرير أنه حين اتسعت حركة الاحتجاج الإسلامى لعقل مجموعات مختلفة امتنعت الجماعة عن اتخاذ موقف وتمكنت من دون أن تفرض نفسها من قطف ثمار حركة الاحتجاج بوصفها منظمة إسلامية معروفة تملك قادة تاريخيين، وقادرة على تمثيل التيار الإسلامى بمجمله .

ويلفت التقرير النظر إلى أنه حين قامت أنظمة إسلامية أخرى هى التكفير والهجرة باغتيال وزير الأوقاف ١٩٧٧ انتقدت جماعة الإخوان الاغتيال وأدانت اللجوء إلى العنف عموماً وسعت الجماعة إلى الاستفادة من الوضع لتقديم نفسها كبديل إسلامى معتدل وبذلك خرجت الجماعة سالمة من الأحداث التى تلت اغتيال السادات على يد مجموعة الجهاد فى حين أدى القمع على العكس إلى ما يشبه تصفية منظمة .

وفى مرحلة تالية تمت المحافظة على التمييز بين المتطرفين والإصلاحيين المسلمين فى حين ازداد اللجوء إلى الخطاب الدينى فى الصحافة والمداخلات السياسية الرسمية .

والملاحظ أنه بالرغم من أن الجماعة لم تحصل على اعتراف شرعى بها فإنها استطاعت ـــ وسط مناخ التعددية والحركات السياسية النسبية ـــ القيام بعمل دءوب من أجل توسيع قواعدها .

وفى خلال هذه المرحلة حقق الإخوان نجاحاً مذهلاً فى بناء اتصال مع الجماهير خصوصاً فى مجال تشييد العيادات والمدارس والنقابات .

ويرى التقرير أن الظاهرة الأكبر أهمية فى هذه المرحلة كانت الصعود القوى والمفاجىء للمؤسسات المالية ذات الطابع الإسلامى . والتى تحولت إلى قوة اقتصادية ذات تأثيركبير ، وإذا كانت طبيعة العلاقات بين هذه المؤسسات والإخوان غير متينة فإن لبعضها على الأقل روابط وثيقة معهم .

ويعتبر التقرير أن التطور الأبرز الذى سجل فى تفكير الإخوان المسلمين خلال هذه المرحلة ربما كان تطورهم السريع نحو قبول النظام الديمقراطى حتى وإن كان ذلك غير نهائى .

ويذكر أن للجماعة أربعين نائباً فى مجلس الشعب انتخبوا فى أوائل ١٩٨٧ على قوائم ائتلاف بين حزبين للمعارضة .

والتساؤل — هل كانت النجاحات التى حققتها جماعة الإخوان هى التى عجلت فى عام ١٩٨٦ بعودة الجماعات المتطرفة إلى العمل بهدف الحد من التأثير المتزايد للإخوان .

* * *

ويتحدث التقرير عن مفهوم الإسلام السياسى فيقول :

ليس الإسلام السياسى (المفهوم الشامل للإسلام) ظاهرة جديدة أو وافدة على المجتمع المصرى ، بل على العكس يمكن القول بأن الإسلام السياسى هو أحد الثوابت الأساسية فى التكوين السياسى والحضارى للمجتمع المصرى ، وفى المقابل فإن ظاهرة الحداثة على النمط الغربى لم تكن سوى نتاج للتحديث (السلطوى) للنظم والقيم والعلاقات الاجتماعية منذ مطلع بناء الدولة الحديثة . بل إن القيم الغربية خاصة فيما يتعلق بتكوين الدولة والمجتمع لم يتم تأسيسها كنظام مقبول إلا منذ عام ١٩٢٣ م مع إقرار دستور ١٩٢٣ م وهى فترة حديثة نسبياً .

وقبل مايزيد على المائة والخمسين عاماً الماضية كانت القيم والأفكار الإسلامية

هى السائدة وهى التى تطبع السلوك الاجتماعى والسياسى للصفوة والجماهير .

ثم يقول التقرير :

ولاشك فى أن تكوين جماعة الإخوان المسلمين على يد الشيخ حسن البنا فى نهاية عقد العشرينات من هذا القرن كان هو العلامة الأكبر بروزاً فى تطور الإسلام السياسى فى مصر المعاصرة .

ثم ينتقل التقرير للحديث عن جماعات الإسلام السياسى فيميز بين المؤسسة الرسمية للدعوة فى مصر ويصفها بأنها تابعة للسلطة ثم يذكر الجماعات الأخرى كالإخوان المسلمين وغيرها .

وعن الأولى يقول : ولقد أصبح الأزهر مؤسسة ضمن المؤسسات الرسمية للنظام السياسى المصرى منذ أن قام محمد على بتصفية الأساس الاجتماعى لعلماء الأزهر ضمن عملية بناء شرعية لحكم مصر وربط الأزهر بالدولة المصرية ، ومنذ ذلك الحين والأزهر (يلعب) دوره فى إضفاء الشرعية على المؤسسات لإقرار النظام السياسى القائم أو سياساته وفى هذا السياق أيضاً لعب الأزهر دوره فى نقد جماعات الإسلام السياسى غير الشرعية .

وعن الجماعات الإسلامية يقول :

جماعة الإخوان المسلمين هى الجماعة الأم من حيث النشأة التاريخية فى نهاية العشرينات من هذ القرن . وهى الأكثر تجربة وتراثاً على مستوى التنظير والسلوك سواء فى التعامل مع القواعد الجماهيرية أو مع النظام السياسى المصرى فى أطواره المختلفة وهى الجماعة الأم بحسب أن غالب الجماعات الصغيرة الأخرى خرجت من عباءة الإخوان المسلمين أى من عناصر وكوادر إخوانية .

وتكمن أهمية الإخوان فى ساحة الفكر والعمل السياسى فى مصركذلك فى أنها الحركة الأم لكافة الجماعات الإخوانية الأخرى فى السودان ، وفى المشرق العربى ـــ (سوريا ، والأردن ، ولبنان) وبعض الجيوب الصغيرة فى الكويت والسعودية ومشيخات الخَليج العربى وفى تونس ـــ كما أن ثمة رابطة بين القيادات المصرية الإخوانية والأبنية التنظيمية الإخوانية غير القومية فى أوروبا وأمريكا .

ولكنهم استطاعوا أيضاً إشاعة البعد الدينى فى لغة السياسة والشارع معاً .

ولقد سجل هذا التقرير أسساً للخطوات التى قطعتها الدعوة الإسلامية خلال مرحلة ما بعد حكم حركة االجيش التى انتهت ١٩٧٠ وهى كالآتى :

١ ـــ حركة الإخوان المسلمين هى التى يؤرخ بها الإسلام الحديث .

٢ ـــ التأثير فى لغة الخطاب السياسى الجزئى .

٣ ـــ فرض مطلب تطبيق الشريعة فى الدور المصرى وفى البرلمان المصرى .

٤ ـــ إن الإسلام السياسى هو أحد الثوابت الأساسية فى التكوين الحضارى والسياسى للمجتمع المصرى .

٥ ـــ عمت الأحزاب المصرية كلها قضية تطبيق الشريعة الإسلامية (حتى فى الأحزاب اليسارية) .

٦ ـــ إحياء مفهوم الجهاد (فى فلسطين وأفغانستان ، وحرب رمضان) .

٧ ـــ ثبات مفهوم الإسلام دين ودولة .

* * *

الباب الثامن

استعادة القدس

بعد استعراض تاريخ الإسلام منذ فجره إلى اليوم تتجلى واضحة أبعاد تلك المؤامرة التى شنها الغرب (كنيسته ومذاهبه وساسته) .

ومن وراء كل خطوات المؤامرة مخطط اليهودية العالمية حيث كان الاستعمار والرأسمالية والقومية والماركسية أدوات لتحقيق السيطرة على العالم الإسلامى والحيلولة دون امتلاك أهله المسلمين إرادتهم ، وجاءت الصهيونية لتكشف أنها هى الوريث للحضارة الغربية .

وقد تبين أن الصهيونية كانت من وراء جميع مخططات التغريب والغزو الثقافى والشعوبية التى اتسع نطاقها فى العقود الأخيرة وكانوا صناعَ النظريات التى طرحت فى أفق الفكر الإسلامى منذ الحملة الفرنسية على مصر إلى اليوم للعمل على تمزيق وحدة الأمة الإسلامية ، وإعلان الإقليميات عن طريق الأيديولوجيات الرأسمالية والقومية والشيوعية ، وإحياء الطوائف والفرق والنحل وإثارتها وإحداث الصراعات المختلفة بين عناصر الأمة الإسلامية (العرب والفرس والترك والزنج والبربر وغيرها) .

كما تعمل الصهيونية على فرض مناهج ثقافية مسمومة لتزييف القيم الإسلامية الأساسية وخاصة مفهوم الجهاد والربا والأخلاق وثوابت الإسلام ، وإثارة الشبهات حول الوحى والنبوة والألوهية والغيب والبعث والجزاء.

كما تعمل على فرض وجودها عن طريق القوة والتآمر والاستقطاب والإغراء وتستهدف فى الأغلب شباب الإسلام بوصفه القوة المستقبلية لتدميره من خلال القصة والمسرح ومفاهيم الإباحية والاختلاط والفساد الخلقى والإغراء .. وأخطر من ذلك كله احتواء منهج الدراسة ورفع كل مايتصل منها بالمواقف الحاسمة فى تاريخ الإسلام التى قام بها أبطال المسلمين أمثال خالد بن الوليد وصلاح الدين الأيوبى وقطز وبيبرس ومحمد الفاتح .

والعمل على استقطاب المفكرين والعلماء لقبول مفاهيم تحديد النسل واحتواء الصحوة الإسلامية ، وضرب القوى الإسلامية بعضها ببعض.

ومن هنا يتبين أن العمل الصهيونى الممتد منذ سقوط بغداد والحروب الصليبية وغزو التتار لا يزال يغلف كل خطوات المؤامرة على الإسلام من أجل هدف مسموم هو بناء هيكل سليمان بدلاً من المسجد الأقصى وإقامة دولة العجل الذهبى من النيل إلى الفرات .

وهى المؤامرة التى دخلت حيز التنفيذ بوعد بلفور ١٩١٧ ، والاستيلاء على فلسطين ١٩٤٧م ، وسقوط القدس فى أيدى الصهيونية ١٩٦٧ ، وما تلا ذلك من خطوات على قمتها « معاهدة كامب ديفيد » .

ولا يزال المخطط الصهيونى « العجل الصهيونى » يتمدد فى الخطين الأساسيين:

الخط السياسى من خلال الكيان الصهيونى القائم ، ومن خلال العمل الثقافى والفكرى الذى يسيطر الآن على كل تصورات التعليم والثقافة والصحافة فى الوطن الإسلامى .

ويمكن القول إن الحقد على الإسلام هو القاسم المشترك الأعظم بين اليهودية والنصرانية من ناحية ، وبين الرأسمالية والشيوعية من ناحية أخرى ، وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك فى قوله تعالى :

﴿ ... **ولايزالون يقاتلونكم حتى يردونكم عن دينكم إن استطاعوا** ... ﴾ .

[البقرة : ٢١٧] .

وقوله تعالى : ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** ... ﴾
[البقرة : ١٢٠]

وقوله تعالى : ﴿ **كيف وإن يظهروا عليكم لايرقبوا فيكم إلا ولا ذمة..** ﴾

[التوبة : ٨]

واليهود لم يتوانوا منذ فجر الإسلام عن الكيد للدعوة حتى إذا تحطمت مؤامرتهم العسكرية وطردوا من الجزيرة العربية تحولوا إلى المكائد والدس والوقيعة فكان

(أبو لؤلؤة) الذى اكتراه اليهود لقتل الفاروق عمر ، وكان (كعب الأحبار) الذى أجهد نفسه لوضع أحاديث مكذوبة نسبها إلى الرسول ﷺ و (عبد الله بن سبأ) الذى دعا فى الأمصار إلى الثورة على عثمان .

أما الحقد الصليبى فتمتد جذوره إلى أيام الفتح التى انطلق بعدها الإسلام لتحرير مستعمرات الامبراطورية الرومانية (مصر والشام وشمال أفريقيا وجزر البحر الأبيض المتوسط) وبناء القاعدة الإسلامية فى الأندلس .

وكانت الهزيمة النكراء التى منـــوا بها فى بيت المقدس على يد (صلاح الدين) .

ومن ثم كان الحقد الصليبى الذى دفع الغرب المسيحى أن يضاعف عطفه على الكيان الصهيونى .

ونحن إذا حاولنا أن نراجع مادة الفكر الغربى فى العصر الحديث لوجدناه يهوديا تماماً ، فهم الذين سيطروا على هذا الفكر ورسموا له الطريق على أيدى كُتاب الموسوعة ، ومخطط الثورة الفرنسية والتنوير وتكوين المناهج الإلحادية والإباحية .

وتتشكل هذه الملامح الفكرية التى انطلقت إلى كل مكان فى البلاد الإسلامية تحت تأثير النفوذ الاستعمارى الغربى .

* * *

أولاً : التفسير المادى للتاريخ

الذى يصر على أن كل شىء يتحرك بحوافز مادية من تطورعلاقات الإنتاج يخرج الفن والفكر والدين . (الماركسية) ويطلقها ماركس .

ثانياً : التفسير الجنسى

الذى يجعل الجنس مصدر كل تحركات الإنسان ورغباته ، وأن الإنسان حيوان يلهو بأعضائه التناسلية . وهو مذهب (فرويد) .

ثالثاً : العبثية والوجودية

التى تبعث القلق والغثيان والقىء والإحساس بعدم الجدوى ، وبأن الإنسان ولد

ليموت وقذف به الكون بلا رعاية ولا عناية .. وهو مذهب (سارتر) .

رابعاً : المـــادة

وأنه ليس وراء المادة سوى المادة .

خامساً : الثورة على كل ما هو ثابت

وخاصة القيم الأخلاقية والدين والروابط الاجتماعية والأسرة (دور كايم وهربرت ماركوز) .

فإذ رجعنا إلى ماركس وفرويد ، وسارتر ودوركايم ، وهربرت ماركوز وجدناهم من اليهود (سارتر أمه يهودية) .

وهكذا فإن أوروبا المسيحية ، وأمريكا تتحركان ضمن ما رسمه لهما اليهود ولاخيار لهما فى ذلك وهما سجينتا الفكر اليهودى دون إرادة منهما ، حتى إذا أراد اليهود البحث عمن يساند عودتهم إلى أرض الميعاد كان الغرب الأوروبى فى المقدمة.

وإن العطف الذى تدره أوروبا المسيحية على اليهود الصهونيين والذى تجلى فى الدعم اللا مشروط الذى تقدمه دول الغرب إلى الغزاة الإسرائيليين المسيطرين اليوم على أرض فلسطين إنما هو وليد عقدة الذنب التى يحس بها الغربيون تجاه يهود أوروبا حين لم يستطيعوا حمايتهم بعد القتل الجماعى على يد هتلر والذى زادته وسائل الإعلام الصهيونى والصحافة حين تحول من العدد الضئيل من القتلى إلى ملايين كثيرة (وإن كانت قصة اليهود مع هتلر موضع شك كبير) .

* * *

حقائق تاريخية :

إن الحقائق التاريخية تؤكد استمرار الوجود الفلسطينى فى أرض فلسطين وبقاء العرب بصفة عامة من قبل الميلاد فى أرض فلسطين مع استقرار هذه الحقيقة وتأكدها ، فقد كان وجود العبرانيين متذبذباً بين هجرة ونكوص عن الجهاد ثم تشريد دولتى أشور وبابل لهم .

ففى عام ٧٢١ قبل الميلاد تمكن الملك الأشورى سرجون الثانى من محو مملكة إسرائيل فى الشمال وسبى أحسن رجال إسرائيل الذين رحلوا إلى ميديا وتلاشت مملكة إسرائيل إلى الأبد .

وفى الفترة من ٦٩٧ ـــ ٥٨٨ قبل الميلاد أرسل بنوخذ نصر جيشاً هدفه تخريب أورشليم .

وفى عام ٥٨٥ ق . م تمكن ملك بابل (بنوخذ نصر) من القضاء على أورشليم ، وساق الشعب أسرى إلى بابل ، فعاش اليهود فى المنفى عيش العبيد .

أما أورشليم فقد هدمت هيكلها ، وسبى العظماء من سكان المدينة (٥٠ ألفاً) وظل الحال كذلك عدة قرون .

وقد عاش اليهود بعد سبيهم عيش العبيد وعبدوا آلهة الكلدانيين ، وفى عام ٥٣٩ قبل الميلاد حلت الكارثة بمملكة بابل وعمل الملك قورش عندما دخل بابل ٥٣٨ قبل الميلاد على إعادتهم إلى أرض آبائهم حتى جاء الإسكندر الأكبر واستولى على غزة وصارت بلاد فلسطين تحت سلطاته .

ثم جاء الرومان ٥٨ قبل الميلاد ، وكانت ثورة ٦٩ ـــ ٧٠ فى عهد (نيرون) ثم ثورة ١٣٢ ـــ ١٣٤ تحت حكم (هادريان) .

وحلت بالمجتمع اليهودى الكارثة وكان (تيطس) (قائد نيرون) قد حاصر أورشليم ٧٠ ميلادية وقد تعهد اليهود بإبادة أنفسهم حتى كان جنود الرومان يفتحون المدينة وبعد أن أبادوا عشائرهم وأولادهم توقف كل منهم عن القتال أما أورشليم) قد هدمت وأحرق المعبد الذى بناه هيردس وزالت اليهودية كدولة سياسية من الوجود وأصبح اليهود منذ ذلك التاريخ شعباً بدون وطن .

وهذا فصل جديد أضافه الرومان إلى فصول الأشوريين والكندانيين وتعرض

اليهود فى ظل الدولة الرومانية إلى محق لما بقى منهم حيث سحق اليهود وحولت أورشليم إلى مستعمرة رومانية .

وفى هذه المعركة أرسل لهم جيشاً حاصر أورشليم واقتحمها روكاردس وأضرم النار فى الهيكل ، ثم أعمل السيف فى رقاب اليهود ، ثم قام الرومان بتخريب المدن اليهودية حيث دمرت ٩٥٨ قرية وبلغ عدد القتلى ٥٨٠ ألفاً .

وكانت القدس قد وقعت فى قبضة الاحتلال الأشورى والبابلى والفارسى واليونانى والرومانى الذين غلبوا على ديار الشام لمدة ٧٠٠سنة من ٦٤ قبل الميلاد إلى عهد عمر بن الخطاب ٦٢٠ م (١٦ هجرية) .

وفى عهد الخليفة عمر بن الخطاب تحررت القدس بعد سبعمائة سنة من الاحتلال .

وقد استولى السلاجقة المسلمون على مدينة القدس١٠٧٠م ٣١٤ هجرية ، ثم اتجهوا إلى الدولة البيزنطية ، فألحقوا بها هزيمة ساحقة فى معركة (ملاذكرد) كما استولى السلاجقة على (أزمير) (نيفية) و (أنطاكية) عام ١٠٧٥ م .

وأحست أوروبا أن حماية بيزنطة لها قد فقدت فاعليتها فنشأت فكرة الغزو لأراضى المسلمين بدعوى استخلاص بيت المقدس (وهى الرسالة التى حملها البابا (أربان الثانى) وحمل لواء التبشير بها (بطرس الناسك) الذى حمل الصليب متوجهاً إلى الأراضى المقدسة .

وخرج الصليبيون بعد قرنين من الحملات الصليبية على القدس وما جاورها مهزومين ، وقد تبين لأوروبا مدى ما ادعاه البابا (أوربان) (وبطرس الناسك) من خطر موهوم تعرض له القدس أو يتعرض له قبر السيد المسيح ، وقد ردد العائدون من الحملات الصليبية ذلك فى قلب أوروبا فأسرعت الكنيسة بالقضاء عليهم وإسكات أصواتهم .

ثم جاءت بعد ذلك المرحلة التى قادها (هرتزل) .. والتى كانت أوروبا قد مهدت لها بتقرير (كامبل بترمان) بإقامة رأس جسر يمزق الأمة الإسلامية ويحول دون وحدتها .

إن قيام إسرائيل جاء نتيجة اضطهاد الأوروبيين لليهود ، وليس نتيجة اضطهاد العرب لهم وكان اليهودقد عاشوا فى قلب الدولة الإسلامية فى الأندلس فلما سقط الحكم الإسلامى هاجروا إلى تركيا العثمانية واحتموا بها وأخذوا يعدون للمرحلة الأخيرة من السيطرة على فلسطين .

وكانت الحركة الصهيونية قد تشكلت فى أوروبا فى المرحلة الأخيرة من أجل إنقاذ اليهود من عملية الإبادة التى شنتها عليهم دولة القياصرة بعد قتلهم للقيصر ..

ومن هنا كانت دعوة هرتزل إلى اتخاذ وطن لهم خارج أوروبا .

قال (جولدمان) فى تصريح له : (إننا ــ أى اليهود ــ كان يمكن أن نقبل كلما عرض علينا وطناً قومياً فى أوغندا أو استراليا أو الأرجنتين ، ولكننا أصررنا على فلسطين ، ليس فقط لأن فيها ضعف احتياطى الأمريكتين من البترول ، ولا لأن البحر الميت فيه ما قيمته خمسة تريليونات من الليرات الذهب ، ولكن لأنها فى موقع اسراتيجى متوسط حساس يسيطر على العالم) .

وكانت فكرة العودة إلى فلسطين إحدى هذه المحاولات من خلال إحياء بعض النصوص القديمة الخاصة بأنبياء إسرائيل وداود وسليمان .

وهى الفكرة التى تسللت عندما كان اليهود فى منفى بابل كرد فعل للهزيمة الساحقة التى دمرت وجودهم كله نتيجة ظلمهم وخروجهم على الشريعة وطموحهم إلى إعادة بناء هيكل سليمان الذى دمر أكثر من مرة فى حلم عريض إلى إقامة حكومة عالمية ، وحكم العالم كله من القدس .

وكانت إعادة هذه الفكرة على يد هرتزل من الأعمال الخطيرة التى استدعت إجراءات كثيرة فى مجتمع أوروبا الذى كان يمتهن اليهود ويحاصرهم فى الجيتو ويحدد لهم نظاماً خاصاً فى التعامل مع المسيحيين فضلاً عما يتردد فى الصلوات أيام الآحاد من نقمة على اليهود .

وكان لابد من ترتيب خطط واسعة وجريئة فى سبيل تحقيق هذا الهدف ، منها إخفاء عصر (دولة الخرز) من دوائر المعارف ، والسيطرة على كل مقدرات الفكر

والثقافة والتعليم ، وفرض حق زائف لليهود فى فلسطين ، ورسم مغلوط لها كمقدمة للدعوة إلى الصهيونية .

ولم يقف الأمر عند هذا .. بل امتد إلى إعلان الدعوة إلى الإقليميات والقوميات فى سبيل القضاء على الوحدة الجامعة (الدولة العثمانية . والخلافة الإسلامية) وإثارة الخلافات بىن القوميات والأديان .. بل بين أهل الدين الواحد (ما عدا اليهود) .

وكان ذلك الهدف يتطلب السيطرة على الصحافة والحكم والمدرسة والاستعانة بالأقليات المتناثرة فى العالم ، وخاصة فى العالم الإسلامى لتحقيق الهدف وإسقاط الخلافة وتدمير النظام الاقتصادى الإسلامى فى خطة واسعة طموح ترمى إلى أن يصبح العالم كله خاضعاً للحكومة السرية (التى قيل إنهـا مكونة من ثلاثمائة حبر يهودى).

ولقد أشار (فارس الخورى) القانونى المسيحى السورى إلى هذه الخطة فقال : إنه لابد من قراءة العهد القديم ودراسة ما أدخله اليهود عليه من تزييف لمصلحتهم إذا أردنا أن يكون مدخلاً طبيعياً لمسيحيى العالم » .

وكانت خطة احتواء النصرانيةجزءا أساسياً من هذا المخطط :

١ ـــ فالتوراة تنكر ذهاب إبراهيم وإسماعيل إلى جزيرة العرب وبناء الكعبة .

٢ ـــ وهم يقدمون إسحاق على إسماعيل .

٣ ـــ وهم ينكرون أن عهد الله تبارك وتعالى لإبراهيم مشروط كما ورد فى القرآن ويرون أنه مطلق .

وهكذا كانت الدعوة الصهيونية حركة عنصرية تعمل على قتل أهل وطن يقيمون فيه منذ آلاف السنين لكى يحلوا محلهم عنصراً غريباً بالقوة .

وكان اليهود منذ وقت طويل يرجع إلى عام ١٧١٧م قد وضعوا خطة المؤامرة الماسونية.. وذلك لتكوين مجموعة من الموالين لهم فى محيط المسيحية ثم فى محيط الإسلام ليكونوا عيناً على قيادات الحكم والفكر وتوجيه الأمور إلى الوجهة التى تمكنهم من السيطرة .

إن إسرائيل لم تولد فى وعد بلفور١٩١٧ م ولم تولد فى المشروع الصهيونى . ولكنها ولدت قبل ذلك فى المشروع الاستعمارى الأروبى الكبير الذى ظهرخلال تراجـع الدولة العثـمانية ، وعندما انتـقلت أوروبا إلى شرقى البـحر المتوسط وقناة السويس ، وكـانت كل دولة أووبيـة قوية تبحث عن أقلية دينية فى الشرق لتتزعم حمايتها أو تقرضها لتبرير نفوذها فى الشرق .

فروسيا القيصرية ادعت أنها حامية الطائفة الأرثوذكسية لأنها ابنة هذه الكنيسة وفرنسا ادعت أنها ابنة الكنيسة الكاثوليكية ، وبحثت عن الطائفة الرومانية الكاثوليكية فى لبنان ووجدت انجلترا ضالتها فى الطائفة اليهودية .

وكـان (لامارتين) قد كتب عام ١٨٣٠م فى كتـابه : (رحلة الشرق) فقـال : إن على الغرب قبل أن يضع أقدامه فى الشرق أن يفكر فى انتقاء أقلية تكون قريبة من أفكاره ومبادئه حتى يعتمد عليها إلى أن يحين الوقت ليغادر الشرق ، وحتى تبقى هذه الأقلية خالصة لمبادئه وتظل جسراً ثابتاً لأفكارنا » .

كتب هذا قبل أن تقصف مدافع فرنسا المرسى الكبير وشواطىء الجزائر وقبل أن تضرب مدافع انجلترا حصون الإسكندرية .

وهكذ ولد المشروع الصهيونى (قبل وعد بلفور والمؤتمر الصـهيونى الأول فى بال ١٨٩٧م) ولد المشروع الصهيونى على يد بالمرستون ودزرائيلى من ساسة بريطانيا اليهود قبل أن بتسلمه هرتزل أو يفكر فيه .

كان مبرر المشروع يوم وصل محمد على إلى أبواب الآستانة وتساءلت أوروبا: ماذا لو قامت دولة قوية فى المشرق ؟ (هذا بالرغم من ولاء محمد على لفرنسا) .

وهنا نشأت فكرة إقامة الحائط البشرى بين آسيا وأفريقيا ، هذا هو الأصل الذى سبق الدعوة الصهونية ، لأن أوروبا لم تكن تسمح بظهور مزاحم لها فى الشرق، وفى مصر بالذات .

* * *

حمل هرتزل لواء الدعوة إلى إدخال اليهود إلى مشروع (لبرمان) الذى يرمى إلى إقامة حائط بشرى بين آسيا وأفريقيا من عنصر غريب عن المنطقة تحت استعادة اليهود أرضهم فلسطين التى طردوا منها عنوة قبل ألفى سنة .

وكان يهود الخزر هم حملة لواء هذه الدعوى المدعاة ، ولم يكن هؤلاء من يهود التوراة أو خلفاء إسحاق وإسرائيل (يعقوب) وإنما كانوا جماعة تعيش فى منطقة واسعة بين بحر الخزر (بحر قزوين) ونهر الغوبى إلى شبه جزيرة القرم .

وكان الخاقان وحاشيته قد فكروا فى اعتناق أحد الأديان السماوية وبينما كان التجار المسيحيون يبشرون بينهم بالمسيحية وكان التجار المسلمون يدعونهم إلى الإسلام كان اليهود الموجودون فى مناطق القفقاس والقرم يحسنون إليهم اليهودية .

وتخوف الخاقان من نفوذ الإمبراطورية البيزنطية المسيحية المجاورة ونفوذ الخلافة الإسلامية المجاورة أيضاً ، فاختار ديانة محايدة هى اليهودية ، فتهودت (الخزر) ليست بسبب إعجابها بتعاليم الديانة اليهودية ، أو بتفضيلها على ما سواها ، ويدعى ملك الخزر الذى أحدث هذا التحول بولان فى حدود ٧٤٠ م وكان معاصراً للخليفة هارن الرشيد والإمبراطور شرلمان .

وقد اشتبك الخزر فى سلسلة من الحروب مع الفرس ثم مع العرب ، وظلوا فى صراع مع الدول المجاورة حتى وجه الروس إليهم عام ٩٦٠ م ضربة قاضية فسقطت دولتهم . ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك وانتقل مقرها إلى شعب جزيرة القرم حتى أسقطه نهائياً (ماستيلاف الأول بمعاونة البيزنطيين ١٠١٦ م) وتشتت الشعب الخزرى وانضم بقايا الخزر إلى الجاليات اليهودية القديمة وبذلك انتقل قسم كبير منهم إلى إمارة (كييف) كما تغلغلوا داخل روسيا ، واعتنق بعضهم المسيحية ، ودخل كثيرون فى الإسلام وانصهرو تدريجياً فى القوميات الأخرى .

ولم يعرف الشعب الخزرى منذ القرن الثانى عشر أى وجود وهكذا بادت دولة الخزر بعد أن سادت حوالى أربعة قرون واندثرت آثارها ولم يبق من شعبها بقية .

ويهود الخزر من الأدلة التاريخية الحاسمة التى تكذب أن اليهود يمثلون جنساً نقياً لم يدخله عنصر غريب كما تكذب مقولة إن اليهود جميعاً ينحدرون من سلالة

واحدة هى سلالة إسرائيل كما تفند الخرافة القائلة بأن اليهودية ليست من الأديان التبشيرية ، وأن أبناءها لم يحاولوا نشرها بين غيرهم من الشعوب .

ولقد أنكر اليهود كل أخبار مملكة الخزر ، ورفعوها من دوائر المعارف العالمية ويعد أكبر مصدرعربى عن الخزر ودولتهم هو رسالة ابن فضلان الذى أرسله الخليفة العباسى المقتدر بالله فى سفارة إلى مملكة البلغار فى مطلع القرن العاشر الميلادى .

* * *

ولقد أخفت الصهيونية قضية الخزر بكاملها حتى لا تكون حجة فى الكشف عن أن اليهود الذين يحتلون فلسطين اليوم ليسوا من نسل يعقوب وهم من أصول غير سامية ونشأوا فى أرض أخرى غير فلسطين .

كذلك فإنها تكذب مقولة الشعب الواحد، إذ أنها تكشف أن الجنس اليهودى تعرض للذوبان والانصهار فى بوتقة الأجناس الأخرى ولم يعد له وجود .

قال روفائيل بتاى عن مادة اليهود فى دائرة المعارف البريطانية: (لقد ثبت من كشوف الأنتربولوجيا الفيزيقية أنه لايوجد جنس يهودى خلافاً للفكرة الشائعة) .

وهذا يدحض زعم الصهيونية فى محاولتهم القول بأن لهم حقاً فى فلسطين ، ولقد أسسوا أسطورة العودة على أسطورة الاستمرار العرقى والتاريخى بين بنى إسرائيل الأوائل وبين اليهود المعاصرين .

ويقول (جارودى) (فى بحثه المستفيض عن اليهود) : إن ٩٩ فى المائة على الأقل من اليهود المعاصرين ليس من أجدادهم أحد وطئت قدماه أرض فلسطين .

ويقول (توماس لين) : الصهيونيون أورربيون وليس هناك أى رباط بيولوجى أو انثربولوجى بين أجداد اليهود فى أوروبا وبين قدامى الأسباط العبرانيين .

وقد أعلن اللورد موين عام ١٩٤٢ فى مجلس اللوردات أن اليهود لم يكونوا أحفاد بنى إسرائيل القدماء ، وليس لهم شرعاً أن يستردوا الأرض المقدسة فاغتيل فى القاهرة عام ١٩٤٤ م على يد عضوين من عصابة شترن الإرهابية .

كذلك فليس صحيحاً أن اليهود عاشوا على أرض فلسطين أربعة آلاف عام متواصلة .

بل إنهم ضربوا أكثر من مرة ، وأخرجوا منها ودمر الهيكل أكثر من مرة ، وهم يهود الخزر وليسوا يهود فلسطين ، وقد طردوا من روسيا بعد قتلهم القيصر إسكندر .

وقد طردتهم الشعوب لظلمهم وتسلطهم وقيامهم بعملية الربا تجارتهم المفضلة وهى التى عرضتهم للاضطهاد والتعذيب .

ولم يجد اليهود مكاناً عاشوا فيه فى سماحة وطمأنينة كما وجدوا ذلك فى ظل الدولة الإسلامية سواء فى الأندلس أو فى تركيا ، وكان جزاء المسلمين هذه المؤامرة الخطيرة .

والحقيقة أن الغرب أراد أن يتخلص منهم فرمى بهم إلى العرب .

أما ما كتب فى التوراة عن حق اليهود فى فلسطين فإنما كتبه الأحبار إبان السبى البابلى تحت تأثير الأحقاد التى حملها اليهود لخصومهم الرومان الذين حطموا وجودهم

أما التاريخ الصحيح فهو يؤكد أن اليهود غرباء دخلاء على أرض فلسطين ، وأن كل ما يملكون من المقومات الثقافية وعلى رأس ذلك كتابهم المقدس فهو مقتبس من الثقافات الكنعانية الأرمنية والمدونات السومرية والأكاذيب البابلية والآشورية والمصرية وأن الأسماء التاريخية الواردة فى التوراة هى من أصل كنعانى يرجع إلى ما قبل ظهور العبرية بأكثر من ألفى عام .

وأن التوراة تحتوى على عديد من التحريفات المتعمدة والاقتباسات والسرقة من ثقافة وأعراف ومعتقدات الشعوب والحضارات القديمة .

وأن مقولة (شعب الله المختار) هى مقولة عنصرية ، والتاريخ يحمل لهم صورة بشعة لتعاملهم مع الجوييم بأقسى صور الجريمة والإبادة .

يقول (أرنولد توينبى) :

« إن الحركة الصهيونية قد جمعت بين جنبيها أسوأ ما فى الحضارة الغربية: القومية العمياء ، والاستعمار ، فإن استيلاء الحركة الصيونية على بيوت وأراضى تسعمائة ألف عربى فى فلسطين هم الآن لاجئون ليس أرقى من الناحية الأخلاقيةمن أبشع الجرائم التى ارتكبت خلال القرون الخمسة الأخيرة بفعل الغزاة والمستعمرين .

إن اليهود لهم أطول تاريخ فى التعرض للاضطهاد .

وقيام اليهود بتحميل طرف ثالث مسئولية الاضطهاد الذى لا قوه على يد الغرب يشكك المرء فى الطبيعة الإنسانية كلها » .

ومما صرح به (روز نبرج) الذى كان يلقب بفيلسوف النازية أنه اطلع على البروتوكولات الصهيونية اليهودية وانتفع بها فى وضع فلسفته السياسية وكان عونا للطاغية هتلر فى سياسته القومية والعالمية التى تشبه البروتوكولات فى وضع الإنسان فيهـــا .

* * *

كانت الماسونية هى خط الزحف الأول لاحتواء العناصر القادرة على العمل فى خدمة الهدف الأساسى الخفى : إعادة بناء هيكل سليمان .

وكان الإلحاديون فى الدولة العثمانية هم القوة الأولى التى أعدتها المحافل الماسونية لفتح الطريق لليهود إلى القدس من خلال ثلاثة أعمال أساسية :

الأول : إسقاط السطان عبد الحميد.

الثاني : تكوين الجيل الذى سيحكم تركيا .

الثالث : إسقاط الخلافة الإسلامية .

وقد عملت الماسونية فى مختلف أقطار العالم الإسلامى لتكوين الكوادر التى تعمل فى مجال القيادات السياسية والاجتماعية والفن والصحافة .

وقد دخلت الماسونية مصر رسمياً فى عصر الخديو إسماعيل (كما يذكر الصحفى العجوز ـــ الأهرام ١٩٣٣/٩/٢) ، وكان الخديوى توفيق من أكبر رؤسائها .

وكان الأمراء والوزراء وكبار رجال القضاء أعضاء فى محافلها وقد كان ذلك تمهيداً للدور الذى قام به الماسون فى الاحتلال البريطانى .

وتؤكد الأبحاث التى قام بها من عملوا بالمحافل الماسونية ، أن الماسونية حركة

يهودية هدفها القضاء على الأديان المسيحية والإسلام معاً تمهيداً لتسلط دولة اليهود على العالم خضوعاً لنظرية شعب الله المختار (شعب يهوه) ومنذ ظهور الماسونية وهى فى حرب مع المسيحية ، وكان الفلاسفة الملحدون المحاربون للكنيسة على امتداد التاريخ الأوروبى كلهم من الماسون .

ومنذ إنشاء المحفل الماسونى فى بريطانيا ١٧١٧ م ، والماسونية تحارب التعليم الدينى وتسهم فى تأسيس مدارس علمانية تهدف إلى القضاء على نفوذ الكنيسة .

ولقد حدث صدام شديد بين الماسونية والمسيحية الكاثوليكية والفاتيكان استمر وقتاً طويلاً وإن كانت الكنيسة قد استسلمت أخيراً فأعلنت تبرئة اليهود حيث ألغيت [صلاة اللعنة على اليهودى الخؤون] من الطقوس الدينية المسيحية وأدخلت عليها صلاة تمتدح اليهود باعتبارهم أول من سمع كلام الرب . ودعم الحوار بين اليهود فى المسيحية على أساس التراث المشترك بين الفريقين ، وإن كان اليهود لايزالون يرون أن الكنيسة الكاثوليكية الرومانيةخلال ١٨٠٠ سنة هى سيف الاضطهادات الدامية التى تعرض لها اليهود فى القرون الوسطى وخاصة محاكم التفتيش ، وداعية مذابح اليهود فى الحرب الصليبية وحكم النازى .

وهذا هو مبدأ التحول المسيحى ، واحتواء اليهود للمسيحية الذى خطا بعد ذلك خطوات واسعة .

* * *

عرف هرتزل الصهيونية فى مؤتمر بازل (أغسطس١٨٩٧م)بأنها الشعب اليهودى فى طريقه إلى فلسطين وقال :

لو أردت أن أخص مؤتمر بازل بكلمة فإننى أقول : إن بازل أوجدت الدولة اليهودية ، ولكنى لن أقول ذلك علناً لأن العالم كله سيضحك منى.

ولكن خلال خمسين عاماً من الآن سيرى الجميع هذه الدولة قائمة حيث قامت إسرائيل فى ١٥ آيار ١٩٤٨ .

وعندما أعلنت اليهود قيام الكيان الإسرائيلى اعترفت الولايات المتحدة به ، واعترف الاتحاد السوفيتى أيضاً به.

وبذلك استطاعت الصهيونية العالمية أن تسيطر من خلال الدولتين الكبيرتين ، واتجهت القوى اليهودية بعد ذلك إلى الولايات المتحدة لأنها أصبحت القوة الكبرى يعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥م وبعد تراجع بريطانيا وفرنسا.

وقد ساعد على ذلك تبعية الكنيسة الأمريكية لمفاهيم التلمود التى تقدم مفهوم الإيمان بأن اليهود هم شعب الله المختار ، وأن قيام دولة إسرائيل وعاصمتها القدس هو مقدمة لبناء هيكل سليمان ، وأن المذبحة الكبرى (أرمجادون)تمثل فى عودة المسيح وتنصير اليهود ، وأن صك الغفران فى الكنيسة الأمريكية يقول للأمريكى : إذ أردت أن تكون مسيحياً جيداً فيجب أن تكون صهيونياً جيداً .

* * *

ولما كانت الكنيسة البروتستانتية تمثل معظم الشعب الأمريكى وبينها وبين إسرائيل علاقات ذات جذور تاريخية تؤكد على الاختيار الإلهى لإسرائيل ، وتربط بين دولة إسرائيل الحديثة وإسرائيل القديمة .

والتوراة قد وضعت دروس الدين فى مناهج التعليم فى أمريكا فى قوالب يهودية مثل الأرض الموعودة والشعب المختاركما تقوم على فرضيات صهيونية باقتناع نصرانى من غير ضغوط إسرائيلية .

ويقوم برنامج الكنيسة الإنجيلية على أساس أن كل نصرانى مخلص يجب أن يؤمن بقدوم المسيح الثانى ، وأن أهم إشارة لهذا المجىء قد هلت فعلاً حينما أسست دولة إسرائيل فى الأرض المقدسة الموعودة ، وبالتالى فإن دعم وجود إسرائيل هو تأييد وتعجيل بقدوم المسيح .

وتشمل البرامج الإنجيلية الدعوة إلى دراسة اللغة العبرية ، والمساهمة فى تنمية إسرائيل عن طريق التمويل والسياسة والدعم الحربى والاقتصادى .

وينص البرنامج العقدى أيضاً على أن هذا التأييد النصرانى لإسرائيل ليس اختياريا بل إنه قضاء إلهى وبالتالى فإن معارضة إسرائيل هى خطيئة فى حق الله ذاته

وقد عمق من هذه النزعة التوراتية الصهيونية (عقدة الذنب) تجاه ما عاناه

اليهود على أيدى النصرانية الأوروبية وقد نجح الصهيونيون فى استغلال هذه العقيدة كدافع لدعم وتأييد إسرائيل بشكل متواصل .

وتعود جذور الصهيونية فى الكنيسة إلى القرن السادس عشر عندما ظهرت حركات الإصلاح الدينى وبرزت البروتستانتية ، وأخذت تبحث عن إجابات لبعض المسائل الفلسفية من خلال التعاليم اليهودية .

وقد تبع ذلك استخدام اللغة العبرية فى الكنيسة البروتستانتية ، ودخول الدراسات العبرية فى الجامعات البروتستانتية مما ساعد على توثيق العلاقات بينها وبين اليهودحتى بدا عند بعض المؤرخين وكأن جبهة (نصرانية يهودية) هى الطريق نحو خلاص العالم ، وظهر ما يسمى بالصهيونية النصرانية لا حباً لليهود كأفراد وإنما لأن إسرائيل صارت عنصراً أساسياً فى آمالهم بعودة المسيح ثانية لخلاص البشرية .

وانتشرت مئات المؤلفات النصرانية عن شعب الله القديم وإسرائيل وصهيون والقدس والعدو الآخر للمسيح ممثلاً فى الامبراطورية العثمانية ، والإسلام والعرب ، وبشكل عام ترسيخ الاعتقاد لدى البروتستانت بأن استعادة مملكة إسرائيل من أجل أن تظهر مملكة المسيح أمر واجب ، وأن ذلك يجب أن يتم بعودة جميع اليهود إلى فلسطين .

وقد انتشرت (روح الصهيونية النصرانية)على الساحة الأمريكية منذ بدايات تأسيس الدولة الأمريكية (قبل قرنين من الزمان) .

فقدكانت المواعظ الدينية خلال الحرب الأهلية الأمريكية تشبه أمريكا بالشعب اليهودى الذى يسعى لدخول الأرض الموعودة ومنذ ذلك الوقت استمر الدعم الأمريكى لإسرائيل على المستوى الشعبى والرسمى بلا حدود .

إن تعليل النزعة المتحيزة لإسرائيل لدى الجمهور الأمريكى يتجاوز المسائل الاقتصادية والسياسية والعسكرية والمصالح المشتركة إلى أسس لاهوتية عميقة الجذور تدعو دائماً إلى إسرائيل أولاً .

* * *

ويتحدث الدكتور (مصطفى صفوان) عن الروابط العقائدية بين أمريكا وإسرائيل فيقول: الأمريكان البروتستانت حين يتحدثون عن (فلسطين) لا يجدون لها تعريفاً سوى كونها أرض إسرائيل .

أقول شعب إسرائيل ولا أقول اليهود ، فالأمريكيون قد يصيبهم ما يصيب غيرهم من عداء السامية ، ولقد يدرجون اليهود فى ذات المقولة التى يدرجون فيها الزنوج وقد لا يرون فى اليهودى إلا صورة المرابى لا يدخل قلبه رحمة أو شفقة ، دون انتباه إلى ما تنطوى عليه هذه النظرة دائماً من التجرد من الرحمة والشفقة .

أما شعب إسرائيل فهو مختلف كل الاختلاف لا يخرج مدلوله عن شيلوك بل من صفحات الكتاب المقدس الذى يقرأون فيه قصتهم وقصة أجدادهم ، هؤلاء الأجداد لم يخرجوا من العالم فراراً من جذور الطغاة وشر الكنيسة مثلما خرج شعب إسرائيل من مصر أرض العبودية فراراً من ربقة فرعون وظلمه ، وقساوته ، ألم يحملوا معهم الكتاب المقدس إلى مجاهل العالم الجديد مثلما حمل موسى لوحى النواهى العشرة فى متاهات سيناء ؟ .

هل كان العالم الجديد أرض الميعاد الثانية التى وهبهم الرب إياها كيما يقيموا بها إسرائيل الجديدة ؟ .

الولايات المتحدة إذاً بعد بيزنطة وفتوح الإسلام وأوروبا الصليبية هى أحدث إمبراطورية تأسست على مشروع أو بالأحرى على أيديولوجية دينيةصرفة يميزها أن جمع سابقتها إجماع هاتين السمتين يكثف قوتها السياسية فى مركز واحد هو (الكابيتول) .

إنها نظرة بروتستانتية تلتزم التزاماً صارماً بالكتاب المقدس كله دون تفرقة بين العهدين ، لذا كان من الأمور ذات الدلالة أنها لا ترى اليوم فى الولايات المتحدة كثيراً من المشايعين لرجال يرتهنون الثواب بطاعة القانون والعهد الجديد حيث الثواب منوط قبل كل شيء بالإيمان .

لذلك كله لم يقع أبداً أى خلاف بين الولايات المتحدة وإسرائيل وأى خلاف ليس إلا خلافاً على الوسائل ولا يمتد إلى الغاية ألا وهى إنقاذ إسرائيل فحسب ، بل

لإقامة الدولة العظمى فى الشرق الأوسط منذ ١٧١٧م وعندما أنشأ اليهود المحافل الماسونية كانوا يعدون العدة لعمل طويل المدى على مستوى العالم كله .

فالحروب الدينية الطاحنة التى دارت بين الكاثوليك والبروتستانت كان يشعل نارها اليهود حتى اندسوا بين الفريقين يحرضون كلاًمنهما على الآخر ويحرضون المسيحى على قتل أخيه المسيحى مما تسبب عنه موت ملايين النصارى الأبرياء .

وفى الحرب العالمية الأولى ، والحرب العالمية الثانية كان اليهود هم مشعلى أوارهما ، وقد مات فيها عشرات الملايين من النصارى ولم يتوقف دور اليهود على الصراع بين الكاثوليك والبروتسانت ، بل كان لهم دورهم فى ديون مصر وقناة السويس بعد دورهم فى الحروب الصليبية .

فقد عمل اليهود جهدهم لنشر الدعاية الكاذبة فى الأوساط الأوروبية ضد الامبراطورية الإسلامية حتى قامت الحروب الصليبية، وكان القصد منها القضاء على التوسع الإسلامى ، وكان لهم دورهم فى سقوط بغداد ، وفى حروب التتار وفى الأندلس كما تحالفوا مع القوى التى عملت لإسقاط الدولة العثمانية .

أما الثورة الفرنسية فهى عمل يهودى كامل وجاءت الثورة الشيوعية مكملة لهــا.

ولقد ناقش المؤرخون حالة الشعب الفرنسى عشية ثورة فرنسا الكبرى ١٧٨٩م وهل كانت أسوأ من حال الشعب فى أسبانيا أو البرتغال مثلاً ؟ واتفقت الأغلبية منهم على أن حال الفرنسيين كان أفضل من كثير من الشعوب المجاورة التى لم تنشب فيها الثورة .

ومن هذه الدراسات اقتنع المؤرخون بأن الظلم والاستغلال والقهر لا يكفى لحث المظلومين على الانقضاض على ظالميهم ، وإنما لابد من إرهاب من القوى صاحبة الغرض .

* * *

والتجربة اليهودية فى مصر نجحت فى تحويل مصر إلى جسر انطلاق نحو فلسطين فقد امتلك اليهود فى مصر فى الفترة ما بين ١٨٧٧م ــ ١٩٤٨ م نحو

خمسين صحيفة من بينها عشر صحف تدعو للصهيونية وتناصرها .

وكان اليهود يسهمون فى توجيه ثلث الشركات العاملة فى مصر وقد زاد الأستاذ على شلش أسماء الشخصيات البارزة من كتاب اليهود والماسون فى مصر وفى مقدمتهم الخديو إسماعيل وأحمد ماهر وعبد الخالق ثروت وسعد زغلول وفؤاد سراج الدين ونعوم شقير وجرجى زيدان ، وشاهين مكاريوس وإبراهيم اليازجى ويوسف وهبى ، وغيرهم .

ولم يكن المجتمع المصرى واعياً بأهداف الغزوة الصهيونية وقت حدوثها ، وقد اتصل مصطفى كامل فى أوروبا مع هرتزل يستعين به فى خدمة القضية المصرية ، وقد ضمت وزارة أحمد زيور وزيراً يهودياً هو يوسف قطاوى .

كذلك فقد ارتبط النشاط الشيوعى فى مصر باليهود .

* * *

كانت نكسة ١٩٦٧م من المراحل الخطيرة الحاسمة فى العلاقة بين الوطن العربى كله وبين الصهيونية فقد استطاع الكيان الإسرائيلى توسيع دائرة سيطرته حيث شملت القدس والجولان وسيناء .

ثم جاءت حرب ١٩٧٣م لتحطيم أسطورة الجيش الذى لا يقهر وافتتح باب استرداد الأرض العربية من خلال مفهوم الجهاد ولكن الأمور تطورت بصورة أخرى حيث جرت المفاوضات بين مصر والكيان الصهيونى للجلاء عن سيناء فى مقابل التطبيع مع إسرائيل بما وصف بأنه صلح منفرد ، وكان له آثاره الخطيرة فى علاقات مصر مع الدول العربية .

ونشأت بعد ذلك قضية (كسر الحاجز النفسى بين العرب واليهود) وما يتصل بها من عملية اقتحام العقل العربى المسلم فى محاولة للتأثير على المواطن المصرى لقبول إسرائيل نفسياً وتاريخياً وهو ما يسمى (بالاختراق الفكرى الصهيونى للمجتمع المصرى) .

يقول الدكتور إبراهيم البحراوى : يعرف اليهود من دراساتهم للمجتمع المصرى

وللقيم التى تحكمه أن الإسلام يحذرنا من اليهود لأنهم لعبوا دوراً مبكراً فى محاولات تدمير الدعوة الإسلامية .

ويلاحظ أن المخطط الإسرائيلى أدرك أثر هذه التربية ، وسجل عنده أن المسلم العادى (فى المسجد أو البيت) يتلقى ويرضع منذ الصغر قيمة معاداة إسرائيل بسبب خيانة اليهود الرسول ﷺ فى بداية الدعوة الإسلامية .

والمحاولة التى يجرى القيام بها ترمى إلى نزع هذا العداء من نفس المسلم وترويضه لقبول الوضع القائم حيث تحاول أن تجعل المسلم يقبل هذه الوضعية الراهنة باعتبارها أمراً واقعاً يعيشه فى المستقبل ولا يصح تبديله .

وموقف إسرائيل من مصر لم يتغير (بالرغم من اتفاقيتى كامب ديفيد ، ومعاهدة السلام) .

وأهم أهداف إسرائيل هى استثمار حالة المعاهدة الساعية للتأثير على الكيان الوجدانى للشعب وإضعاف القيم الفكرية والدينية التى تغذى إحساسه بضرورة مواصلة الصراع ضد إسرائيل .

وكذلك العمل على تحويل معاهدة السلام من عمل سياسى إلى قبول داخلى وجدانى عميق فى نفس المسلم بهدف التغيير العقائدى حتى لا يعود المسلم بعد ذلك إلى ممارسة الصراع ضد إسرائيل أو التفكير فيه .

وكذلك العمل عبر أساليب علمية وإعلامية على إزالة أثر شعور المصرى بمقاومة إسرائيل وتحويل هذه النفس المصرية إلى حالة قبول إسرائيل كحقيقة سياسية أو تاريخية .

ولما كانت الاستراتيجية قد ركزت على الهجوم على محور الدين الإسلامى فإن الصحوة الإسلامية تمثل هدفاً وتمثل فى نفس الوقت عائقاً أمام الاختراق الفكرى الصهيونى .

* * *

المهمة الكبرى والأساسية :

ومن هنا تبدأ أخطر قضايا الاحتواء ، وانصهار الأمة الإسلامية فى بوتقة التغريب حيث يعمل اليهود على إبطال الحرب فى سبيل إعداد الشعوب (والمسلمين فى المقدمة) لقبول الأمر الواقع تحت اسم اللازم الخادع .

وتقوم اليونسكو بدور خطير لخدمة الصهيونية العالمية فى هذا المجال وتجرى هذه المحاولة لتغيير مفاهيم الجهاد والبطولة والانفجار السكانى .

وإذا كانت الصهيونية قد احتضنت مذاهب مثل القومية والماركسية وتبنت دعوات مثل الدارونية والفرويدية والوجودية ومفاهيم العلوم الاجتماعية من أجل تزييف قدرات الإنسان الأصيلة التى أقامتها الأديان فى سبيل إعلاء العنصر اليهودى ، وإعداده لقيادة البشرية فإن الأمر يحتاج إلى عناية حاسمة .

وإذا نظرنا إلى هذ المخطط من ناحية أخرى وجدنا أن محاولة خطيرة قد جرى تنفيذها على النحو الذى يصوره دكتوركيسنجر الذى قال إنه قام بها بعد حرب ١٩٧٣ م لتصفية هذه الحروب ومحو آثارها للتغطية على الانتصارات التى تمت تحت مفهوم (الله أكبر) والتى أجهضت بفرض معاهدة كامب ديفيد .

يقول : إن حرب الشرق الأوسط ومفاجآتها خطر داهم يتهدد الميزان الذى وضع لأجل حماية وجود الكيان الإسرائيلى فى ثلاثة أركان أساسية :

الركن الأول :

حصر الجزائر واحتواؤها وإغراقها فى حرب أهلية تستهلك كل قواها ولا تترك لها أى قدرة على الالتفات شرقاً ، وقد أرغمت أسبانيا على أن تسلم الصحراء إلى المغرب ونقض كل الاتفاق مع الجزائر ، وكانت نتيجة ذلك انفجار ثورة البوليزاريو .

* * *

الركن الثانى :

إشعال الحرب الأهلية فى لبنان ، وكان كيسنجر قد وعد الموارنة وعداً أكيداً بدولة مسيحية مارونية فى لبنان تتحالف مع الدولة اليهودية فى إسرائيل وتكون الاثنتان درعاًصليبياً ضد العرب وانهارت الدماء من اللبنانيين والفلسطينيين والسوريين .

الركن الثالث :

تقويض الأوبك واستعمال سلاح البترول وكيف استطاع الغرب أن يركز الأساس الذى يعتمد على السيادة والهيمنة الأمريكية وأن يمسكوا بعنق النظام الاقتصادى العالمى .

* * *

ومنذ توقيع معاهدة كامب ديفيد بدأت تعلو فى الأرض المحتلة نغمة جديدة ومحيرة مؤداها ، إن حل الصراع العربى الصهيونى يكمن فى إقامة جسور الالتقاء بين ما يسونه بالثقافة العبرية والثقافة العربية ، وفتح قنوات الحوار بين المثقفين العرب والمثقفين فى إسرائيل من أجل خلق مجتمع عربى يهودى متجانس ، وهى نفس الدعوة التى طرحت على الحركة الثقافية فى مصر باسم التطبيع ورفضها المثقفون العرب فى كل مكان ولكنها تأتى هذه المرة من داخل الأرض المحتلة ، ومن كتاب عـــرب .

وهناك مجالات لإسرائيل تحاول أن تسعى للالتفاف على الحركة الثقافية العربية المناهضة للتطبيع سواء فى داخل الأرض المحتلة أو خارجها ، وتسعى أيضاً لتمييع الصراع المصيرى بين العرب وإسرائيل وتحويله إلى مجرد خلاف ، وهناك (جائزة) للتعريب بين الثقافتين العبرية والعربية .

وفى نفس الوقت يقوم الإسرائيليون بتدمير المبانى ذات التاريخ فى فلسطين ، وكل ما يدل على أنه كانت هناك حياة عريقة قديمة وتراث .

(مثال ذلك بيت الدكتور قدرى طوقان المبنى من الصخر الضخم كالقلعة وعمره عدة قرن من الزمان ، وقد دمر الإسرائيليون جزءاً من المنزل وأحرقوا المكتبة النادرة) .

إن التاريخ يزعج الإسرائيليين وكذلك يزعجهم الحاضر .

وهم يتخذون من الاستيطان وسيلة للسيطرة على أرض فلسطين وطمس كل ما هو عربى إلى حد إبادة قرى بأكملها فى توسع زاحف لإقامة دولة يهودية من النيل إلى الفرات .

وتقوم الثقافة والتعليم فى إسرائيل على إغراق أجيال الشباب المهاجرين فى فكرة أن فلسطين هى الدولة الصهيونية المقدسة .

وهم يقيمون وجوده فى الأرض المحتلة على أن الانغلاق العنصرى رفض الاندماج الذى يؤدى إلى فقدان الشخصية اليهودية ، ويعد اليهود أشد الأجناس تعصباً ويركزون على فكرة (الشعب المختار) وهى فكرة تشابه فكرة سيادة الجنس الأبيض وفكرة التفوق الجنس الآرى (التى كانت تحملها الفاشية والنازية) .

* * *

وتعمل الصهيونية ألف حساب للصحوة الإسلامية فإذا درسنا معظم المخططات والأيديولوجيات المطروحة فى أفق الفكر الإسلامى اليوم والموجهة إلى برامج الإعلام والصحافة والمسرح والتعلم نجد أنها وضعت بعناية لخدمة الصهيونية واحتواء الشباب المسلم منذ الخطوات الأولى من حياته .

وأخطرها تحديد النسل الذى يتركز الآن فى تحديد نسل المسلمين ، وتزييف تفسير مفهوم الجهاد ، وتجميد تطبيق الشريعة الإسلامية أو فرض المفاهيم العلمانية والتعليم الغربى .

أما التاريخ الإسلامى فتجرى له عملية تزييف خطيرة لحساب الصهيونية وذلك بقصد طىّ صفحة البطولة الإسلاميةضد الحروب الصليبية والتتار ، وبطولة المماليك والعثمانيين وفتوحهم فى أوروبا وكذلك كل ما يتصل بتاريخ اليهود قديماً فى المنطقة العربية ، وإثارة النعرات الصليبية والخلافات العقائدية للحيلولة دون تجمع المسلمين فى كيان واحد .

وقد استخدموا لذلك عدداً كبيراً من العرب والمسلمين ، وقد أشار الباحثون إلى أن كيسنجر إبان عمله فى جامعة هارفارد اختار أكثر من ستمائة مثقف شرقى لإعدادهم ليكونوا قادة وزعماء فى بلادهم بالتعاون مع المخابرات الأمريكية من أجل تسليط الضوء عليهم ، وتهيئتهم للمشاركة فى حكم بلادهم منهم (جيسكار ديستان) الرئيس الفرنسى (وايجال الون) وبعض العرب ممن تولوا مراكز ضخمة ومسئوليات إعلامية .

ويشير الباحثون إلى خطة إبعاد الإسلام عن معركة الصهيونية مع العرب والمسلمين فرددوا قول أحد قادة إسرائيل الذى قال :

« إننا نجحنا بجهود أصدقائنا فى إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب ، ويجب أن يبقى الإسلام بعيداً عن المعركة ويجب ألانغفل لحظة واحدة عن تنفيذ خططنا فى منع يقظة الوحدة الإسلامية بأى شكل وبأى أسلوب ، ولو اقتضى الأمر الاستعانة بأصدقائنا لاستعمال العنف فى إخماد أى بادرة ليقظة الروح الإسلامية » .

(وهذا ما يجرى اليوم بعد مرور أكثر من عقد من الزمان) .

وإذا فشلنا فى إقناع أصدقائنا فى توجيه ضربة قاضية فى الوقت المناسب ، فإن على إسرائيل أن تواجه حينذاك عدواً حقيقياً لا وهمياً ، وهو عدو حرصنا أن يبقى بعيداً عن المعركة ، وسنجد إسرائيل نفسها فى وضع حرج إذا نجح المغتصبون المسلمون فى تحويل معركتنا ضد البلدان العربية إلى معركة المجاهدين المتعصبين ، وهم الذين يعتقدون أن أحدهم يدخل الجنة إذا قتل يهودياً أو قتله يهودى » .

وقال : وسيقوم الإسرائيليون بالدور الذى قام به المستشرقون من عملائهم ، سيقومون بدورهم فى تغيير عقلية المسلمين وتفكيرهم فينشئون حركة تجديد الدين ، وذلك تحت اسم (العلمانية) وهو اسم براق والمقصود به البعد عن الإسلام وإبعاد المسلمين عن عقيدة وشريعة الإسلام مع العلم بأن إسرائيل قامت على أساس الدين ، وعادت إلى فلسطين : « أرض الميعاد » كما تقول، وتحاول أن تجعل دولتها من النيل إلى الفرات باسم الدين .

ولكن تغريب الإسلام عن المسلمين هو من أهم خطط إسرائيل ، وذلك يظهر فى صحفهم الدينية العديدة .

كذلك فإن إسرائيل تقوم بدورها فى تحطيم الجسد والنفس فى الوطن الإسلامى عن طريق نشر الجنس عن طريق الصور والأغانى والأفلام والمسرحيات وأجهزة الدعاية والإعلام فى العالم ، وتساهم علمياً فى هذا المخطط . أ. هـ .

* * *

ومن هنا يظهر لنا الخطر الخفى : خطر الصهيونية فى الثقافة الإسلامية عن طريق التوسع الثقافى كإحدى الركائز الأساسية للمبدأ الصهيونى وتذكر هنا ما قاله هـــرتزل :

« إنشاء دولة تصبح جزءاً من عالم الغرب ، وتكون خندقاً أمامياً للدفاع عن الحضارة الأوروبية فى مواجهة البربر (أى العرب) » .

ولقد عملت الصهيونية من خلال فرعيها الرأسمالية والشيوعية على السيطرة على العالم وتنسيق العمل بينهما .

وكان (نيتشه) قد كشف عن الصلة الحقيقية بين الصهيونية والشيوعية وحدد أهدافها فالهدف الأسمى للشيوعية هو السيطرة على مقدرات الشعوب والسيادة سياسياً واقتصادياً تحت زعم أنهم شعب الله المختار .

وفى بروتوكولات صهيون : أنت تقرأ فى شريعة الأنبياء أننا مختارون من الله فى حكم الأرض ، وقد منحنا العبقرية كى نكون قادرين على القيام بهذا العمل .

ومن هنا ندرك أن أول من نادى بالشيوعية هم الصهيونيون ، وقد نقرر أن الثورة الشيوعية فى روسيا كانت من تصميم اليهود وأنها قامت نتيجة تدبير اليهود الذين كانوا يهدفون إلى : خلق نظام جديد للعالم .

وهما يلتقيان فى نشر الإلحاد ، وبث الإباحية فى العالم ، وهدم القيم والفضائل والمثل ، والقضاء على الأديان ليسهل لهم السيطرة والتحكم فى مقدرات الشعوب . وفى ذلك قولهم (ولهذا يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان) .

قال ماركس : لا إله . والحياة مادة .

وفى البروتوكولات : (نحن الذين رتبنا نجاح كارل ماركس ، وهما الشيوعية والصهيونية) يلتقيان فى العنف والقسوة والوحشيةضد الشعوب ، إن الصهيونية ليست شقيقة الشيوعية بل هى أمها .

ولما كان هدف الصهيونية إقامة بوتقة تفكك الأخلاق وتسهل سبل الشهوات تقدم فلاسفة اليهود فرسموا المنهج لهذا العمل (دوركايم ــ ماركس ــ فرويد) .

العمل هو اختراع الرقص الخليع ، ونشر صحف المجون والفسق ومسابقات الجمال وعبادة المادة .

وألحق (دوركايم) نظام الأسرة بالأوضاع المصطنعة ، وحاول أن يبطل آثارها فى تطور الفضائل.

أما (سارتر)فهو يقود الفرد لآفات القنوط والانحلال .

وكا ن (فرويد) وراء إرجاع كل الميول والآداب الدينية والخلقية إلى الغريزة الجنسية كى يبطل قداسة الأسرة والمجتمع وجعل مقياس الرقى الأدبى بمقدار دغدغته لغرائز الجنس وإثارة الشهوات .

وقد تسللت هذه السموم إلى عالم الإسلام عن طريق المستشرقين والإرساليات التبشيرية باسم بعثات الآثار .

وقال هاملتون جب : (إن الهدف هو حمل العالم الإسلامى على الحضارة الغربية لهدم وحدة الحضارة الإسلامية التى تقوم عليها وحدة المسلمين لأن كل قطر سيتجه إلى اقتباس مايلائم ظروفه ، وعندئذ تتعدد الأساليب فى الاقتباس .

[بتصرف عن بحث محمد عبد العال حنفى]

* * *

وفى هذا المجال لابد أن نذكر أن اليهود هم الذى حملو لواء كل مقررات التغريب والغزو الثقافى ، وعملوا على طرحها فى دائرة الفكر الإسلامى :

١ ــ فاليهود هم الذى حملوا لواء الفصل بين الدين والدولة ، وقدم اليهود عقيدتين خطيرتين هما : الغريزة الجنسية (فرويد) والصراع الطبقى (ماركس) .

٢ ــ واليهود هنم أصحاب مقولة : إن الدين هو سبب تخلف المسلمين ، وهم الذين يحاربون فريضة الجهاد الإسلامية بكل قوة .

٣ ــ وهم دعاة إنكار الألوهية والنبوة والغيب واليوم الآخر والجزاء الأخروى .

٤ ــ وهم القائمون على إغراق المجتمعات بأدوات الانحلال ممثلة فى الفكر الأسطورى والإباحى والمادى ودفعه إلى مجتمع الاستهلاك باعتبار أن هذه الأدوات

هى التى توصل إلى فرض النظام الربوى على العالم كله ، وضياع الأخلاق والقيم .

٥ ـــ كذلك فقد فرض اليهود أنفسهم على حركة الاستشراق لتحقيق أهدافهم فى النيل من الإسلام ، وإضعافه والتشكيك فى قيمه لأسباب سياسية تتصل بخدمة الصهيونية فكرة أولاً ثم دولة .

٦ ـــ كذلك فقد احتضنت الصهيونية كل الفرق والملل والنحل التبشيرية الملحدة والإباحية ، وفى مقدمتها « البهائية » وقد اعترفت حكومة الكيان الصهيونى بأنها المركز الروحى للفكر البهائى وأنها هى التى أذاعت فكرة الروحية الحديثة ، وأعلنت أن « الروحية » دين جديد له أركان وقواعد وهو يقوم على وحدة الوجود وعلى تناسخ الأرواح وأنه ليس هناك يوم للبعث والحساب وأن العبادات المقررة فى الحياة الدنيا لا وزن لها عندهم كما يروجون لفكرة قدم العالم وإنكار الخالق وإنكار نهاية الخليقة .

كما أنهم يمجدون الأديان الوثنية والنحل القديمة ويعلون من شأن الفرعونية ويتخذون من أسمائها رموزا لهم وللمجتمع (رع آمون رع) إضافة إلى الليونز والروتارى .

٧ ـــ روجت الصهيونية لدين جديد يدعو إلى العالمية ، ونبذ كل الأديان وتحطيم الحواجز بين الشعوب والأفراد والعقائد والأديان ، وهو ما تدعو إليه الماسونية أساساً ، وكل فروعها الأخرى.

٨ ـــ محاولة إسناد درر حضارى مختلق لليهود ليجعل منهم حملة ألوية المدنية عبر التاريخ .

* * *

سقوط الكيان الإسرائيلى

لقد قام هذا الكيان الإسرائيلى على عوامل تتعارض مع الدعائم الحقيقية لبناء المجتمعات والأمم ، فقد اعتبر أن القدرة العسكرية والتحالف مع الدول الكبرى والتآمر وإثارة الأقليات والجاسوسية والمعونات الخارجية هى الأدوات القادرة على بناء كيان يستطيع الاستمرار .

أما الكيان نفسه فهو مكون من عشرات العناصر والنحل والعروق التى تجمعها عاطفة مثارة تحت مسميات منسوبة إلى الكتب المقدسة التى كتبها الأحبار فى إبان محنتهم وهزيمتهم فى بابل فهى ليست حقائق مؤكدة ، ولا يوجد فى كتب التاريخ الصحيح ما يزكى وجودهاعلى أنه الحقيقة ، شأنها فى ذلك شأن « الماركسية » التى رسمها (ماركس) من خلال خيوط مختلفة متنوعة منتقاة حاول جمعها وتلفيقها ولذلك سرعان ما انهارت وكشفت متغيرات الزمن فسادها وعجزها عن العطاء .

فما يذكرون من حق لهم فى أرض فلسطين قضية مدعاة ، وما يحاولون إثباته من دور لهم فى الحضارة تكذبه كل الوثائق والأحافيز وما يذيعونه من نصوص فى الكتب المقدسة تؤكد أن الأحبار هم الذين كتبوه .. إن القدس كان يسكنها العرب. والعرب هم الكنعانيون ومن جاء بعدهم .

يقول المؤرخ (أرنولد توينبى) :

من المستحيل أن تقوم دولة فى مكان ما لمجرد أن هيئة غنية ذات سلطان فى السياسة العالمية فى وقت ما تريد أن تصنع بقوة المال والسلطان السياسى فحسب كياناً سياسياً له شرعية وجذور ، فالذى تصنعه الصهيونية اليوم هو ما يصنعه رجل ذو سلطان إذ يشترى قطعة أرض فى بلد ما ويطرد أهلها منها ويقرر إنشاء دولة لنفسه فيها زاعماً أن شراءه الأرض يخرجها من سيادة الدولة لأن الدولة لا تصنع هكذا بالقوة والمال والشجاعة لمن يكتسب لامن فوهة المدفع ولا من اعتراف مجلس الأمن ، لأن مجلس الأمن نفسه هيئة مصطنعة تسير حسبما يريد لها الذين صنعوها ، وكما اعترف مجلس الأمن بإسرائيل دون أن يكون اعترافه بها وثيقة بشرعيتها ، فكذلك ظل ينكر شرعية الصين عشرين سنة لأن الولايات المتحدة أرادت ذلك .

كذلك قد قام المجتمع الإسرائيلى على جماعات عرقية ولغوية مختلفة لم تستطع حتى الآن بعد أربعين سنة أن تنصهر فى بوتقة واحدة أو أن تنتج ثقافة قومية بالمعنى الصحيح ولا يستطيع أحد أن يزعم وجود أمة إسرائيلية ، إذ إن اليهود ينتمون لأصول وثقافات مختلفة يجمعهم إحساس بالاستماتة فى سبيل البقاء على أرض يواجهون عداء أهلها المخرجين منها والذين يعيشون حولها.. وإذا كانت الصهيونية قد نجحت فى إنشاء الدولة اليهودية فإنها تسببت فى خلق مشاكل تهدد وجودها المادى والمعنوى :

أولاً : إن نظرية اعتبار قتل العرب واجباً وطنياً أو إجلاء العربى عن مسكنه بالقوة هذه قاعدة لا يمكن أن تكون طبيعية ، إنها تمثل جريمة إبادة الجنس ، وهو ما يقوم به اليهود اليوم على نحو ما جرى لهم فى ألمانيا النازية أو كما أباد الأمريكيون الهنود الحمر .

ثانياً : عدم قدرة الشعب على القيام بنفسه ، فهو شعب يعيش على الإعانات وقوتهم مرتكن على ما تقدمه لهم دولة حليفة كالولايات المتحدة سنويا (أربعة آلاف مليون دولار) .

فالشعب يعيش عالة على المعونات والدعاية والحماية تأتيه من الخارج .

ثالثاً : فكرة بقاء اليهود على قاعدة امتلاك قوة عسكرية توازى قوة البلاد العربية مجتمعة إلى متى يبقى هذ الوضع غير الطبيعى ، والذى لابد أن ينهار ؟.

رابعاً : إن العرب الذين أجلوا عن أرضهم وديارهم بالقوة لن ينتهوا مهما قتلهم اليهود ولن يتراجعوا عن استعادة أرضهم .

خامساً : إن تجمع اليهود فى أرض فلسطين المحتلة ليس عامل قوة بل هو عامل ضعف فسرعان ما تتغير موازين القوى ، وتباد هذه العناصر.

سادساً : تأسيس المجتمع اليهودى على أسطورة ، وعلى غدر وعلى تآمر مع الدول التى تريد استبقاء نفوذها وكلها عوامل غير طبيعية ، ولا يمكن أن تستمر .

إن تأسيس الكيان على أسطورة جعله عاجزاً عن تقبل الواقع والاحتكام للتاريخ. لقد أراد الغرب أن يتخلص من اليهود فرمى بهم العرب والمسلمين ، وفى

إسرائيل استعادة كاملة للأسطورة الصهيونية التى تقوم على بعث الماضى الميت ، والدعوة إلى التوسع ، وتمجيد الحرب .

* * *

إن هذا المخطط ليس له جذور ولا أصالة ولا هو متسق مع العلم أو التاريخ أو الفطرة ولابد أن ينهار مهما استمر .

وسوف يخرج المسلمون من هذه الدائرة المغلقة التى رسمها الاستعمار ، وفرضت بالقوة وسوف يكسر المسلم الأغلال ويحطم الحواجز ويمتلك إرادته ويسترد أرضه .

وإن محاولة القوى الصهيونية تمزيق وحدة الأمة الإسلامية ، وفرض مخططات لتقسيم الأقطار الإسلامية وإثارة روح الطائفية والعنصرية فيها لتحويله إلى كنتونات تكون هى فى النهاية المسيطر ولم تستطع مؤامرات الفتنة الطائفية والإرهاب ، واحتضان بعض القوى واستغلال الشباب المغرى بالانحراف والفساد أن يحقق شيئاً على المستوى البعيد .

* * *

المحاولة الخطيرة اليوم التى يجب تنفيذها بعد معاهدة كامب ديفيد هى التسليم للكيان الصهيونى بالوجود والتعامل معه وقبول سيطرته على الاقتصاد والثقافة من خلال التبعية للغرب (الولايات المتحدة بالذات) وقبول المعونات الأجنبية التى تقدم من خلال قبول وجهات نظر الغرب والصهيونية فى شأن خطير هو تحويل الشباب المسلم والعربى إلى مناهج الغرب ووسائطه تحت اسم السلام الخادع .

وقد يبدوفى ظاهرالأمر أن المسلمين والعرب قد قبلوا قبولاً كاملاً مخططات السيطرة والاحتواء مما يبدو معه وكأنما ابتلع المسلمون هذه الخطوة التى جاءت فى ظروف الضعف والتخلف عندما استطاع اليهود ومن معهم من الدول الكبرى سرقة وطن له أصحابه بدعوى باطلة والسيطرة عليه أكثر من أربعين سنة .

فكأنما نشأ شعور بأن هذا الوضع صحيح وسليم وشرعى وأنه من المستحيل تغييره أو التأثير عليه .

ولقد كان على الصهيونية أن تعى بأنها خاضت تجربة غير طبيعية ، وأن وصولها إلى السيطرة بعد أربعين سنة على فلسطين وبيت المقدس لا يمكن أن تكون بمثابة وضع طبيعى أو أن يصدق اليهود ما دأبوا على ادعائه وهو أنهم عادوا إلى أرضهم وأن العالم كله قد سلم لهم بذلك

فالعملية كلها ليست إلا سرقة عالمية تحت سمع وبصر العالم كله فى مرحلة لم يتمكن أصحاب الأرض من استعادتها حيث وقفت كل قوى العالم ضدهم بناء على دعاوى ليس لها أساس صحيح .

والواقع أن الغرب المسيحى أجمع رأيه بعد مرحلة طويلة من الصراع مع اليهود فى أوروبا ومع ديانتهم ومع مجتمعهم المحصور فى الجيتو إلى اتخاذ موقف يريحه ويلقى على الغير مغبة المتاعب التى يثيرها اليهود ومن هنا كان قبوله بقيام وطن قومى لليهود فى فلسطين ، والتخلص نهائياً من هذه الجماعة المزعجة .

ومن هنا كانت ترى أن الغرب كله يحاول دائماً أن يردد مقولة حق إسرائيل فى الوجود وذلك ليثبت قاعدته الأصيلة التى أراحت الغرب منذ أربعين سنة من الوجود اليهودى فى قلب أوروبا ، والاستفادة من هذه الحركة فى تثبيت قوائم وجودهم السياسى فى العالم الإسلامى ، واتخاذ إسرئيل قوة لحماية مصالحهم ولضرب من يختلف معهم وتركوا العرب والمسلمين يواجهون هذا الشقاء الشديد القساوة الذى يفرضه وجود جماعة لا حق لها فى أرض عربية إسلامية بطريق القوة والإعانات والتضليل والخداع والتآمر .

هذا فى نفس الوقت الذى لا يجد الكيان الإسرائيلى ما يمكنه من البقاء والاستمرار لو انقطعت عنه معونة الأمم الغربية وكبار أغنياء اليهود .

وهذا موقف غير طبيعى ، ولن يستمر ، فلا يزال الكيان الصهيونى قائماً فى قلب الأمة الإسلامية ، وهو الخطر الأكبر والمعوق لحركة الأمة الإسلامية نحو وحدتها ونحو تطبيق منهجها وتبليغ رسالتها ، ولا يزال يتطلب تغيير القوى وبناء المقاتلين والمجاهدين وتحويل حركة التحرر من القومية إلى الإسلام تستمد منهجها من شريعته .

ولابد من أسلمة الصراع ، وإذا كانت القضية الفلسطينية هى أصل وجوهر

الصراع فإن القدس تمثل حركة القلب فى هذه القضية ولابد من التحول من المفاهيم القومية التى عجزت عن العطاء وحققت آمال العدو إلى الإسلام السياسى فى مواجهة المؤامرة ، وأن يلتمسوا مفهوم الجهاد بوصفه الفريضة القائمة إلى يوم القيامة ، ويقيموها بمفهومها الصحيح والجامع بالإعداد والمرابطة فى الثغور والقدرة على الردع وتوجيه الثروات الإسلامية كلها إلى خدمة هذا الهدف ، وإقامة جبهة إسلامية مع كل الدول الإسلامية من رباط الفتح إلى أرخبيل الملايو .

إن سيطرة أسلوب المرونة والإسلام (مع القصور فى مجال التوازن العسكرى) وغياب التربية العسكرية القائمة على الفداء والتضحية فى مواجهة أسلوب العنف والإرهاب ، والعدوان الذى يزاوله العدو إنما يمثل استسلاماً لا سلاماً ، وهو منطق الطامعين فى أمن مرحلى خادع ، ومنطق الذين أغرقتهم الأهواء والمطامع والترف والانحلال ، وأعجزهم عن النضال ، وقد خارت عزائمهم أمام المغريات التى تحيط بهم والسيطرة عليهم .

إن هناك محاولة للحيلولة دون تكرار حرب رمضان وإعلاء كلمة (الله أكبر) مرة أخرى سواء فيما يتصل بالأداء القتالى ، أو ما يتصل بتضامن العرب فى مسائل المواجهة للغرب وإسرائيل ، وذلك بالحديث عن السلام الخادع ، وبمحاولة وصف معركة رمضان بأنها كانت محاولة للوصول إلى التفاهم مع اليهود أو هكذا حولوها بيما كانت فى نظر العرب والمسلمين خطوة على طريق تحرير فلسطين .

إن أداء حرب رمضان هو أداء إسلامى أصيل ، فقد كانت (الله أكبر) أقوى من كل مقدرات العدو العسكرية والحربية ، وهى سر النصر غير أن المسلمين والعرب لم يصمدوا فى المعركة ولم يكملوها بل انسحبوا تحت تأثير إجهاض الغرب والصهيونية لمخطط تحرير فلسطين وغلبت فكرة تحرير شريط من سيناء الذى أحدث الثغرة التى هدمت كل ما بنته عملية العبور ، وذلك بشهادة القادة العسكريين .

إن فلسطين لن تعود إلا بأيد ترفع القرآن والسلاح .

﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن

الله من ينصره وإن الله لقوى عزيز ﴾ .[الحج : ٣٩ ، ٤٠] .

لن تعود فلسطين إلا بأيد متوضئة ترفع القرآن في يد والسلاح فى اليد الأخرى واليهود يعرفون تماماً أن التيار الإسلامى الذى يقاتل الآن فى الأرض المحتلة (حماس) يؤمن بهذ المعانى .

إن أخطر ما فى القضية هو تغييب الإسلام عن المعركة بين العرب وإسرائيل ، والحكم الشرعى أن الأرض إسلامية ، وأرض الإسلام للإسلام ولا يجوز التنازل عنها وإذا ديست وجب الجهاد كفرض عين على كل مسلم لتكون كلمة الله هى العليا ، ولم يستوعب العرب حتى الآن بعد أربعين سنة هذا المعنى كما لم يفطنوا إلى حكمة الله تبارك وتعالى فى الكشف عن البترول فى أرض الإسلام .

ولن يستطيع العرب والمسلمون إقامة مجتمعهم الربانى واستئناف حضارتهم إلا إذا حرروا فلسطين ، ولا يزال اليهود فى فلسطين بسعيهم إلى التوسع ، وإلى تحطيم الدول العربية وتمزيقها ، حائلاً دون إقامة شريعة الله تبارك وتعالى .

ولابد أن يعتمد المسلمون والعرب فى حماية مقدساتهم واسترداد أرضهم وإقامة مجتمعهم على امتلاك معدات القتال والدفاع حتى لا يكونوا خاضعين للدول التى يستوردون منها الأسلحة ، ولابد من امتلاك إرادة الاستقلال فى كل أمورها ، وخاصة فى موارد الطعام .

وعلى الدول الإسلامية أن تشكل بينها حلفاً من التفاعل الاقتصادى والسياسى لتأكيد القدرة على حماية الموقع الاستراتيجى ، وتتطلب مقدسات الأمة الإسلامية من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى حلفاً عسكرياً إسلامياً يمتلك قوة استراتيجية ويمتلك فى نفس الوقت قوة شابة (خارج نطاق الجيوش الرسمية) للاندفاع والمقاومة والردع .

إن فلسطين والمسجد الأقصى جرح فى جسد الأمة الإسلامية ، وهى أحد الجروح الخطيرة التى أصابتها مثل تلك الجروح الموجودة فى أفغانستان، وأريتريا والفلبين وغيرها ، ولابد من استردادها ، وقد قدم الحق تبارك وتعالى للمسلمين أسباب القدرة على أداء هذا الحق .

الباب التاسع

نهايــة عصــر

حمت الدولة العثمانية الوجود الإسلامى خمسة قرون كاملة ، عمل الغرب خلالها على تمزيق هذه الوحدة الإسلامية الجامعة ، وتوالت الأحداث من الطورانية إلى الدونمة إلى الصهيونية ، وكانت الحملة الفرنسية علامة فارقة ، وقسمت الدولة العثمانية وأسقطت الخلافة الإسلامية وتخلخل الوجود الإسلامى بالسيطرة الغربية عليه وتمزيقه وإقامة ثلاثة مراكز أساسية لتدميره :

١ ـــ رأس جسر من الصهيونية فى قلب الإسلام .

٢ ـــ حجب الشريعة الإسلامية .

٣ ـــ تمزيق الوحدة الإسلامية وتسليط خطرى القومية والماركسية على الأمة الإسلامية فى محاولة لحجب الشريعة الإسلامية .

فى خـــلال القرن الرابع عشر الهجرى سقطت الخلافة وتمزقت الدولة العثمانية ، وحجب الاحتلال الغربى الشريعة الإسلامية عن المجتمع الإسلامى بعد أن امتدت ثلاثة عشر قرناً كاملة (وكان ذلك عام ١٩٨٢ ـــ ١٤٠١) .

ولكن الدعوة الإسلامية قامت بعد سقوط الخلافة بأعوام قليلة وتنامت وجددت الإسلام وطعمته بمفهوم التوحيد الخالص المستمد من المنابع الأصيلة: القرآن والسنة بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع .

ومن ثم أفسدت كل مناهج الغرب التى كان يعدها لإقامة النظام العلمانى من خلال الدولة القومية ، والنظام الربوى والماركسية بوصفها جميعاً مناهج يجب أن تتصارع فى قلب الفكر الإسلامى حتى يحال بينه وبين العـــودة إلى الإسلام الصحيح .

هذه المرحلة التى بدأت بالحملة الفرنسية، وسيطرة النفوذ التغريبى الثقافى على المنطقة كلها ، بتوجيه شبابنا إلى الغرب ليصنعهم المستشرقون والمبشرون من خلال

مفاهيم الماسونية والبروتوكولات تمهيداً لإحلال الكيان الصهيونى بديلاً للنفوذ الغربى والماركسى جميعاً على النحو الذى رسمه اليهود فى البروتوكولات .

ولكن الله تبارك وتعالى الذى أنزل الذكر وتعهد بحفظه أفسد عليهم خطتهم .

وجاءت الحرب العالمية الثانية ، والتى تحمل فى أحشائها القوة الإسلامية التى أعدت نفسها لقيادة المنطقة ، ولكن الغرب الذى استبدل سيطرته وحولها من أوروبا (انجلترا وفرنسا) إلى الولايات المتحدة سرعان ما قدم البديل الذى سيطر ليحمى وجود الكيان الصهيونى ، وليحول أنظار المسلمين والغرب إلى داخل أوطانهم ويصرفهم عن حمل لواء الجهاد فى سبيل إخراج إسرائيل .

ولكن هذا التحول لم يكن نهائياً وإنما كان إلى حين .

ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى اليوم (١٩٩٦ م) تدفقت موجات كثيرة، وكان أخطرها تحول بعض الأقطار العربية إلى الولاء الماركسى فى محاولة لتأخير حركة الأمة الإسلامية ، ولكن هزيمة ١٩٦٧ وسرعان ما كشفت كل الأوراق وأيقظت المسلمين والعرب فى صوت مدو : هو أن تكون أو لا تكون .

كات هزيمة ١٩٦٧م هى بداية المعركة الحقيقية والاتجاه نحو الأصالة فهى التى قدمت مفهوم (الصحوة الإسلامية) الذى سرعان ما نشر جناحيه شرقاً وغرباً ، وقدم الإسلام بديلاً عن **الماركسية والليبرالية والقومية** جميعاً بعد أن أثبتت التجربة التى خاضها العرب والمسلمون خلال هذه الفترة (من ١٩٤٦ م ـــ ١٩٦٧ م) فشل هـــذه الأيديولوجيات الثلاث التى قدمها الغرب والنفوذ الاستعمارى .

* * *

القومية ـ الليبرالية ـ الماركسية :

ثم جاءت الخطوة الأخرى المدوية ، وهى سقوط الشيوعية ١٩٩٠ م بعد أن تعالت صيحات الإسلام فى إيران وأفغانستان وباكستان وتركيا (صحوة بلاد العجم) وتحولت الشريعة الإسلامية فى أغلب بلاد العرب والإسلام إلى قوانين عصرية ومواد ملزمة فى الدساتير على النحو الذى عرف فى مصر مثلا (الإسلام دين الدولة والشريعة الإسلامية هى المصدر الأساسى للقوانين) .

إن الحملة على الإسلام تقودها الصهيونية العالمية من أجل إقامة هيكل سليمان بديلاً عن المسجد الأقصى ، ومن أجل هذا تحرض الصهيونية الغرب كله على

الإسلام والمسلمين ، ولكن أعظم إنجاز للصهيونية فى تاريخها كله هو الشيوعية وهو إنجاز عاشت فى خدمته سبعين عاماً ثم سقط سقوطاً مدوياً لم تقم له قائمة ، وهو يوحى بسقوط جزئه الأول : الذى كان رد فعل له فى الأساس .

واليوم يتحدث الغرب عن أنه بسقوط الشيوعية عدوه القديم فإن عدوه الجديد الذى يجب أن تتضافر جهود القوى كلها لمواجهته هو الإسلام .

ولقد حفلت التصريحات التى صدرت عن قادة ومفكرين غربيين بالتهديد والتآمر ، وإعداد الخطط من أجل التدمير والإزالة ، وإن هذه القوى التى تتكاتف اليوم فى قوة تحمل راية العلمانية بديلاً عن مناهج الإسلام تنفث أحقادها وتجدد تآمرها ظناً منها أنها ستزيل الإسلام ولكن ذلك أمر لن يكون .

لقد واجهت القوى الإسلامية العاملة كل مؤامرت الغرب وكشفت زيفها وهى لا تتوقف عن العمل فى مواجهة سموم الغرب التى يلبسها أثواباً جديدة لأجيال جـــديدة .

وإن كانت الدعوة الإسلامية قد خطت خطوات جديدة فى سبيل بناء قواعد البناء لتقديم البدائل الإسلامية لكل هذه المناهج الوافدة المغربة عن طريق أسلمة العلوم والمناهج وتأصيل العلوم الإسلامية دون أن تقف عند مرحلة الدفاع والرد على الشبهات .

إن هدف هذا البحث هو كسر طوق الحصار حول الإسلام ، ودراسة أبعاد المؤامرة التغريبية العلمانية الجديدة بعد أن انهزمت خطط الاستشراق والتبشير الغربى .

ماذا سيكون أمر الأمة الإسلامية بعد ؟ وهل يستطيع الغرب أو تستطيع الكنيسة أن تحل محل الشيوعية أم أن الغرب نفسه اليوم موضع امتحان عسير سوف ينتهى بهزيمته ؟ .

نريد أن نستكشف المستقبل العالمى كله ، ونرى أين يكون موقف الإسلام وموقفنا نحن المسلمين ؟ غير أننا قبل أن نصل إلى ذلك علينا أن نستعرض موقف الغرب مع الإسلام .

* * *

بريطانيا والإسلام

أتيحت لبريطانيا فرصة فى مواجهة الإسلام منذ احتلت الهند ١٨٥٨م حتى استولت على مصر ١٨٨٢ م ثم السودان ١٨٩٢ م .

واستطاعت خلال ذلك أن تعمل على إسقاط الخلافة الإسلامية وتمزيق الدولة العثمانية وتوزيع أجزاء منها بين فرنسا وانجلترا (سوريا ، وفلسطين ، والعراق ، والسودان ومصر) كما أقامت وعد بالفور بتقسيم فلسطين وإقامة وطن قومى لليهود بها .

واستطاعت أن تقوم خلال ذلك على إقامة عملية تحويل خطيرة قادها اللورد كرومر لمدة ربع قرن سيطر خلالها على التعليم والصحافة والمحكمة كما حجبت الشريعة الإسلامية ، وفرض القانون الوضعى ، والنظام الربوى الاقتصادى واستشرى الاسشراق والتبشير.

وعملت بريطانيا على إفساح الطريق أمام قوى التنفيذ ، وفتح السودان بجيش مصرى تحت سيطرة بريطانيا ، وأرسلت البعثات إلى بريطانيا بدلاً من فرنسا ، وكانت كتابات الاستشراق البريطانى أشد قسوة على الإسلام .

* * *

ولعل أكبر الأحداث الخطيرة التى قام بها البريطانيون هى تمزيق وحدة الأمة الإسلامية .. فقد قام لورنس بإذكاء نار الثورة العربية فى الحجاز ضد دولة الخلافة العثمانية ، وأعدت اتفاقية سايكس بيكو ١٩١٦ م لتقسيم أملاك الدولة العثمانية فى العراق وبلاد الشام .

وقال اللورد اللنبى بعد استيلائه على القدس عاصمة فلسطين (الآن انتهت الحروب الصليبية) .

وقال اللورد غلادستون : وهو يحمل القرآن فى مجلس العموم البريطانى :

ما دام هذا الكتاب باقياً فى الأرض فلا أمل لنا فى السيطرة على بلاد الإسلام .

* * *

شهدت مصر بعد الاحتلال البريطانى نظامين : الأول نظام غربى منقول من الأنظمة الديمقراطية الغربية فى ظل الملكية ، والثانى نظام فردى منقول من الأنظمة الدكتاتورية تحت لواء النظام الجمهورى ، وذلك بعد حركة الجيش التى قامت عام ١٩٥٢م ، وكان النظام الديمقراطى الغربى عاملاً على احتواء الوطن العربى تحت لواء النفوذ المسيطر من خلال قوى فرنسا وانجلترا ، وكانت الخطوات تجرى نحو تحويل المجتمع الإسلامى إلى مجتمع علمانى عن طريق المدرسة والقانون والمصرف وتوالت خطوات التغريب حين قدم على عبد الرازق كتاب : (الإسلام وأصول الحكم) الذى أعلن فيه أن الإسلام دين روحانى لا علاقة له بشئون الحكم والسياسة ، ولكن اليقظة الإسلامية التى كانت قد نشأت بعد سقوط الخلافة قد صححت هذا المفهوم فى نفوس المسلمين .

وكان حزب الوفد (الأم لكل الأحزاب السياسية فى مصر) فى فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى إلى حركة الجيش (١٩٢٠ م ـــ ١٩٥٢م) داعياً إلى العلمانية ، فقد كان سعد زغلول هو الزعيم العربى الذى تلا حركة تركيا العلمانية التى قادها مصطفى كمال أتاتورك .

وكان حزب الوفد مقدمة للاتجاه العلمانى الذى شمل الوطن العربى كله ، وقد امتد هذ الاتجاه العلمانى فى الأحزاب السياسية التى تفرعت منه (الأحرار ـ السعديين ـ الكتلة إلخ) .

أما قبل سعد زغلول والوفد١٩١٨ م ، فقد كانت الأحزاب لها طابع إسلامى عربى على النحو الذى عرف عن الحزب الوطنى (مصطفى كامل) ، وحزب الإصلاح (على يوسف) حيث كان المفهوم السياسى إسلامياً مرتبطاً بالدولة العثمانية والسياسة الإسلامية العامة ، حتى جاء لطفى السيد ودعا إلى القومية المصرية المعزولة تماماً عن منهج الإسلام ، وعن الأمة الإسلامية والوطن ، العربى وله فى ذلك كتاباته الواضحة الدالة على التنكر للإسلام ، وللعروبة من خلال دعوة علمانية إلى دعوة قومية مصرية خالصة ، حتى أنه رفض أن يتقدم المصريون بالمعونة إلى

جيرانهم فى طرابلس الغرب عندما تبرعوا بمبلغ من المال إبان الاحتلال الإيطالى لبلادهم .

وقد عاش حزب الوفد معارضاً للتيار الإسلامى منذ ظهوره مختلفاً معه ، وكان لزعيمه مصطفى النحاس مواقف واضحة فى تأييد النظام الذى أخذت به تركيا بعد أن خلعت ثوب الخلافة الإسلامية وقد تلاشى حزب الوفد بعد حركة الجيش واختفى تماماً حتى عاد بعد ذلك فى عهد حكم أنور السادات ١٩٧٤ م .

ومنذ بدأت قضية تطبيق الشريعة الإسلامية وهو يقف ضد المفهوم الصحيح ويرى أن الإسلام دين لاهوتى فحسب .

وقد وضحت وجهة حزب الوفد القديمة وظهرت بيعته لفكرة العلمانية ، وإن كان المفهوم الذى قدمه لم يعلن التنكر الكامل للشريعة الإسلامية وإنما أعلن خلافه مع الحكومة الشيوقراطية والدولة الدينية ، وهو ما يقول به التيار الإسلامى .

وقد جاءت حركة الجيش قاضية على جميع التيارات السياسية القائمة إذ ذاك، وفى مقدمتها الأحزاب السياسية ، وحركة الإخوان المسلمين جميعاً ، ولم تقدم بديلاً لها إلا نظام حكم فردى استبدادى (لم يعترف بالديمقراطية الغربية) ، ولم يتمكن من تحقيق العدل الاجتماعى (الاشتراكية) .

* * *

جاءت حركة الجيش (١٩٥٢) وعملت على :

١ ـــ تدمير القوة الإسلامية الحقيقية .

٢ ـــ استعلاء العناصر .

٣ ـــ التمكين للصهيونية العالمية وإسرائيل .

٤ ـــ فتح الباب واسعاً أمام الشيوعية .

٥ ـــ ظهور الفرق الهدامة .

(الناصرية ـــ الشيوعية ـــ البعث ـــ النصيرية ـــ المارونية) .

٦ ـــ تغلب العلمانية والفرنكفونية .

٧ ـــ تمكينهم من حرب الإسلام وفتح أبواب الصحف والمجلات والنـــدوات لهم .

٨ ـــ محاصرة الإسلام ليظل ديناً عبادياً لاهوتياً .

وكانت نقطة التحول الخطير التى وصل إليها المجتمع المسلم هى حركة الجيش ١٩٥٢م على النحو الذى قامت به وامتدت فى ثلاث مراحل :

١ ـــ عصر الاستعلاء والسيطرة (حكم الفرد والاستبداد) .

٢ ـــ عصر التحول والانفتاح والتسليم للصهيونية العـــالمية ومعاهدة كامب ديفيـد .

٣ ـــ عصر استعلاء النحل المعادية للإسلام .

وقد كشفت المذكرات التى نشرت فى هذه الفترة أن حركة يوليو احتضنت ثلاث قـــوى لتثبيت عملية الانقلاب والقضاء على القوى الثلاث : الإخوان المسلمين ، الشيوعية ، ومخالفيهم من الضباط الأحرار ، فقد عملت حركة الجيش بقيادة عبد الناصر إلى تصفية هذه القوى الثلاث وصولاً إلى حكم الفرد بعد أن تبين أنه كان يتعامل مع هذه القوى ، فى سبيل هدف معين كان فى أعماقه وإنه استطاع خداعها جميعاً حتى ظنت هذه القوى أنه معها على طول الخط .

ولم ير الإخوان أو الشيوعيون مرحلة من مراحل الضغط والتعذيب أشد سوءاً من مرحلة حكم عبد الناصر ، بل إنه واصل متابعة زملائه من الضباط الأحرار فى معاقلهم ، وأخـــذ يبحث عنهم لاعتقالهم والفتك بهم وخاصة زملائه من الإخوان (عبد المنعم عبد الرؤوف وغيره) .. وهذه وجهة خالد محيى الدين .

يقول : لقد انساق عبد الناصر وراء زهو نجاح التجربة ، حتى جاءت هزيمة ١٩٦٧ م والتى لم تكن هزيمة عسكرية فى جوهرها ، وإنما هزيمة سياسية لنظام فشلت آلياته فى اكتشاف ما إذا كانت البلاد جاهزة للحرب أم لا .

وبعد الهزيمة جاءت الفرصة الثانية لتحقيق الديمقراطية وضاعت إذ إن الديمقراطية تتطلب من الحكم أن يقدم تنازلات للشعب ولم يكن النظام مستعداً لتقديم أى تنازلات رغم هزيمته .

واليوم وبعد ما يزيد على الواحد والعشرين عاماً على نصر رمضان ما زالت إسرائيل هى الخطر الأكيد ضد العرب والمسلمين .

وما زال الصراع مستمراً وما زالت إسرائيل متفوقة على العرب جميعاً ولم يتحقق التفوق العسكرى أو التوازن العسكرى .

يقول دكتور مصطفى عبد العال : ما زال الصراع مستمراً بعمقه قبل حرب رمضان ولكن شكله يختلف ، فهى إرهاصات هدنة لن تؤدى لحل نهائى للصراع بسبب بسيط وهو أننا تتفاوض على إعادة أرضنا المحتلة ، أو جزء منها ولكنا لا نقترب من العمق وهو التوازن العسكرى بمعنى أن توقع إسرائيل على اتفاق منع انتشار الأسلحة الذرية ، وأن يلغى قانون العودة لإسرائيل الذى يسمح لعشرين مليون يهودى بالعودة إلى أرض فلسطين ، إذا حدث هذا نضمن حل الصراع ومنع قرب وقوع حرب جديدة ، وترفض إسرائيل هذا لأنها ترفض الانتماء للمنطقة ، ولأنها ما زالت تتصرف كجزء غربى داخل الشرق الأوسط .

وما زال أحد مصادر الهدنة الكبرى نابعاً من المخطط الإسرائيلى للتوسع على حساب العرب ، وهذ المخطط يدعمه الغرب .

وقد اتفق الخبراء على أن إسرائيل لم تنه حربها ضد مصر رغم اتفاقية السلام فهى مستمرة فى شن هذه الحرب من خلال عدة طرق أخطرها :

تدمير الشباب بنشر الإيدز والمخدرات بين شبابه ، وتدمير الثروة الحيوانية بنقل الأوبئة والآفات إليها عن طريق المبيدات والبذور وغيرها .

* * *

ويردد البعض مقولة إن عبد الناصر جاء لينشئ نهضة مصرية عربية على نفس المخطط الذى قام به محمد على قبل مائة سنة .

ويقول أحدهم : إن مصر لم تعرف فى تاريخها الحديث إلا محمد على وجمال عبد الناصر ومن يرجع إلى صفحات التاريخ يستطيع أن يستكشف مكان هذين الاسمين من الحقيقة .

إلا إذا كان خدام النفوذ الغربى هم فى الواقع زعماء الأمة وأعلامها . لقد كان محمد على موالياً لفرنسا وخادماً لأهدافها ومكملاً لمخططها الذى بدأته حين جاءت الحملة الفرنسية ، وكانت خطواته كلها داخل إطار النفوذ الفرنسى فلما أن خرج على الخط الأحمر الذى رسموه له سرعانا ما ضربوه فى (نفارين) واتفقوا على حصاره فى مصر وتحطيم كل آماله .

وأزمة الديمقراطية التى ولدتها ثورة يوليو لم تزل قائمة فى بلادنا حتى الآن وإن حققت قدراً من الديمقراطية الاجتماعية كما حققت للشعب منجزات كثيرة ولكن افتقاد الحماية الشعبية لهذه المنجزات كان هو المطلوب .

ولم يدرك عبد الناصر أن هناك فارقاً بين رضاء الشعب عن الحكم وتأييده له وبين المشاركة الفاعلة فى اتخاذ القرار .

وفى أزمة مارس وقّع الجميع على إلغاء القرارات الديمقراطية ، والعودة إلى الدكتاتورية .

* * *

نقول : وبعد نكسة ١٩٦٧ م (واحتلال إسرائيل لشبه جزيرة سيناء والضفة الغربية والقطاع ...) جاءت حرب رمضان محاولة لاستعادة الثقة فى النفس وخيل للناظرين أنها مقدمة لنصر حقيقى بالوقوف فى وجه إسرائيل ، ولكن الذى حدث وأعلن كان أخطر ما يظن ظان ، فلقد قيل إنها كانت محاولة لتصفية الموقف من جانب واحد على النحو الذى حدث بتوقيع اتفاقية كامب ديفيد .

وهنا تعلن (كامب ديفيد) أخطر وقفة تقر قبول الواقع والتسليم ، وتنتقل من موقف القوة العسكرية إلى موقف الحوار السياسى بين إسرائيل التى تملك القنبلة الذرية والقـــوة الرادعة بما يمثـل ما يملكه العـــرب جميعاً ، وبين العـــرب الذين لا يملكون أى قوة قادرة على الردع أو ليكون سناداً لهم فى موقف التفاوض .

هذه هى موقعة الانهيار الحقيقى فى الموقف العربى ، ولكن الذى حدث بعد ذلك هو أخطر بكثير إذ إن الغرب استطاع أن يسيطر على منطقة الخليج جميعها بحجة الدفاع عنها فى وجه الخطر العراقى الذى يهدف إلى السيطرة على المنطقة كلها بعد غزو الكويت .. جاء هذا فى نفس الوقت الذى سقطت فيه الشيوعية ، وظهرت فكرة القوة الواحدة الحاكمة للعالم ممثلة فى الولايات المتحدة .

وتحرك زعماء غربيون كثيرون يحملون دعوى خطيرة بأن الإسلام أصبح هو الخطر الذى يخشاه الغرب بعد سقوط الشيوعية ، والذى يجب أن يحاربه بكل قوة ، واتسعت الدعاوى حول خطر التيار الإسلامى (الأعزل) القائم فى مختلف البلاد العربية والإسلامية ، والذى يحمل لواء الدعوة إلى استعادة المسلمين لهويتهم ومعالم

عقيدتهم وإقامة مجتمعهم الإسلامى الأصيل من خلال مفهوم الوسطية والسماحة والحكمة والموعظة الحسنة .

* * *

وكذلك كان الأمر بالنسبة لعبد الناصر الذى يمثل منطلق التحول الخطير الذى يعيشه الوطن العربى اليوم ، ومنذ بدأت حركة سيطرة قادة الجيش فى البلاد العربية ، والتحول إلى الماركسية فى عديد من مناطق الوطن العربى .

وكان التحول كله منذ سقطت الأنظمة الملكية ، هو إيجاد ظهير للنفوذ الصهيونى والمخطط الإسرائيلى الزاحف إلى السيطرة ليس على فلسطين وحدها أو بيت المقدس وإنما على المنطقة كلها ، دعك من تمحيكات خادعة عن الإصلاح الزراعى أو بناء السد العالى أو ما شئت من محاولات كانت ترمى إلى رد البصر إلى الداخل لترك إسرائيل فى فلسطين تنمو وتزدهر إلى اليوم الذى أعلنت فيه خطة السيطرة على المنطقة كلها .

* * *

ولقد كان من أخطر محاولات فرض نفوذ غريب على رأس جسر فى عالم الإسلام تحويل الإسلام عن مفهومه فى ترابط الدين والدولة ومفهومه فى الجهاد ، وما قامت به حركة الجيش فى سبيل خدمة هذ الهدف من إلغاء المحاكم الشرعية وإلغاء هيئة كبار العلماء وتطوير الأزهر وتصفية الوجود الإسلامى المتمثل فى الدعوة الإسلامية التى استطاعت أن تحارب فى فلسطين وترسم خطراً شديد الأثر على الوجود الصهيونى .

وما يتصل بهذا من محاولات تمزيق وحدة الوطن الإسلامى إلى كانتونات ومؤامرات تقسيم لبنان وإحياء الخلافات الطائفية والعنصرية بإحياء الفكر الباطنى . وفى محاولة إقامة كيانات دينية أو طائفية هذا فضلاً عن دور هيئات تحديد النسل ومصادرها الخارجية ومحاولة كتابة تاريخ المنطقة من وجهة نظر قومية أو عنصرية ومن الثوابت الخطيرة أن أصدرت حركة الجيش أربعة قوانين تعتبر من الركائز الأساسية فى تحويل المنطقة عن مفهوم الإسلام الأصيل هى :

١ ــ إلغاء المحاكم الشرعية .

٢ ــ إلغاء هيئة كبار العلماء .

٣ ــ جعل شيخ الأزهر بالتعيين .

٤ ــ تطوير الأزهر .

وجاءت روافد كثيرة من الخارج تتمثل فى كتب فرق معينة للخوارج والباطنية والفرق الضالة .

وجرت اتفاقات مع هيئات مختلفة ترمى إلى وضع خطة ضد تزايد المسلمين وتناقص غيرهم ، وكان ذلك لحساب الصهيونية والعناصر الأخرى .

* * *

شهادة للشريعة الإسلامية

الآن ـــ وعام ١٩٩٦ فى بدايته وقد مضى أكثر من ثلاثة وأربعين عاماً على النظام الذى جاء منهيا عصر الملكية ، وحكم أسرة محمد على الذى امتد (١٨٣٠م ـــ ١٩٥٢ م) على أيدى حركة الجيش من خلال تحول خطير من نظام رأسمالى إقطاعى يسيطر فيه الباشوات وزعماء الأحزاب التى تشكلت بعد الاحتلال البريطانى عام ١٨٨٢ م مشكلاً مرحلة جديدة انفصلت فيها مصر عن دولة الخلافة العثمانية التى سيطرت منذ عام ١٥١٧ م على مصر وامتدت إلى بلاد العرب والخليج .

وقد بدأ مع النفوذ الاستعمارى البريطانى ذلك التحول الخطير نحو القانون الوضعى والنظام الغربى والسيطرة الغربية (حضارة ولغة وقانوناً) وحجبت الشريعة الإسلامية وأحدث ذلك ارتباكاً شديداً فى المجتمعات ، حيث أباح القانون الوضعى أمرين خطيرين هما : الربا ، والزنا ، وكان للقانون الوضعى أثره الخطير فى تمزق الأسرة ، وانحلال المرأة ، وفساد المجتمع عامة .

وقد جاء التحول الخطير فى التعليم بهدف حجب التعليم الإسلامى ، وفرض التعليم العلمانى المفرغ من الدين والأخلاق والقيم فى محاولة فرض تصور كهنوتى غربى لاهوتى يجعل الإسلام شبيهاً بالنصرانية ، وقاصراً على المسجد ، ،منسحباً بالكامل عن المجتمع فى فرض وجوه التعامل الغربى الربوى والإباحى .

وقد مضى العمل فى تنفيذ هذه الخطة بأسلوب ماكر خبيث على نحو أفسح المجال للغزو الفكرى.والتغريب لبلوغ غاياته ، وانحسر نفوذ الإسلام من المجتمع انحساراً خطيراً ولأول مرة أوقف العمل بالشريعة الإسلامية منذ نزول الإسلام ، ومنذ أصبحت مصر والوطن العربى أمة إسلامية .

غير أن خطوات التصحيح الإسلامى التى وعد الله تبارك وتعالى بها حين أذن أن يبعث على رأس كل مائة عام من يجدد للمسلمين أمر دينهم ، ما لبث أن تحققت نبرات صيحة العودة إلى الشريعة والإسلام بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع وبدأت الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية .

ونشأت أجيال جديدة تؤمن بهذا الحق ، وتطالب به . وقد علت الصيحة تحدد أمرين أساسيين :

الأول : العودةإلى الشريعة كنظام اجتماعى للمسلمين إيماناًبأن الإسلام دين ودولة ونظام مجتمع ومنهج حياة .

الثانى : إحياء فريضتى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد .

* * *

ولكن سرعان ما أحس النفوذ الأجنبى أن هذا المنطلق قد استحصد ودخل فيه الناس أفواجاً ، وأصبح قريباً من تحقيق هدفه بالعودةإلى المنابع وتحرير الأمة الإسلامية من التغريب الذى حجب تطبيق الشريعة والجهاد فما لبث أن أوجد قوة سياسية طامحة كبديل عن القوة الربانية التى باعت نفسها فى سبيل الله ، فكان ذلك التغيير الخطير الذى تمثل فى الانقلابات العسكرية التى فرضت نفسها فى سوريا ومصر والعراق والجزائر وليبيا ، والتى قامت فكرتها على منهجين مجتمعين هما : القومية والاشتراكية .

وقد حقق انكسار التيار الإسلامى بعد عشرين عاماً من بزوغ ضوئه غاية كبرى للاستعمار الغربى إذ مكن له من جديد وغاية أخرى هى إقامة رأس جسر الصهيونية العالمية فى قلب الوطن العربى .

ومنذ عام ١٩٥٢ بدأ عصر الحكم الفردى الشمولى المتمثل فى سلطة عسكرية تتخذ من الإسلام ودعوته عدواً أساسياً على نحو من الأنحاء .

وقد حوصرت الدعوة الإسلامية خلال فترة سبعة عشر عاماً فرضت فيها مفاهيم القومية العربية والاشتراكية التى عجزت عن أن تحقق أى تقدم حقيقى واستطاعت الدعوة فى مرحلة الكمون أن تربى أجيالاً ، ومن فرض عليهم الهجرة كانوا دعاةصدق فى مجتمعات جديدة لم تكن الدعوة الإسلامية قد دخلتها .

ثم جاءت بعد ذلك مرحلة انفراج قليل ، صاحبها تحول خطير نتيجة فرض مقررات كامب ديفيد والتمكين للنفوذ الإسرائيلى بالسيطرة على مواقع من سوريا ولبنان والأردن ، فضلاً عن أن الجلاء عن سيناء لم يحقق استعادة السيطرة المصرية الحقيقية .

كانت نكسة ١٩٦٧ م فى خلال حكم عبد الناصر علامة حقيقية على هدم كل ما رسمته مخططات التغريب والغزو الثقافى من تصورات وهمية عن أن المنهج الغربى والأسلوب الوافد قادر على إعطاء المسلمين منطلقاً إلى النهضة فقد كشفت

النكسة عن فساد هذا التصور وأكدت حقيقة أساسية هى ضرورة العودة إلى منهج الله تبارك وتعالى كمنطلق حقيقى للتقدم والنهضة .

وجاءت معاهدة كامب ديفيد لتحقق اختراقاً شديداً للنفوذ الصهيونى فى قلب الأمة الإسلامية والوطن العربى .

ولكن التيار الإسلامى ظل يعمل بالرغم من محاصرته وعدم التمكين له سواء فى مجال الخطابة أو الصحافة ، إلا على هوامش قليلة .

وكانت هزيمة الشيوعية وسقوطها من العوامل البعيدة الأثر فى دعم الأصالة والعودة إلى المنابع ، والتماس منهج الله تبارك وتعالى كمنطلق حقيقى لهذه الأمة .

غير أن الأمور لم تلبث أن شابتها سحب عوقت المنطلق ، وشابت الحركة الرشيدة فلم تصل إلى الغاية حيث ظهرت طائفة من المتشددين الذين لم يفهموا الإسلام فهماً صحيحاً ، والذين تعجلوا النتائج والتمسوا منطلقات غير أصيلة ، وكانت أخطر دعاواهم : عملية التغيير باليد ، وهى من سلطة الحكم واضطراب الأمور نتيجة ما أثير من مؤامرات للإيقاع بين عنصرى الأمة وتبين أن وراء هذا المخطط كله قوى أجنبية تعرف مدى خطورة الذى يمكن أن يتحقق، وهى لذلك تعمل على تعطيله وإيقافه وإفساده .

وكان التيار الإسلامى الأصيل هو الحقيقة القائمة بالحق ، التى آمنت بالوسطية والسماحة والإخاء مستمدة كل مفاهيمها من منهج الإسلام (القرآن والسنة) مقتدية فى ذلك بالتجارب والأحكام التى نفذها رسول الله ﷺ .

غير أن الأمور لم تلبث أن اختلطت حين أعطيت للماركسيين المهزومين الفرصة وهم يصدرون أحقادهم ، ويحاولون أن يحدثوا خلطاً شديداً بين التيار الوسط السليم النقى وبين تيارات التطرف بما تحمله من مفاهيم خاطئة منقولة عن جماعات قديمة كالباطنية والخوارج وغيرهما .

ولكن الأمر كله يرجع إلى مصدر أساسى : يتطلب إعطاء التيار الوسطى المعتدل حقه فى الكلمة والحركة ومن شأن ذلك أن يضعف بل يقضى على التيارت المتطرفة والمنحرفة ممن يسمون (بالمتطرفين) .

كذلك فإن الأمر يتطلب اتخاذ خطوات جديدة وواسعة لشغل فراغ هذا الرعيل

من الشباب الذى يعيش مأساة البطالة وتتخطفه الاتجاهات والتيارات ، وخاصة تلك التى تريد بمصر وبالإسلام شراً .

غير أن المخطط الذى يجرى من قبل خصوم الإسلام بعيد كل البعد عن شرف الخصومة أو أصول الخلاف .

إنه يقوم على الحقد ويتمثل فى المغالطة وينظر إلى الأمور بمنظار خلط الأوراق حيث يوجه الاتهام إلى الإسلام نفسه ، ويحاول تشويه مفاهيمه ، ويرمى إلى إثارة كراهية غير القادرين على البحث الصحيح . إن إعطاء هذه الفرصة للشيوعيين والعلمانيين للقيام بهذا العمل الخطير هو من الأمور التى تختلف عن الحوار الصحيح أو عما يسمونه الرأى والرأى الآخر .

إذن من العجيب أن يعطى الرأى المخالف للإسلام — بطبيعته والذى يصدر عن مذاهب حاقدة وكارهة للإسلام — لهذه الأقلام حرية الكتابة وعنف الكتابة ، بينما يحول دون الرأى الصحيح أو الحوار الشريف .

ويصل الأمر إلى أن تقوم المعركة ضد الإسلام نفسه ، وهو دين الدولة ومصدر التشريع والذى يدير أمور المجتمع كله بحكم الدستور .

* * *

لقد كان معروفاً أنه عندما أجمعت الأمة فى صورة كبار مفكريها وعلمائها على تقنين الشريعة الإسلامية ، وأصبحت بمثابة قوانين لم يكن ينقصها إلا أن تقرها المجالس النيابية ، طلبت الولايات المتحدة رسميا من الحكومات عدم إنفاذ هذه القوانين وربطت المعونة المالية التى تدفعها بوقف هذه القوانين .

ولا تزال هذه القوانين محبوسة فى الأدراج لا تجد طريقاً إلى النور إلى أن يشاء الله .

ومعنى هذا أن الغرب الذى يفرض نفوذه اليوم على الأمة الإسلامية يجعل من تجميد النظام الإسلامى شرطاً للتعامل ، ويحول بين المسلمين وبين منهج حياتهم وقانون مجتمعهم الأصيل ، ويلزمهم بالخضوع للقانون الوضعى وينشىء الأجيال على التبعية .

ثلاث قضايا كبرى وتحديات خطيرة

تواجه الأمة الإسلامية فى هذا العصر

ثلاث قضايا كبرى هى بمثابة التحديات التى تواجه الأمة الإسلامية فى هذا القرن الخامس عشر للهجرة يجب أن تكون على رأس اهتمامات المسلمين جميعاً ، وأن توجه إليها جهودهم الفكرية والاقتصادية والاجتماعية إيماناً بحق الإسلام على المسلمين فى التبليغ والدفاع ، وخاصة فى وسط هذه التحديات الخطيرة والمؤامرت المتجددة التى تواجه الأمة الإسلامية اليوم .

أولاً : عودة الوحدة الإسلامية الجامعة التى انفرط عقدها خلال القرن الرابع عشر بمؤامرات الاستعمار والنفوذ الأجنبى وخاصة ما قامت به بريطانيا التى كانت أكبر أعداء الإسلام والمحرضين على كثير من الهزائم التى حلت به وذلك فى كل المناطق التى فرضت نفوذها عليها .. وقد تحالفت مع دول أوروبا على ضرب الخلافة الإسلامية والدولة العثمانية ، وتحقيق هدف إسرائيل بإقامة وطن قومى فى أرض فلسطين المقدسة التى كانت تحت نفوذها العسكرى بعد الحرب العالمية الأولى .

لقد كانت الخلافة الإسلامية رباطاً جامعاً بين عناصر الإسلام ، وخاصة العرب ، والترك ، ولكنها دخلت فى مرحلة الضعف .. مما كان يمكن إعادة النظر فيه غير أن الغرب الحاقد على الإسلام كان يعمل من أجل تدمير هذه (العروة الوثقى) .

وكان هدف اليهود من وراء إقامة هيكل سليمان فى أرض فلسطين هو السيطرة على بيت المقدس على النحو الذى حدث فى نكسة ١٩٦٧ م ، وكان بمثابة إيقاظ المسلمين لصحوة عارمة ترمى إلى استعادة امتلاك الإرادة ، ولا تزال الوحدة الإسلامية الجامعة أملاً من كبار آمال المسلمين ووجهة خالصة مستكنة فى أعماق القلب المسلم ، لأنها تمثل المنطلق الحقيقى لقيام المجتمع الإسلامى ونهضة الأمة الإسلامية من عثرتها التى بدأت بالفرقة والتمزق وتركيز النفوذ الأجنبى على اختراق وحدة الأمة

بإحياء العصبيات والقبليات والدعوة إلى المفاهيم الوثنية التى كانت سائدة قبل الإسلام ، فأحيا (الفينيقية والأشورية ، والبابلية ، والفرعونية ، والطورانية) ، وركز مستشرقوه ومبشروه فى الدعوة إلى إحياء هذه المراحل الوثنية على النحو الذى مزق وحدة الدولة العثمانية حين استعلت الدعوة إلى الطورانية ، وعملت جماعة الاتحاد والترقى على تتريك العرب وكان للمحافل الماسونية دورها الخطير فى إقامة كيان علمانى يجدد مفاهيم (طوران والذئب الأغبر) ويعتنق مفاهيم الثورة الفرنسية والعلمانية فى مواجهة الدولة العثمانية والخلافة لإسقاطها .

وفى كل بلد ظهرت الدعوة إلى إحياء تاريخه القديم : الفرعونية فى مصر والفينيقية فى لبنان والأشورية فى العراق فى مخطط جارف يرمى إلى القفز على العهد الإسلامى بمفاهيمه وقيمه ، وكان الإسلام قد جاء أساساً لتحطيم الدعوة إلى العنصرية والعصبية القبلية وإقامة وحدة قوامها الاعتصام بحبل الله جميعاً ، وقد جعل وحدة العقيدة أساساً للنصرة وذلك لتحل محل العصبية الجاهلية التى كانت أساس النظام الجاهلى فى نقلةجديدة من عصبية النسب والقبلية إلى عصبية العقيدة .

وكانت هذه هى الردة الخطيرة التى تمثل أخطر ما يواجه المسلمين فى القرن الخامس عشر الهجرى حيث حققت هذه الردة مخاطر كثيرة لا يمكن تجاوزها إلا بالعودة إلى منهج الإسلام .

ولقد كان لتمزيق الوحدة الإسلامية أثرها فى تمكين النفوذ الأجنبى من السيطرة على مقدرات الأمة الإسلامية وتحويلها من منهج الإسلام الاجتماعى والاقتصادى إلى مناهج وافدة قائمة على الربا والإباحية فضلاً عن تمكين الصهيونية من إقامة « رأس جسر » فى قلب الأمة الإسلامية ما زال منذ أكثر من أربعين عاماً وحتى اليوم يمثل التحدى الخطير .

ثانياً : استئناف فريضة الأمر بالمعروف وفريضة الجهاد :

القضية الثانية تتعلق بتراجع المسلمين عن فريضة الأمر بالمعروف وفريضة الجهاد التى أقامها الإسلام حصناً حصيناً دون تمكين العدو من اقتحام ثغور الإسلام ، فقد دعانا الإسلام إلى الإعداد ﴿ **وأعدوا** ﴾ لحماية البيضة والقدرة على الردع وهو ما قصر المسلمون خلال القرون الأخيرة فى العمل له وذلك منذ أن تراجعت الدولة العثمانية عن أسوار فيينا للمرة الثانية .

واستطاع النفوذ الاستعمارى التفوق فى مجال الصناعة وعبور البحر وامتلاك القدرة على اقتحام المحيطات بالمراكب التجارية .

لقد نجح المسلمون فى الجولة الأولى مع الحروب الصليبية وصمدوا وقاوموا خلال أكثر من قرنين من الزمان حتى صفى هذا الكيان الزائف ، وتمكن المسلمون من استعادة قوتهم ووحدتهم من خلال الدولة العثمانية النامية .

ولكن العثمانيين لم يلبث أن أصابهم الضعف فاستطاع الغرب هزيمتهم كما استعاد الأندلس وبدأت حملة تطويق العالم الإسلامى على النحو الذى أقام الوضع الاستعمارى الذى يسيطر على بلاد المسلمين من جزر الملايو والهند إلى الدار البيضاء حتى اليوم فى قالب من النفوذ المسيطر على كل مقدرات الأمة الإسلامية .

وكانت سيطرة الصهيونية على فلسطين وبيت المقدس فى معركتى ١٩٤٨ ، ١٩٦٧ م تكشف مخططات إعادة بناء هيكل سليمان وإقامة دولة من النيل إلى الفرات كل ذلك من شأنه أن يدفع العرب والمسلمين إلى العودة مرة أخرى إلى إقامة فريضة الجهاد وحشد الثغور وامتلاك القوة الذرية القادرة على الردع والقضاء على نظرية التفوق الصهيونى فى امتلاكه من السلاح ما يوازى ما يملكه العرب فهذا وحده هو القادر اليوم على حماية الوجود الإسلامى والعربى .

ولن يعجز العرب أبداً عن تحقيق امتلاك القوة التى تمكنهم من الردع ، ومن القضاء على التفوق الصهيونى ، فقد أقام الله تبارك وتعالى عليهم الحجة بهذا العطاء السخى حين فتح لهم أبواب كنوز النفط ومختلف الثروات والمعادن مما يمكنهم من تحقيق هذا الهدف .

لقد أُعطى المسلمون والعرب تكاملاً اقتصادياً واجتماعياً فى موقفهم الخطير بين القارات وثرواتهم المنوعة مما يمثل نهضة حقيقية تقوم على الاكتفاء الذاتى ، ولا تحتاج إلى أى مادة من خارج وجودها .

فقد استطاع الإسلام أن يجمع هذه الأجناس المختلفة ويصهرها فى بوتقة واحدة هى الدين الحق ويشكلها على مفهوم أصيل جامع يجعل حماية الثغور من بين العقائد الأساسية ، ولقد كان أخطر ما واجه المسلمين أن أخذوا مفاهيم الغرب فى الحرب والسلام والاجتماع والاقتصاد .

وكان ذلك أول مايضاد فريضة الجهاد .

ذلك أن مفاهيم الغرب فى الحرب والسلام تضع تفوق المسلمين فى موضع الاستحالة العقلية لعدم تملكهم القدر الكبير من الأسلحة والعتاد متجاهلين فى ذلك القاعدة الإسلامية الحقة ، وهى أن هناك مادة أخرى تضاف إلى السلاح هى الإيمان وبيع النفس لله ، وفى كل معارك المسلمين الكبرى انتصروا بالعدد الأقل لأنهم كانوا يحملون أرواحهم على أكفهم وقد خرجوا ليستشهدوا فى سبيل الله لا يرجون إلا مرضاته .

ولن يستطيع المسلمون مقاومة التحديات التى تواجههم اليوم إلا بالعودة إلى هذا المفهوم ، ولم يتحقق هذا إلا عندما يتخفف المسلمون من اللذات والشهوات والمطامع وحب الدنيا وكراهية الموت ، وعلى المسلمين أن يعلموا أن انهيار الحضارات العالمية الكبرى السابقة (اليونان والرومان والفرس والفراعنة) كان مصدرها الانحلال والفساد الخلقى والترف ، ولقد قدم القرآن الكريم فى عشرات من المواضع صورة المصير المؤسف للأمم عندما يغلبها التحلل والترف وكيف يضربها الفساد فتنهار .

إنهم يريدون أن نغرق فى الترف والتحلل ليحكموا قبضتهم وينهار الوجود الإسلامى وتستطيع القوى المتآمرة المتجمعة كلها على السيطرة على وجودنا ومقدراتنا .

فلنحرر وجودنا من المطامع والأهواء ، ونتجمع أمة واحدة على حماية الكيان الإسلامى ، إنهم يخافون من الإسلام لأنه سيحول دون سيطرتهم ، أما نحن بالإسلام فأهل العدل والوفاء لكل العناصر التى ترتبط بنا ، فقد علمنا رسولنا هذ الخلق الذى أصبح فريضة مفروضة لا نستطيع تجاوزها وقد طبقناه ألف سنة كاملة .

ثالثاً : تطبيق الشريعة الإسلامية فى المجتمعات الإسلامية :

هذا هو المطمح الأكبر لتحقيق قيام المجتمع الإسلامى على مبادئ الإسلام منطلقاً من قاعدة أساسية هى (الحلال والحرام) وبناء الأجيال الصاعدة على الإيمان بالله تبارك وتعالى وحماية وجودها من المغريات والعبث والتحلل خاصة فى علاقات الفرد بالمجتمع والرجل بالمرأة وإقامة العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على أساس قواعد القرآن الكريم والسنة المطهرة .

ولقد عاش المسلمون أربعة عشر قرناً كاملة فى أحضان الإسلام حتى كانت أزمة العصر الحديث التى أخرجتهم من قيمهم ومقوماتهم ومقدراتهم ودفعتهم إلى التماس القانون الوضعى ونظريات الغرب وفلسفاته المادية القائمة على الانشطارية وتجزئة القيم .

ولقد كان لهذا أثره الخطير فى الآفات التى أصابت مجتمعهم نتيجة التحلل والفساد ، وقبول أوضاع ومفاهيم تختلف تماماً عن مفاهيم الإسلام الأصيلة الحقة .

ولقد تنبّه المسلمون إلى ذلك وعادوا مرة أخرى إلى مفهوم الإسلام وسجلوا ذلك واضحاً فى دساتير مجتمعاتهم وعملوا على تقنين الشريعة الإسلامية على نحو عصرى حديث يتفق مع متغيرات العصور والأزمات فى نفس الوقت الذى يتمسكون فيه بقاعدتهم الأصيلة:قاعدة : (الثوابت والمتغيرات) .

وقد تكشفت لهم مخاطر الحضارة الغربية وانحلالها وتمزقها وعرفوا محاذير المخططات الغربية والشيوعية والصهيونية وفى مقدمتها (بروتوكولات صهيون) التى تركز على تدمير الشباب المسلم وتحطيمه ودفعه إلى طريق الغواية والفساد واستطاعت الفلسفات المادية أن تطرح فى أفق الإسلام خمس نظريات مسمومة لا تزال تحاصر الإسلام هى : (القومية ، والعلمانية ، والماركسية ، والليبرالية ، والصهيونية) .

ومن هنا فقد كان على المسلمين أن يعملوا جاهدين على الخروج من دائرة التغريب المظلمة وإخراج الشباب المسلم من فكى الكماشة حيث تسلط عليهم مؤامرات التحلل والانهيار .

* * *

والخلاصة :

لقد كان المخطط السياسى لتمزيق الأمة الإسلامية كما رسمته منظمات الاستشراق والتبشير والغزو الثقافى يهدف أساساً إلى (التغريب) أى إخراج المسلمين من دائرة الإسلام أساساً .

وكان تركيزهم على إلغاء الخلافة وتمزيق الدولة العثمانية وإقامة نظام العلمانية وإعلاء الإقليميات فى أجزائها المختلفة على النحو الذى قام به مصطفى كمال

أتاتورك بعد الاتحاديين ، ودفع الفرق المختلفة لحمل لواء القومية والاشتراكية فى صراع مع منهج الإسلام الأصيل وإقامة رأس جسر غريب فى قلب الأمة الإسلامية للسيطرة على فلسطين والقدس على الامتداد بين النيل والفرات .

وكان الإصرار على العلمانية (وهى وليد غريب يختلف عن منهجنا اختلافاً كلياً) يرمى أساساً إلى تمزيق وحدة الإسلام الفكرية الجامعة التى يمثلها تكامل المنظومة الإسلامية بين الواقع وعالم الغيب ، وبين الروح والمادة وبين العقل والوجدان .

وقد تميز الإسلام عن الفكر الغربى المادى بإيمانه بالألوهية والنبوة والغيب والوحى والبعث والجزاء الأخروى ، ولاريب فى أن هذا التكامل الجامع من شأنه أن يحقق الهدف الصحيح : هدف العطاء الربانى الذى يتمثل فى : (القرآن الكريم والسنة المطهرة) قاعدة الإسلام الكبرى وضوئها الكاشف .

وسيظل القرآن الكريم هو منارة الإسلام التى تشع على العالم وتتساقط الشهب من حولها وقد سقط أكبر هذه الشهب بسقوط الماركسية التى دأبت منذ سبعين عاماً على طمس معالم التوحيد الخالص وتشكيك الناس فى العقيدة الخالصة ، داعية الناس إلى الإلحاد والظلام ولم ينفعها ضـــلالها ولا فسادها فانهارت بين معالم الأفراح .

وكان سقوطها بمثابة سقوط نصف الفكر المادى القائم على الوثنية والإباحية والباطنية والشعوبية والإلحاد وتدمير مقومات القلب الإنسانى والعقل الإنسانى فى محاولة ضخمة جارفة لضرب مقومات الدين الحق وإثارة روح التمرد على الفطرة والتنكر لحقائق الوجود وسوف يواجه الفكر الغربى القائم على الفلسفة المادية نفس المصير ، وهذه علامة فارقة تكشف عن عصرجديد هو عصر القرآن .

فقد استطاع الإسلام أن يعمل منذ أربعة عشر قرناً على تحرير الفكر البشرى من قيوده ، ولا يزال منذ قيام الإسلام (المنهج التجريبى) الذى قامت عليه حضارة العصر وهو دائم العطاء فقد نقل العالم من (تأملات) اليونان إلى **تجريب المسلمين** الذى هو عطاء الإسلام الأصيل .

لقد دعا الإسلام إلى معرفة القوانين العامة التى تسير هذا الكون واستقراء

الأجزاء فى عالم الطبيعة ، وكشف عن سنن الله تبارك وتعالى فى قيام الحضارات والأمم وسقوطها .

كما حرر الإسلام البشرية من المادية والتجسيد والتجسيم ليحرر البشرية من عبوديتها لغير الله تبارك وتعالى كما أكد الوجود الجامع بين الروح والمادة وبذلك ارتقى الإسلام بالبشرية إلى سمو الإنسانية حين دعاها إلى التحرر من التعدد ودفعها إلى التوحيد الخالد بعد أن سادت الوثنية عصوراً .

* * *

روى الإمام أحمد فى مسنده عن تميم الدارى قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« ليبلغن هذ الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت قدر ولا وبز إلا أدخل هذا الدين ، يعز عزيزًا ويذل ذليلاً ، عزاً يعز به الإسلام وذلاً يذل به الكفر أما الذين يعزهم الله فيجعلهم من أهلها وأما الذين يذلهم الله فيدينون لها » .

* * *

عصر جديد

الإسلام في مرحلة جديدة فى مواجهة الغـرب والشيوعية للسيطرة علي العالم الإسلامى

الباب الأول
الغرب والسيطرة على العالم الإسلامى

الباب الثانى
انكشاف المؤامـــرة

الباب الثالث
الإسلام بعد سقوط الأيديولوجيات

الباب الأول

الغرب والسيطرة على عالم الإسلام

هذا (عصر جديد) صنعته القوى الاستعمارية والصهيونية العالمية التى شكلت نظام العالم الحديث على أساس الصراع بين الرأسمالية والماركسية على نحو يقسم البشرية حول محورين حتى تنتهى القوة العالمية إلى سيطرة الصهيونية العالمية على البشرية على النحو الذى رسمته الماسونية وحددته بروتوكولات صهيون ، والذى تراه اليوم من خلال دعوته من النيل إلى الفرات وإعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى على النحو الذى تراه اليوم فى حضانة القوة الوحيدة بعد سقوط الماركسية وهى الرأسمالية العالمية التى صنعها اليهود أساساً قبل أن يقيموا مقابلها الماركسية منذ نحو سبعين عاماً ، والتى سقطت اليوم علامة على سقوط النظام العالمى كله .

لقد سقطت الماركسية فى بلادها كنذير لسقوط الحضارة الغربية وانهيارها فى العالم كله بعد أن كشفت الحقائق عن فساد النظام الرأسمالى الليبرالى وعجزه عن العطاء وما بدا من واقع بالغ غاية فى الظلم والقسوة تحت اسم (الحضارة الغربية والمدنية العالمية) .

إن هذا الذى نعيشه عصرا جديدا يواجه الإسلام فيه الغرب والشيوعية معاً فى محاولة للسيطرة على العالم الإسلامى .. فإذا قيل : إن المسلمين اليوم فى مرحلة ضعف فقد دخل المسلمون كل معاركهم وهم ضعفاء لا يملكون القوة الحاسمة ولكنهم ينصرون من خلال إيمانهم بالصمود فى وجه الأحداث فهذه مرحلة جديدة من المواجهة والجهاد الإسلامى فى سبيل مقاومة الاستسلام للاختراق الذى تحاوله هذه القوى مجتمعة منذ أكثر من قرنين من الزمان للعمل من أجل السيطرة من خلال ميدانين : هما ميدان السياسة والحضارة (وهو الجانب الذى نستعرضه فى هذا القسم من البحث) وفى ميدان الفكر والثقافة .

وعلامة هذا العصركله هو « الصمود والمقاومة » وعدم التسليم للغرب بالاحتواء

بالرغم من علامات التخلف والعنف والتمزق خلال هذه الفترة .

وقد بدأ اليوم الأول للمواجهة بين الأمة الإسلامية وبين الغرب (سياسياً وحضارياً) وقد أكد أمرين ثابتين :

أولا : إن هذه الحضارة تعارض الفطرة والعلم وتسبح ضد التيار .

ولكن إلى متى ، لقد تكشفت كل االحقائق والأحقاد وبلغت أوروبا غاية الحقد لإخوة وجيران لسبب واحد هو أنهم مسلمون يحرمون من الغذاء والدواء ، وتغتصب نساؤهم ، وتمزق ديارهم ، وتصادر أراضيهم .. والغرب الظالم لايريد أن يدفع عنهم، ولا يريد لهم أن يحصلوا على السلاح ليدافعوا عن أنفسهم .

والحقيقة أن هذا الظلم لم تتعرض له طائفة ما فى أى مكان على هذا النحو العجيب .

إن هذا الوجه الذى يكشف عنه الغرب يؤكد ما كنا نعلم عنه منذ وقت طويل وما كان يوصف من الآخرين بأنه تعصب فإذا به اليوم واضح وضوح الشمس .

فالغرب لا يعرف حقوق الإنسان ولا حرية العقيدة ولا التسامح الدينى وإنما هى شعارات براقة كاذبة ، وقد أثبت فى أكثر من موقع وحدث حقده وتعصبه الشديد ضد الإسلام والمسلمين .

لقد آن الأوان لأن يفهم المسلمون حقيقة الغرب الذى أنكر فضل الإسلام على نهضته ، وتجاهل الدور الذى قام به المسلمون فى بناء المنهج التجريبى وظل سنوات طوالاً يعمل على حجب هذا العطاء وذلك عندما طاف قناصله بالمساجد الإسلامية يجمعون هذا التراث فى مرحلة الضعف وينقلونه إلى بلادهم ومكتباتهم فيأخذون منها معطيات العلوم ، ويحاربون المسلمين بتراث الزنادقة والباطنية ليفسدوا عليهم مفهومهم الأصيل .

وكان دور الاستشراق والتبشير واضحاً فى محاولة ضرب الإسلام وتحجيمه وتحريفه ومنعه من العطاء ، ومحاولة إخراجه عن مفهومه الأصيل الجامع : دين ودنيا ، دين ونظام حكم .

ولم يكتف بذلك بل بلغ مع المسلمين إلى أبعد مدى .

إن رجلاً مسلماً عاش فى الغرب ودرس مخططاتهم هو الدكتور طه العلوانى يصور لنا هذا الموقف فيقول فى صراحة كاملة :

إن الحضارة الغربية تقوم على نفى الآخر ولا ترضى بوجود بديل ، إن محاولة تفسير خوف الغرب من الإسلام هو الخوف غير المبرر ؛ هناك شيء خفى فى الحضارة الغربية المهيمنة لا يدركه كثير من الناس ، وهو أن هذه الحضارة : هى حضارة غريبة صراعية ، تعتبر الصراع محوراً من أهم محاورها ، ووسيلة من أهم أدواتها من ناحية ، وهى تقوم على مجموعة من الثنائيات المتقابلة التى لا تستطيع أن تعيش بدون نفى الآخر ، وبالتالى فهى حينما يأتى طرف مثل الطرف الإسلامى ، وهى تعرف أنه طرف يحمل كتاباً وفكراً وثقافة وتوجهاً يمنعه من الذوبان فى الآخر فهو شخصية تستعصى على الإذابة فحتى حين يكون هذا الإنسان مرناً يتقبل منظورها وبعض قيمها من خلال وسائلها لا تستطيع أن تستريح إليه ، تشعر بخوف وقلق داخلى من هذا المسلم ، لأنه (آخر) فى نظرها يصعب أن تحتويه أو أن تذيبه لأن له مقوماته الخاصة ، ولذلك يظل البعد الموجود فى المسلمين عن الإسلام لا يكفى لطمأنتها ، وكل الضعف الذى عليه المسلمون لايكفى لطمأنتها ، فهى تنظر إلى المسلمين على أنهم أصحاب (بديل حضارى) الإسلام لا يحمل مسئولية الصراع مع الغرب حتى قبل الإسلام كان هناك عرب ، وكان هناك الشرق والغرب على الدوام وكان الغرب يتجه لهذا الشرق يحاول الوصول إلى كنوزه ، واستلاب ما فيه قبل الإسلام بكثيرحينما كان هناك فرس وروم وبيزنطيون وسواهم . كانت هذه المنطقة مطمحاً لأنظار هؤلاء ومطامعهم .

إنه من الصعب جداً أن يتصور أو يتخيل أن مجرد إعلاننا الإيجاب بالقيم الغربية ، أو أننا مستعدون لهضم هذه القيم وتفهمها أو أن تسلك فى إطار النظام الدولى ولا نشذ عنه ستطمئن مخاوف الغرب ، فالغرب عسير عليه جداً أن يطمئن ويستريح لأنه أمام (بديل حضارى) يمكن فى أى لحظة أن ينهض لأنه يملك مقومات من الأرض والإنسان والحضارة والقيم والتاريخ والجذور والامتداد الزمانى ، لذلك فالغربى يخشى ولا يستريح ومستعد أن يتنازل حتى عن قيمه فى سبيل أن يحول بين المنطقة الإسلامية وبين أن يكون للإسلام الكلمة العليا فيها .

لذلك فالغرب ألغى قيمه فى الديمقراطية ، ويمنح بركته لأى شيء بشرط ألا تكون هناك بداية طريق لأى نهضة حضارية حقيقية تجعله أمام خصم حضارى لا يقاوم .

هو يستطيع أن يقاوم اليابان لأن معركته مع اليابان معركة اقتصادية ويستطيع أن

يتهم التطلعات الألمانية فى الوحدة وغيرها ، ولكنه من العسير عليه أن يتفهم النهضة الإسلامية ، ومن العسير أن يتقبلها إن استطاع .

لكن ليس معنى هذا أن يستسلم المسلمون فلا أحد يتصور أن النهضات يؤخذ عليها إذن من الآخر ، فهذا ضرب من الخيال . النهضات لا تحدث ولا تشق الأمم طريقها إليها إلا بعد أن تصل إلى مرحلة من الوعى على التراث وإلى حالة عقلية ونفسية تمكنها من سلوك النهضة ، والمسلمون لابد أن يعملوا للوصول إلى هذه الحالة ، ويوم يصل المسلمون إلى مرحلة من الوعى بالتراث ومرحلة من الوعى بدورهم التاريخى ويستعدون له بالوصول إلى مرحلة عقلية ونفسية فإنه يمكنهم لعب هذا الدور .

ثانياً : إنها تتنكر للخالق تبارك وتعالى وتنكر الغيب وتتجاهل الروح والمعنويات ، وتصر على اعتناق الفلسفة المادية فى محاولة خطيرة للتنكر لكل قيم الدين والأخلاق .

وقد مضى أكثر من مائتى عام (منذ الحملة الفرنسية) ومائة عام (منذ الاحتلال البريطانى) منذ أعلن الفكر الإسلامى فساد هذا التوجه المادى الانشطارى فى إلحاح شديد وفى متابعة متصلة ومقاومة مستمرة ولم ينج من هذه العاصفة غير عدد قليل من أولئك الذين أنار الله تبارك وتعالى بصائرهم ، واكتشفوا ذلك النفق المظلم .

أما اليوم فإن هذه الحقائق تتكشف فى صورة عاصفة ، وفى انفجارات متوالية ، فقد سقطت الماركسية سقوطاً مفاجئاً معلناً عن فسادها وتعارضها مع الفطرة والعلم والدين الحق ، ثم جاء يوم سقوط الاشتراكية الفرنسية بعد ذلك دليلاً أكيداً على أن الغرب كله يسبح فى هذا التيار فى عناد شديد .

كذلك فقد مضت الحضارة الغربية تعلن ويعلن كتابها وأتباعها من العرب وغير العرب أن هذه الحضارة مدنية كاملة وأنها تعرف الرحمة والعدل والسماحة ، وهى كاذبة مضللة فى كل ذلك فقد غزت القارات المتأخرة ، ونهبت ثرواتها ، ودمرت وجودها تدميراً كلياً .

وكانت مؤامرة القضاء على الهنود الحمر وهم سكان أمريكا الأصليون علامة فارقة على الظلم والاستبداد والجريمة ، وهى فى نفس الوقت الذى تصفى فيه الأرض من أصحابها الأصليين ، تستقدم العبيد السود بالملايين من قلب أفريقيا على

نحو غاية فى القسوة والعنف والتعذيب حتى لقد وصل عدد من فقد منهم ومات فى الطريق أضعاف من وصلوا فعلاً .

وما تفتأ أوروبا تدعى الحضارة والمدنية فإذا بها تكشف عن حقد شديد إزاء مسلمى البوسنة والهرسك وتتضامن مع أمريكا والغرب كله فى القضاء على هؤلاء المسلمين العزل وذلك فى مؤامرة خطيرة ترمى إلى تصفية قارة أوروبا من المسلمين أساساً مجددة أحقاداً قديمة وخلافات مضى عليهاعدة قرون منذ دخل الإسلام أوروبا عن طريق البلقان عندما توسعت الدولة العثمانية : دولة الخلافة .

لقد كشفت الحضارة الغربية عن فسادها وظلمها وطغيانها الذى لم يتوقف يوماً واحداً منذ بدأت حملة الاستعمار على الأمـــة الإسلامية فى العصر الحديث ولا سيما على أفريقيا وجنوب شرق آسيا لنهب ثرواتها وإذلال أهلها .

وقد كانت أوروبا تخفى ذلك وراء ستار خادع تسميه تحضير الدول المتأخرة وتمدينها ، وهى تحرمها من ثرواتها وأقواتها وتسلمها إلى الفقر والتصحر .

حينما يصلون إلى هـذا سوف لا تستطيع أية قوة أن تحول بينهم وبين أن ينهضوا ، بل ستمد هذه القوى الأخرى يد التفاهم والحوار لأنها ستعرف أنها أمام حالة لا يمكن مقاومتها .

أما أن تستجدى الآخر أن يعطيك موافقة حتى تنهض خاصة وإن كان الآخر على المستوى الغربى فيما هو منه فذلك أمر لا يمكن تخيله .

هكذا يجب أن نفهم أبعاد القضية .

حضارة ممزقة تعانى من الأزمات الضاربة فى أعماقها ، ولكنها تعاند وتستطيل ولا تنظر إلى تجارب حضارات الأمم السابقة وخاصة حضارات اليونان والرومان والفرس ، ويعرفون كيف سقطت .

* * *

فى هذا العصر الجديد (بعد حرب الخليج) يصعد النفوذ الاستعمارى أدواته للسيطرة من خلال الصهيونية العالمية إلى جانب قواه العسكرية المباشرة فى قلب دول النفط الكبرى وهو أسلوب جديد من أساليب الغزو الاستعمارى الحديث ، وليس نهاية الاستعمار ، فالحكم الاستعمارى اليوم يتخفى وراء واجهة وطنية وتحت أسماء جديدة منها السوق الشرق أوسطية .

وتبرز فى هذا الوقت مخططات يقدمها سياسيون قدامى على النحو الذى قدمه نيكسون وكسينجر وغيرهما .

وكتاب (نصر بلا حرب) الذى نشره نيكسون جعل محوره هذا الصراع بين الأيديولوجيين وعلق مصير العالم على نتيجة هذا الصراع وهو يعتبر الانتصار على الأيديولوجية الشيوعية هزيمة للهمجية والبربرية ــ وكان هذا قبل سقوط الشيوعية ولكنه لم ينس أن يعتبر الإسلام هو العدو الحقيقى للغرب .

ويؤكد نيكسون أن العالم الثالث (يقصد العالم الإسلامى) سوف يظل محور الصراع بين القوتين.، ويركز على الأم التى لديها النفط والموارد الأخرى الحيوية لبقاء الغرب .

ولما كان العالم الثالث هو المركز الرئيسى للحروب والثورات على النطاق العالمى وأن أكبر خطر للحربين الدوليتين يتمثل فى إمكان تصاعد حرب صغيرة فى إحدى دول العالم الثالث يمكن أن يشعل حرباً عالمية .

ويقول نيكسون : إن إختفاء الاستعمار الأوروبى لم يترتب عليه اختفاء بروز الاستعمار إلى الأبد ، بل إن وضع الشعوب المتحررة أصبح أسوأ حالاً الآن بكثير عما كان على فى ظل الحكم الأوروبى حتى وقبل أن يأتى المستعمرون ، إن هناك ١٩ بلداً فى أوروبا مستقلة رسمياً ولكنها ترزح تحت سيطرة الاتحاد السوفيتى اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً .

ويقول دكتور محمد عصفور : إن القوة الاستعمارية المسيطرة على إفريقيا اليوم (ليست محصورة بين القوتين العظميين : الأمريكية والسوفيتية) ، وإنما هناك مناطق تتشبث بها انجلترا وفى مقدمتها جنوب أفريقيا وكذلك فرنسا وكافـة الدول الناطقة بالفرنسية ، والقدر المشترك بينها هو زرع حكام فاسدين كواجهة وطنية تختفى وراءها الشرور الاستعمارية من نهب وتخريب وإرهاب.

وتمضى هذه الشرور فى حماية القوانين الوطنية مع تبرؤ القوى الاستعمارية العظمى من مسئوليتها عن زرع هؤلاء الحكام العملاء.

يقول بولهان : إنه ليس جديداً فى تاريخ البشر أن ينصب طغاة وقساة وعجزة أمثال هؤلاء الذين يحكمون بيسر عدداً من الدول الأفريقية ، لقد وجد دائماً طغاة القرية الذين كانت تتملكهم نزعة تطلب الولاء المطلق لعجزهم المستمر .

وهو ما يذكرنا بالطريقة التى كان حملة البنادق والبارود من الغربيين يرسلون مشحونين بالسفن إلى إفريقيا أثناء تجارة العبيد .

ويقول دكتور عصفور : إن بعض حكام العالم الثالث عملاء للقوى العظمى .

لقد كان الاستعمار الأوروبى فى دورة وحشية لاتكتفى بنهب الثروات وإنما تسترق البشر وتتاجر فيهم بعد اصطيادهم فى الأدغال والأحراش وينقلهم إلى أوروبا وأمريكا لاسننزاف قواهم فى التعمير والإنتاج أو يهدمهم بالسخرة المرهقة فى مناجم أفريقيا .

(كيف سيطر الأوروبيون على أمريكا الجنوبية بعد السيطرة على الشمال ؟) .

* * *

ثروات المسلمين :

إن المراجعة العميقة للعلاقات بين عالم الإسلام والغربيين يجد أن هناك مخططاً بالغ الدقة وبالغ المراوغة فى نفس الوقت يستخدم فيه المسلمون اتباعاً لصاحب النفوذ الوافد المسيطر ، فإذا ثروات أمة تباع بأبخس الأثمان ثم تعاد مصنعة بأعلى الأسعار ، وقد كان من الضرورى أن تحتجز فوائض البترول وغيره فى مصارف الغرب ، فهو يحجب هذه الموارد لديه ويعمل فى نفس الوقت على إضعاف نسل المسلمين تحت مسميات مثيرة كمقولة : (الانفجار السكانى) وهو يمكن إسرائيل من الحصول على تفوق واضح فى التسلح بينما يمنع ذلك عن العرب المسلمين حتى يؤكد بأن الغرب يجعل إسرائيل دائماً فى مكان التفوق العسكرى على العرب جميعاً .

ولقد كانت الثروة العربية النفطية دائماً موضع تآمر الغرب وأن تفليس بنك الاعتماد والتجارة هو إحدى المؤامرات على ثروات العرب . وقالت النيوزويك تايمز : إن وكالة المخابرات تستخدم دائماً مصارف أمريكية وأجنبية لتحويل الأموال وفى عملياتها الأكثر سرية استخدمت شركات وهمية لتغطية أعمالها بينما أذيع فى الماضى عن تورطها بفضائح فى استراليا وجزر البهاما.

أماالثروة الهائلة التى حصل عليها العرب من النفط ــ حسبما يقول دكتور محمد عصفور ــ فقد بددت فيما لا يفيد أهدافاً رفيعة وإنما أنفقت بسفه فى الترف والمتعة الحسية .

وإذا كانت قد استثمرت فلصالح قبائل أو أسر أو أفراد ، هذه الثروة الطائلة التى هبطت على العرب وكانت موضع حسد وأحسن الغرب الظن بأصحابها وخشى أن تستغل للتحرر من هيمنته فكانت الثورات المتلاحقة من صنع الاستعمار لاستنزاف الثروة فى التسليح والحروب .

وكانت حرب الخليج خاتمة المطاف فى نهب الثروة الخليجية وتفليس العرب وهدم قاع العمل فى أن تكون الثروة العربية نقطة الوثوب إلى التحرر ، وقد اصطنع الاستعمار هذه العلة الخطيرة فى الشخصية العربية العائلية القبلية الثأرية فى اصطناع الحرب وخلق التيارات حتى أودت بالعرب جميعاً .

* * *

فإذا أردنا التعرف على ثروة العالم الإسلامى عرفنا أنه يمتلك ٨٥ فى المائة من احتياطى البترول فى العالم وتسد أندونيسيا وماليزيا احتياجات العالم كله من تصدير المطاط ويقدر احتياطى الحديد فى كل من موريتانيا والجزائر حوالى (١٠ مليارات طن) وتحتكر بنجلاديش وباكسان إنتاج الجوت وتعتبر مصر والسودان من أكبر الدول المصدرة للقطن كما يعتبر المغرب وتونس والأردن من أكبر الدول المصدرة للفوسفات .

ولهذه الأمة اليوم أربعة ملايين جندى مسلم وخمسة آلاف طائرة قاذفة مقاتلة من مختلف الأنواع وعشرون ألف قطعة بحرية وأكثر من خمسين ألف قطعة مدفع ثقيل .

وتتمتع القوات العسكرية العربية (الجزائر ، مصر ، العراق ، الأردن ، ليبيا ، المغرب ، السعودية ، سوريا) بقدرات عسكرية كبيرة فى حالة توحدها العسكرى .

ويبدو الكيان الصهيونى ضئيلاً تجاه الدول العربية الثمانى أما القوات البرية فى تلك الدول فتبلغ ضعف القوات الإسرائيلية وتملك القوات العربية المدرعة ما يزيد على ١٥ألف دبابة من مختلف الأنواع أغلبها من دبابات القتال الرئيسية وهى سوفيتية وأمريكية وبريطانية الصنع .

وتملك الدول العربية ٦ آلاف طائرة حربية مقاتلة ، ونقل وتدريب .

ولدى إسرائيل خمس هذا المقدار من الدبابات .

أما بالنسبة للثروات العربية البترولية المستغلة خارج البلاد العربية فيبلغ (ألف

مليار دولار) انتقلت من دول الجنوب الفقيرة إلى دول الشمال الغنية بينما يمكن سداد جملة ديون الدول العربية بما فيها مصر والسودان وسوريا والعراق وموريتانيا وجيبوتى بما يساوى ٢٠٪ من هذا المبلغ .

وتعد قضية الأموال المهربة من بلاد (الفقراء المسلمين) من أكبر القضايا التى تحتاج إلى اهتمام بالغ بينما يموت ١٥ مليون طفل كل عام من الجوع إلى بلاد تذخر بالخامات الغنية وفى مقدمتها اليورانيوم ، حيث توجد منه بحيرة على حدود تشـــاد .

* * *

وفى تقرير أخير ضاف عن هجرة رءوس الأموال العربية . أن هناك ٦٧٠ مليار دولار هو حجم الكتلة المالية العربية الموظفة خارج الوطن العربى .

ويقول الخبراء : إن ظاهرة تهريب الأموال تعود إلى تفشى الرشوة والفساد الإدارى وعمليات السمسرة غير المشروعة فضلاً عن خراب الذمم .

وهذه الأموال من المستحيل إعادتها إلى بلادها .

والمعروف أن هذا الرقم على ضخامته لا يشمل جميع الموجودات العربية ولكنه يشمل استثمارات العرب المقيمين فى الدول الأجنبية وأن الناتج السنوى المتولد عن هذه المبالغ من الاستثمارات يصل إلى ٢٥ مليار دولار .

بينما يزيد جيش العاطلين عن العمل فى الوطن العربى على خمسة ملايين عاطل ، ويبلغ حجم المديونية الخارجية ١٨٠ مليار دولار وترجع أسباب نزوح رءوس الأموال العربية إلى :

١ ــ عدم الاستقرار السياسى وما يتبعه من ثغرات فى القوانين الاقتصادية تدفع إلى هروب رءوس الأموال خشية المصادرة أو التأميم أو ارتفاع الضرائب .

٢ ــ عنصر المباغتة فى الثغرات السياسية .

والأسباب الاقتصادية لا تقل أهمية عن سابقتها ، فهناك التعليمات الاقتصادية التى تمر بها الاقتصاديات العربية والتعقيدات الأوروبية وارتفاع المعدلات الضريبية مما يدفع رءوس الأموال إلى الهجرة .

وكذلك استغلال الحكام الطغاة فى تحقيق أهداف النفوذ الأجنبى وتحطيم من يخالفون وجهة المسيطرين .

فضلاً عن قدرة النفوذ الأجنبى على امتصاص الثروات الضخمة التى تحصل عليها البلاد الإسلامية وتوجيهها إلى مواد الترف والكماليات حتى لا تكون قوة سياسية لصناعات ثقيلة أو أسلحة تعطى البلاد القدرة على الردع واستعادة الأرض .

هذا فضلاً عن قدرة النفوذ الأجنبى على الإيقاع بين الأقطار العربية والإسلامية من خلال قضايا الحدود وغيرها.

وكذلك قدرة النفوذ الأجنبى على احتواء الحركات الإصلاحية بعد توجهها (ثورة الجزائر ، فتح ، العاشر من رمضان) .

* * *

لقد حاول النفوذ الأجنبى منذ وقت بعيد تقدير الموقف ، واليوم يعيد تقدير الموقف على نحو يمكنه من استمرار سلطاته وتمكنه من السيطرة على مقدرات الأمة الإسلامية وذلك بعد أن تكشفت خطط مؤامراته ومراوغاته وخداع المسلمين بما يمكنهم من التهام الثروات ونهب الموارد .

لقد حاول النفوذ الغربى الذى عمل منذ أكثر من قرن ونصف قرن على السيطرة والاستيلاء على مقدرات الأمة الإسلامية من خلال برنامج ماكر خبيث وهو تكوين أجيال محتواة موالية للنفوذ الغربى ولكنه إزاء يقظة المسلمين والعرب ومواجهته لهذه القوى الغازية والمسيطرة حاول الغرب إظهار مرونة خادعة تخفى المطامع التى تتمثل فى أمرين :

الأول : إدامة السيطرة على البلاد الإسلامية وعدم تمكينها من استقلال الإرادة أو التحرر القادر على التصرف الحر .

الثانى: إدامة نهب الثروات التى تزخر بها البلاد الإسلامية والحفاظ عليها بكل الوسائل ومنها الوسائل العسكرية .

وإنهم حين يرون أن هدفهم قد اهتز فإنهم يكشفون عن مطامعهم ويحشدون قواهم ويفرضون سلطانهم .

وأقرب مثل لهذا هو محاولة السيطرة على ثروات المسلمين فى الخليج وعدم تمكين المسلمين والعرب من حرية التصرف فيه وأنهم لا يمتنعون عن حماية وجودهم فى أراضى المسلمين بتجريد المسلمين والعرب مما يملكون من ذخائر وأسلحة ومنعهم من أن يكونوا قادرين على الحركة .

وإذ أردنا أن نرد هذه المخاطر التى تتعرض لها الأمة الإسلامية إلى مصدر واحد لكان هذا المصدر هو عمل الغرب على تدمير وحدة الأمة الإسلامية وعدم تمكينها من الترابط وعزلها فى أنظمة إقليمية متعارضة فضلاً عن عملهم على إثارة الخلافات والأزمات بين هذه الأنظمة بحيث لا تقوم بينها ثقة أو تكامل .

ولقد حرص النفوذ الأجنبى عل أمرين :

الأول : هدم الوحدة الإسلامية وخلق أنظمة إقليمية متضاربة متصارعة .

الثانى : وضع أحجار عثرة تحول دون التقاء هذه الأجزاء وذلك بإعلاء نفوذ الإقليميات والاستطالة بالمشاعر العنصرية والمرتبطة بالعرق والدم .

وذلك فيما بين المسلمين أولاً : بين العرب والترك والفرس ، ثانياً: بين العرب أنفسهم كأقاليم مصرية وشامية ومغربية وغيرها والحيلولة دون قيام تربية إسلامية تجمع بين المسلمين من جديد ودوام وضع فكرة (الإقليمية) فى منـــاهج التعليم حتى لا تتشكل أجيال جديدة تعمل على التوحيد والتجمع تحت لواء الإسلام .

* * *

ويتساءل البعض : هل هى صيغة عصرية للحروب الصليبية وهل هى مواجهة فى منطقة البحر الأبيض المتوسط بين أوروبا المسيحية من جانب والصحوة الإسلامية فى عدد من البلدان العربية من الجانب الآخر وأن أوروبا المسيحية أصبحت تستخدم الدولة اليهودية درعاً لها فيما سوف يبدو صيغة عصرية للحروب الصليبية على مشارف القرن الحادى والعشرين .

بل إن كل هذه الأوضاع توحى بأن هناك مؤامرة صليبية صهيونية تستهدف فصل الأمة الإسلامية من روحها ومن هويتها وأن ما يجرى الآن فى بعض البلاد العربية والإسلامية يوحى بأننا بالفعل بصدد هبة أخرى ربما أكثر تصاعداً من صحوة إسلامية تتخذ طابع الدفاع عن الذات فى وجه تحولات تجرى باتساع القارة الأوروبية فى اضطهاد غير الأوروبيين وغير المسلمين .

إن إضعاف الأمة الإسلامية والوطن العربى وتقسيمه على أسس عرقية ودينية وطائفية ، هذا المخطط القديم الذى يستهدف المسلمين والعرب فى كل عصر وفى كل مرحلة تاريخية مع اختلاف الظروف واتحاد الهدف ، والهدف هو الحيلولة بين

هذه الأمة وبين أن تمتلك إرادتها وتستخدم مواردها فى بناء قوة إسلامية ذاتية تحمى أرضها وتذود عن حومتها .

وهو مخطط قد احتضنته الصهيونية العالمية والشيوعية وهو يرمى إلى تمزيق الأمة إلى كيانات طائفية عاجزة عن المقاومة والدفاع عن نفسها .

وتلقيب هذه المنطقة باسم (الشرق الأوسط) يعنى هذا الهدف لحساب إحياء المخطط القديم وإعداد المنطقة لتقبل استراتيجية التجزئة والتقسيم من واقع متغيرات فرضت على دولها .

وقد وضع هذا المخطط كمقدمة للحملة الفرنسية التى كانت تهدف إلى خلق جسر فى قلب الوطن العربى كوطن قومى لليهود (رسالة المليونير الأيرلندى توماس كريت عام ١٧٩٨) .

وفى الوقت الحاضر تتجدد هذه المطامع وتتمثل فى مخططات أعلن عنها بتقسيم الأقطار العربية إلى كنتونات حيث تجرى إثارة النعرات الإقليمية الطائفية والمذهبية وتعميق هزيمة ١٩٦٧م وإشعال الحرب الأهلية فى لبنان وحصار مصر وعزلها عن الوطن العربى وإحياء الفكر القومى المستعلى بالعنصر والعرق .

* * *

المسلمون خمس سكان العالم

تؤكد الإحصائيات الدقيقة أن المسلمين اليوم فى حدود مليار و٢٠٠ مليون مسلم ، أى أن المسلمين هم خمس العالم ، أى بين كل خمسة أشخاص من سكان هذه الكرة شخص مسلم .

وقد جاء فى إحصاء دقيق أن سكان العالم عام ١٩٩١ م بلغ٤ر٥ مليار نسمة (تعداد منتصف ١٩٩١) .

وفى عام ٢٠٠١ م سيصل العدد الإجمالى إلى ٤ر٦ مليار .

وستظل الزيادة السنوية ترتفع طوال التسعينات حتى يكون سكان العالم عام ٢٠٢٥ م ٨ر٥٠٤ مليار نسمة بدلاً من أن يصل مجموع السكان عند نحو ٢ر١٠ مليار عام ٢٠٨٥ م قد يصل إلى نحو ١٠ مليارات نسمة بحلول عام ٢٠٥٠ ، وسيتم النمو بمعدل كبير لمائة سنة أخرى بعد ذلك وقد يصل إلى نحو ٦ر١١ مليار نسمة وسيحصل هذا النمو ٩٥ فى المائة من البلدان المتخلفة .

وستصل الزيادة إلى ٥ر١ مليار نسمة فى جنوب آسيا بحلول نهاية القرن .

وستحدث أكثر الزيادات السكانية فى أفريقيا ، إذيبلغ عدد سكان القارة السمراء قبل نهاية القرن إلى٩٠٠ مليون مقابل ٦٥٠ مليوناً حالياً .

ويجرى المعدل السنوى للنمو السكانى ٣ ٪ وتأتى معدلات الخصوبة المرتفعة نتيجة لعوامل ثقافية واجتماعية كالزواج المبكر والافتقار إلى وسائل منع الحمل على نطاق واسع وتفضيل الأسر الكبيرة العدد .

وتصل معدلات النمو السكانى إلى ١ ٪ فى بلدان أمريكا الشمالية وأوروبا.

ومنذ عام ١٩٦٥ وقد انخفض معدل الخصوبة فى أوروبا كلها إلى ٨ر١ ٪ ولولا الهجرة لما حدثت على الإطلاق زيادة تذكر فى عدد السكان فى أوروبا .

* * *

وهذا هو بيت القصيد فى مؤامرة تحديد نسل المسلمين .

فالهدف فى الغرب هو الإبقاء على توازن ديمغرافى عالمى بما يبقى للجنس الأوروبى بامتداداته أساساً حيث الجنس الأبيض الصافى فى مقدمة البشرية المعاصرة ، وينطلق هذا الهدف من الخوف من تراجع النمو السكانى فى المناطق البيضاء خصوصا أن المجتمعات الأورو ـــ أمريكية تعيش مرحلة شيخوخة واضحة وتراجع كبير للولادات والخصوبة ، إنه دفاع عرقى عن الغرب فى مواجهة الأجناس الأخرى ، وثقافى فى مواجهة الثقافات المختلفة وأيديولوجى فى مواجهة الأيديولوجيات غير الرأسمالية .

دفاع يعتمد على المقولة المشهورة أن أحسن وسيلة للدفاع هى الهجوم .

والمنطلق العرقى ليس جديداً على (الأورو ـــ أمريكية) على عرقهم أو أعراقهم ، بينما يرى الأولون الإبقاء على العالم الثالث مدعماً لهم بالهواء .

* * *

ولا ريب أن الغرب فى مخطط تآمره الواسع المتصل يعمل الآن على تحديد نماء المجتمع الإسلامى وامتلاكه لإرادته فى أمرين خطيرين : هما فرض الربا على الاقتصاد الإسلامى وتحديد نسل المسلمين .

وذلك لأن المسلمين يعرفون الآن من خلال تجربتهم الخطيرة المريرة مع الغرب خلال أكثر من قرن ونصف قرن من الزمان كيف يعمل على نهب ثروات المسلمين ودفع المسلمين إلى الاستدانة وإدخالهم فى نطاق النظام الربوى الغربى الذى يقوده اليهود أساساً فى محاولة لاحتواء ثروات المسلمين وتدمير مقومات قدراتهم التجارية والمالية وتحويلهم إلى تبعية خطيرة للاقتصاد الغربى والحيلولة دون تمكينهم من إقامة اقتصادهم الإسلامى المتحرر من الربا والتبعية والقائم على قاعدة الإسلام الكريمة :

﴿ **وأحل الله البيع وحرم الربا....** ﴾[البقرة : ٢٧٥] .

ولقد ظهر من خلال تجارب كثيرة قام بها المسلمون فى السنوات الأخيرة لإقامة اقتصاد إسلامى كيف تجرى المؤامرات لهدم هذا الاقتصاد ولتدمير الكيانات الجديدة القائمة مع تحريم الربا .

وقد أطلقت تجارب كثيرة خلال السنوات الثلاثين الماضية للحيلولة دون تمكين المسلمين من إقامة مشروعات إسلامية خالية من الربا مما يوحى بأن التبعية الغربية

قائمة أساساً على تدمير القواعد الإسلامية للاقتصاد وإيقاع المسلمين فى دائرة الاحتواء والتبعية حتى لا يملكوا القدرة على بناء الصناعات الكبرى ولا المزارع الإسلامية ولا السوق الإسلامية المشتركة .

ولطالما بقى العرب والمسلون فى دائرة الاستدانة والقروض ولم يحققوا إيقاف هذا الخطرفإنهم لن يستطيعوا أبداً إقامة اقتصاد إسلامى متحرر من التبعية .

كذلك فإن عليهم أن يحرروا قدراتهم فى توجيه مدخراتهم وعوائدهم النفطية واستثمارها فى داخل الوطن الإسلامى الكبير .

* * *

مؤامرة تحديد النسل :

ومن أهم المخططات الاستراتيجية العسكرية الأمريكية مخطط خفض سكان المسلمين فى العالم ، وهو مخطط يجرى تنفيذه اليوم فى أندونيسيا وبنجلاديش وباكستان وأثيوبيا ومصر .

ترمى الخطة إلى أن النمو السكانى المتزايد فى دول معينة سيؤدى إلى زيادة القدرة السياسية والاقتصادية والعسكرية للدول النامية على حساب القلة الأنجلو أمريكية المهيمنة .

وكان هنرى كيسنجر قد حدد قائمة بالدول النامية التى يجب مواجهة الزيادة لسكانها .

وفى أفريقيا يستعمل الإيدز كعامل من عوامل القضاء على السكان كما يجرى الحصول على فتاوى من علماء الإسلام تدعى أن الإسلام لا يمنع تبنى تحديد النسل والإجهاض .

ويقول بحث عن تخطيط الحد من السكان من خلال المتوجهات الديمقراطية العالمية حتى عام ٢٠١٠ م : إن التطورات الديمغرافية تعود بآثار مادية على التركيبة العامة للعالم فى العقدين القادمين ليس فقط لأن الحجم المطلق لسكان العالم سوف يستمر فى الزيادة بشكل درامى بل إن هذه الزيادة السكانية سوف تركز فى دول العالم الثالث وأن ١٣ دولة فى العالم الثالث تستهدف بالاهتمام الأمريكى لخفض

السكان فيها يتصدرها الدول التى حددها كيسنجر وفى مقدمتها مصر وفلسطين ونيجيريا .

وأشار التقرير إلى أن دولاً مثل أندونيسيا سوف تزداد إلى نحو مائة مليون نسمة حتى عام ٢٠٢٠ .

وقال : يجب أن تتضافر جهود الجنس الأبيض من دول حلف الأطلسى وحلف وارسو ضد التهديد المتزايد عسكرياً وسياسياً واقتصادياً من جانب العالم الثالث .

وفى روسيا يتزايد السكان المسلمون بنسبة كبيرة كانت النسبة ١٩ ٪ ويتوقع أن تكون فى عام ٢٠٠٠ حوالى ٣٣ فى المائة .

وأنه مع تقلص أوروبا البيضاء فإن أوروبا الملونة (تركيا) سوف تزداد فى السكان ومن ثم فى الثقل العسكرى : أى إنه فى عام ٢٠٢٥ سيزداد سكان تركيا بنسبة ٥٤ ٪ تقريباً بينما ينخفض السكان البيض فى ألمانيا وفى نفس الفترة بنفس القدر تقــريباً .

* * *

وهكذا تجرى مخاطر نمو السكان المسلمين (دول العالم الثالث) على ميزان القوى العالمى خاصة وتأتى الدراسة كجزء من استراتيجية عسكرية شاملة للولايات المتحدة فى القرن القادم وأعظم الدول المستهدفة هى(مصر ـــ نيجيريا ـــ تركيا) .

وقد تلقى المؤسسات العسكرية فى العالم الثالث دعماً مالياً فى الاعتماد على القدرة البشرية العاملة لأغراض الأمن الداخلى والخارجى .

ويعتقد أن مواجهة مشكلة السكان وزيادتها فى تركيا قد تكون لها آثار مدمرة للأمن القومى الأمريكى بالإضافة إلى المصالح الأمنية للناتو وروسيا .

وإذا كان الجنس الأبيض لا يمكنه التغلب على غير الأبيض إلا بالتناسل وإذا كان تنشيط تحديد النسل فى دول العالم الثالث غير مؤثر فى منع هذا التحول فى الميزان الديمغرافى للعالم فماذا يكون العمل؟ .

هذه هى المشكلة التى تسعى دول الغرب لحلها بحماية النسل الأبيض وخفض سكان المسلمين فى العالم .

ومن هنا يأتى بند (تخفيض نسل المسلمين) فى مقدمة مواد المعونات

الأمريكية للدول العربية والإسلامية بينما يعمل الغرب على زيادة نسل وهجرات اليهود إلى فلسطين المحتلة وزيادة نسل غير المسلمين أساساً .

والواقع أن المعونة الأمريكية تولى اهتمامها لعاملين أساسيين :

أولاً : تحديد نسل المسلمين وثانياً تحويل التعليم إلى المنهج الأمريكى .

تقول الخبيرة الدكتورة جوريت كوكرن : إن التعاون المصرى الأمريكى فى مجال التعليم بدأ فى أعقاب اتفاقية كامب ديفيد ١٩٧٩ إذ تلقت مصر ملايين الدولارات للتعليم من عدة هيئات أمريكية لتنفيذ التصور الأمريكى السياسى الواجب تطبيقه فى مصر وأن تمويل المشروعات الخاصة بالتعليم المصرى تعكس بوضوح الأساس السياسى للمساعدات الأمريكية لمصر والتى تتمثل فى الالتزام بمسيرة الخطة الأمريكية ولذلك فإن القائمين على أمر التعليم فى مصر الآن هم تاريخياً خلفاء السياسة الأمريكية يأخذون معونة للتعليم قدرت عام (١٩٩٠ بمبلغ ١١٥ مليون دولار) .

وأن أغلب المبالغ تنفق على الصفوة فى قمة الهرم الوظيفى والسياسى لقطاع التعليم المصرى مع مستشارين أمريكيين وفى محاولة لإيقاف الفساد تحولت المساعدات المقدمة لمصر فى مجال التعليم إلى شكل عينى حتى لا تعطى فرصة لسلب هذه الأموال .·

ويقول الدكتور محمد عبد العزيز ربيع :

إن معونات أمريكا لإسرائيل لم توضع لها أى شروط خاصة وقد أقرتها أمريكا بالشكل الذى يفى بحاجياتها .

أما المعونات للجانب المصرى فقد أحيطت بشروط معينة هدفها توظيف تلك المعونات لخدمة المصالح الاقتصادية والأهداف السياسية لإسرائيل أولاً .

(يبلغ عدد يهود فلسطين ٣٫٣٠٠٫٠٠٠ مليون شخص = ١٢٠٠ دولار للفرد الواحد) .

أما فى مصر فهى تقوم على أساس التزام الحكومة المصرية باتفاقية كامب ديفيد واستمرارها فى دعم تلك الاتفاقية .

وإن التزام أمريكا بمساعدة مصر اقتصادياً وعسكرياً هو جزء لا يتجزأ من التزام مصر بروح ونصوص معاهدة كامب ديفيد وأن هدف أمريكا هو تقوية الكيان

الصهيونى كى يقوم بدوره فى فرض التخلف وتكريس التجربة على الأرض العربية فإن زيادة تلك المعونات تعنى توفير ضربة جديدة للتطلعات والأمانى العربية .

وتربط المعونات الأمريكية لمصر بالرضى بممارسات إسرائيل التوسعية والعنصرية .

* * *

لحــق :

يقول الدكتور زيدان عبد الباقى كبير خبراء منظمة الأغذية والزراعة بالأمم المتحدة :

إن عدد الذين يعانون من الجوع يزداد عاماً بعد عام .

عام ١٩٥٠ كان العدد ٤٠٠ مليون ـــ ارتفع إلى ٤٣٦ عام ١٩٧٥ . وينتظر أن يصل إلى ٦٠٠ مليون جائع بحلول عام ٢٠٠٠ .

وفى الوقت الحالى يموت كل عام حوالى ١٥مليون طفل من الأمراض التى يسببها الجوع أو بمعنى آخر يموت٤٠ ألف طفل يومياً كما يحدث فى حالة إلقاء قنبلة ذرية كل ثلاثة أيام على منطقة آهلة بالسكان والغريب أن العالم ينتج غذاء يكفى الجميع لو كانت هناك عدالة فى التوزيع . فإنتاج العالم من القمح والأرز والذرة بلغ ١٦٣٦ مليون طن عام ١٩٨٣ . ارتفع إلى١٧٧٥ مليون طن عام ١٩٨٤ أى أن نصيب الفرد يصل إلى ٢٨٠ كيلو جراماً سنوياً .

غير أن مشكلة أفريقيا ونحن جزء منها هى مشكلة غاية فى الغرابة ، حيث إن الفرد منها يقل نصيبه من محاصيل الغذاء بمعدل ١٠ ٪ عن نصيبه منذ عشر سنوات مضت .

ومشكلة الجوع فى العالم قد لا تعود بالدرجة الأولى إلى زيادة عدد السكان بقدر ماتعود إلى إهمال الزراعة ، وأنها لم تعط الأولوية التى يستحقها مثل برامج التسليح (التى ينفق عليها ٧٠٠ ألف مليون دولار سنوياً) وأيضاً تعود مشكلة الجوع إلى أن جملة الأراضى الصالحة للزراعة فى العالم لا تزيد على ٣٧٥٠ مليون فدان ونظراً لتجريف التربة والتلوث والملوحة والتصحر والزحف العمرانى فإن هذه الأراضى فى تناقص مستمر ربما بلغ النقص فيها إلى الثلث بحلول عام ٢٠٠٠ كما أن حجم الأرض المنزرعة فى أفريقيا وآسيا والشرق الأوسط فى تناقص مستمر .

وتزيد الصورة كآبة حين نعلم أن ٧٠ فى المائة من الثروة العالمية تملكها الدول المتقدمة حيث هى ربع سكان العالم بينما يعيش ثلاثة أرباع العالم على ٣٠٪ من هذه الثروة حيث تحتكر قلة التجارة الدولية والغذاء وتملى شروطا على المحتاجين من الدول النامية عملاً بالمثل القائل (جوع كلبك يتبعك) .

وقد تفجرت بعد حرب الخليج قضايا خطيرة تتعلق بإعادة توزيع الثروة ودور النفط الذى تتحكم فيه القوى المعادية للإسلام فى تفريق شمل العرب أولاً وإذلالها وما يتعلق بإيداع الأموال الإسلامية فى بنوك الغرب والزكاة وحق المجتمع الإسلامى من زكاة الركاز التى تبلغ ٢٠ فى المائة وما يتعلق بتبديد ثروات النفط على الترف والفساد .

ويرى البعض أن الدول الإسلامية ما دامت فى حاجة إلى هذه الأموال فلا يجوز استثمارها فى غير بلاد المسلمين .

وأن عرب النفط يستثمرون حوالى (٦٠٠ مليار دولار) فى الخارج وأنه كان ينبغى توجيه هذ الاستثمارات لصالح العرب والمسلمين فضلاً عن أنه لا يجوز نقل أموال المسلمين لاستثمارها خارج ديار الإسلام فيحرم منها أهل الأوطان بينما ينتفع بها أعداء هذه الأمة .

ويقول الباحثون : إن الزكاة فرضت كنوع من التكافل الاجتماعى لكى يحافظ دافع الزكاة على كيانه ويحمى نفسه ضد ثورة المجتمع الفقير بأن يساعد ويعاون هذا الفقير عل الحياة .

وأن السياسة الشرعية تحتم على الدول ذات الفوائض أن تستثمر أموالها فى تنمية اقتصادياتها أولا ثم فى الدول الإسلامية الشقيقة .

ويرى بعض علماء الاقتصاد أن بعض الأنظمة العربية النفطية تبدد ثرواتها التى هى ثروة الأمة الإسلامية جميعاً بسياسة تبريرية استهلاكية وتوظيفها خارجياً لمصلحة الرأسمالية الاستعمارية العالمية وفى مقدتها أمريكا وتستهلك جانباً من أموالها فى شراء وتكديس أسلحة بالغة التطور تشتريها ولا تحسن استخدامها وإنما تشتريها لتفرج بها أزمة الأنظمة الرأسالية العالمية .

هذه الأنظمة مدعوة لأن تفكر فى المشاركة بأموالها المكدسة فى البنوك الغربية من أجل بناء مشروعات اقتصادية إنتاجية عربية سواء على مستوى التنسيق أو التكامل أو حتى مجرد التعامل الجزئى اللهم إلا بالفتات .

هذا إلى جانب ممارستها بعض أنواع الضغط من القوى المتطلعة إلى الحرية والشورى .

ويجرى بحث تشكيل صندوق عربى من الدول النفطية بنسب تتفق مع ثرواتها للمساهمة فى حل المشاكل الاقتصادية العربية المختلفة بهدف تحقيق التكامل الاجتماعى بين الدول العربية من خلال (زكاة الركاز) وهوما يخرج من باطن الأرض من ثروة بما فى ذلك البترول : (وفى الركاز الخمس) .

وهذا القدر يصل إلى مليارات من الدولارات ويمكن توجيهه لمعالجة مشكلة الفقر فى ديارها وسائر الدول الإسلامية حسب ظروف احتياجاتها ومنها إنشاء صندوق للتنمية يتبع الجامعة العربية ويتم تمويله من حصيلة زكاة الركاز التى تبلغ ٢٠٪ من قيمة المستخرج منها.

وقد حرص الاستعمار الأوروبى أن تكون مكامن النفط بوجه عام وحيثما استطاع على أجزاء من الوطن العربى قليلة السكان ضعيفة القدرة على مقاومة أطماعها وهكذا أصبحت الثروة بوجه عام والتى مصدرها البترول فى جانب وأصبح ثقل الشعب العربى الأساسى وعمقه الحضارى والثقافى وقدرة التطور فى جانب آخر .

ويدعو البعض إلى أن تضم خبرات الثروة لتخدم الوطن العربى ولا يبقى فى يد فئة متحكمة .

ويرى البعض أن القدرة الشرائية للدول البترولية وحكامها قد انعكس بآثار سلبية خطيرة فى حياة شعبنا وأمتنا فى أقصى المغرب والمشرق .

وتبلغ استثمارات بعض الدول العربية المستثمرة والمودعة فى بنوك أمريكا وأوروبا قدراً كبيراً يتجاوز ٦٠٠ مليار دولار لو استمر ريعها فإنه يكفى الوطن العربى كله ويحل مشاكله .

ويتحدث كثير من الباحثين عن نهوض العرب كيف يكون ويجمع أغلب هؤلاء الدارسين على أن ذلك يمكن أن يكون إذا استعاد المسلمون روح الجهاد ، ولو علموا أنهم أبناء الحضارة الإسلامية ، فالانتماء إلى الحضارة الإسلامية ومشروع نهضتها هو الهدف ، والجهاد المتصل هو الطريق المؤدى إلى هذا الهدف .

ويتساءل الباحث : ماذا فعلنا بالفوائض النفطية ؟ .

إن أغلب المتعلقين بأموال البترول لا يقصدون للأسف تشغيل هذا المال لكى

ينتج ويثمر فأصحاب هذا المال يستوردون دون أن يجهدوا أنفسهم فى العمل المنتج وأن ما وصل من هذه الأموال فى هيئة تحويلات للعاملين ضاع فى الاستهلاك أغلبه ذلك أن المسلمين اليوم قوم مدمرون فقدوا ثروتهم وأفسدهم الترف ولم نزرع ما يكفينا ذل الاستبداد والديون .

وهذا كله دليل على أن النهضة أساسها الإنسان المؤمن قبل أن يكون المال أو الثروة .

هل يمكن أن تكون أمة العرب أكثر بلاد العالم اتكالاً على الأجانب فى غذائها ؟ فإذا استمر الحال على هذا المنوال سترتفع واردات الدول العربية .

هل يعقل من منظور الإسلام أن يقهر بلدكالسودان على موارد غذائية تستورد من أنحاء العالم رغم ما يملك من موارد ؟ إنه يتحتم على أموال البترول أن تحل أزمات المسلمين بروح الجهاد الإسلامى أى بالعلم والعمل الجاد العادل .

وعلينا أن ندرك أن أرض الدولة الإسلامية لم تعرف فى الماضى مسألة الحدود الفاصلة التى أصبحت تقيد حركتنا وتضعف وحدتنا ، وأن روح الجهاد يجب أن تبقى يقظة طول الوقت تدفع المؤمنين إلى مراجعة النفس ولومها حتى تكشف مواطن الضعف والخلل .

والقرآن الكريم أجاب المسلمين ممن سألوا عن سر الهزيمة فقال ﴿ .. **هو من عند أنفسكم** ... ﴾ [آل عمران : ١٦٥] .

وحين تعلموا الدرس وصبروا وأعدوا تحقق لهم النصر .

هل بلغت اللهم فاشهد .

* * *

الباب الثانى

انكشاف المؤامرة

منذ مطالع اليقظة الإسلامية أعلن قادة الفكر الإسلامى أنهم يقفون موقفاً واحداً من الرأسمالية والماركسية جميعاً فكلاهما يتخذ فلسفة بشرية مادية لإقامة نظامه العالمى ، لقد عجزت الرأسمالية عن العطاء فى أفق المجتمع الإسلامى منذ اليوم الأول لانتقالها إلى عالم الإسلام لتحل محل الشريعة الإسلامية وتحجب عطاء الله فى منهجه الأصيل الذى جاء ليقول كلمة الله الخاتمة ويقدم للبشرية العدل والرحمة والكرامة جميعاً .

ولقد فرض النفوذ الاستعمارى سلطانه حين سيطر سياسياً وعسكرياً على الأمة الإسلامية ، ولكن هذه الأمة ظلت تقاوم فى صمود لا تقبل بديلاً عن منهجها الأصيل ، وبالرغم من كل محاولات الاستعمار الغربى فقد عجز عن أن يحقق سيطرته رسرعان ما تكشفت للمسلمين حقائق الأمر فى (العودة إلى المنابع) . وفى مرحلة تالية ظن بعض المصلحين أن الماركسية تستطيع أن تحرر المسلمين من نفوذ الاستعمار الغربى وقد خاض المسلمون التجربة كلها واحتملوا قسوتها ومرارتها ووصلوا فى النهاية إلى حقيقة أساسية هى : أن الفكر الغربى بشقيه لا يستطيع أن يقدم للمسلمين ما يحقق لهم أشواقهم ومطامحهم وأن الجسم الإسلامى يرفض الجسم الغريب .

وقد أدت تجربة الرأسمالية أولاً والماركسية أخيراً إلى نتيجة واحدة هى أن المسلم الذى تشكل منذ أربعة عشر قرناً على مفهوم ربانى قرآنى أصيل لا يستطيع أن يجد فى أى أيديولوجية من الأيديولوجيات البشرية ما يحقق له مطامحه وأشواقه .

ومن ثم كانت نكسة ١٩٦٧ م كاشفة للمسلمين والعرب عن هذه الحقيقة

التى خدعتهم طويلاً عن طريق مغريات الاستشراق والتبشير وما خدع به حكام المسلمين وقادتهم ومفكروهم وثبت كلام الله عز وجل الذى لا ينطق عن الهوى :
﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** ... ﴾ [البقرة : ١٢٠] .

ومن هنا فقد استقام المسلمون على الطريق ، وآمنوا بأن لا ملجأ من الله إلا إليه ، وأن المنطلق الوحيد للنهضة والإصلاح والتقدم يتمثل فى شىء واحد : هو منهج الإسلام .

وكان إدراك الغرب لهذه الحقيقة وهو يرى المسلمين والعرب يتحولون إلى صحوة عارمة تقوم على أساس الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة فكان هذا هو إدراكاً لخطر عظيم اهتزت له دوائر الغرب .

فقد أدرك الغرب أمرين خطيرين :

الأمر الأول :

أدرك الغرب اليوم قوة الإسلام وعرف أنه (أى الإسلام) ما دام قد استعاد إيمانه بمفهومه الصحيح فإنه سوف يقيم مجتمعه وينشر رايته .

لقد كان الغرب يطمع فى أن يقبل الإسلام الثوب الذى نسجوه له : ثوب دين العبادة واللاهوت القاصر والمحدود ، وكانوا قد عملوا منذ الحملة الفرنسية وقبلها على تقديم هذا الإسلام للمسلمين وعمدوا إلى بناء المجتمع الإسلامى على القانون الوضعى (حيث لا يوجد الإسلام فى المدرسة أو المحكمة أو المصرف) .

ولكن ما لبث الإسلام أن اكتشف نفسه وصحح طريقه وعاد ليعلن حقيقته : أنه دين ودولة ومنهج حياة ونظام مجتمع .

ومهما جرت المحاولات والمؤامرات عن طريق الاستشراق والتبشير والتغريب فلن يخضع الإسلام ولن يخرج عن طبيعته التى فطره الله تبارك وتعالى عليها .

ومن هنا أدرك الغرب الخطر : خطر إصرار المسلمين على فهم حقيقة الإسلام وأدركوا قوة الإسلام الذاتية القادرة على بناء المجتمع الربانى بعد أن أوغل المجتمع الوثنى والمادى والإباحى فى الوصول إلى ذروة الفساد والانحلال .

وعرف الغرب أنه لن يستطيع أن يقف أمام تيار الإسلام القوى الجارف ومن هنا أخذوا يضعون من الحوائل ما يظنون أنه سيؤكد وجودهم وسيحول دون ضوء الفجر .

الأمر الثانى :

أدرك الغرب أن حضارته هشة منحلة فاسدة لا تستطيع أن تثبت أو أن تكشف عن الغرب هذه الأزمة الروحية الخطيرة التى انتابته حيث بدأ الغربيون منذ نشوب الحرب العالمية الأولى يدركون أن حضارتهم ليست بالحضارة الدنيوية الصالحة للبشرية كلها وأنها حضارة عرقية قائمة على استعلاء العنصر وهى لا تعطى البشرية شيئاً ذا بال .

وأنها إلى ذلك أبعد ما تكون عن الحصانة ضد الانهيار وضد عنيف الأزمات فى حين كان يظن أنها بعد تحررها من الدين ستقدم الصورة النهائية للحضارة .

تلك الحضارة التى لا يمكن أن يعتورها فساد أو تدهور .

هنالك بدأ كبار مفكريها يعيدون النظر فيها ويتطلعون إلى الإسلام بوصفه أكثر قدرة على تحقيق أشواق النفس على النحو الذى عرفه عشرات من كبار المفكرين الغربيين الذين تحرروا من نفوذ اللاهوت بعد أن تكشف اضطرابه وعجزه عن القبول فى العقل الحديث .

ومن هنا كانت خيبة الأمل وفقدان الثقة التى وجدها العرب والمسلمون بعد قرنين من الزمان ، بعد أن خدعهم العلمانيون والتغريبيون أمثال طه حسين ، وسلامة موسى ، وعلى عبد الرازق ، ومحمود عزمى ، ولطفى السيد ، ولويس عوض .

لقد خدع المسلمون والعرب من نصائح الخادعين الذين ائتمنتهم أمتهم فعادوا إلى الغمار ولم يجدوا غير إشاعة الفساد والدمار الاقتصادى وانهيار القيم والأخلاق والتقاليد ، إلى الهزائم العسكرية ، وتفاقم المشكلات الاجتماعية وذلك على حد تعبير القائل:

« جربنا الليبرالية والحكم العسكرى والديمقراطية والفاشية وتعدد الأحزاب ونظام الحكم الواحد والرأسمالية والاشتراكية والانفتاح الاقتصادى والسير فى ركاب الغرب والشرق والقومية المصرية والوحدة العربية والانتماء الأفريقى ومساندة الأنظمة الرجعية ونادينا بكافة الشعارات وقلب الصحفيون والكتاب معاطفهم الفاخرة ، ورقعوها بألف رقعة وبعثنا بمدح الحكام ثم بهجائهم وأقمنا لهم التماثيل ثم حطمناها وسمينا الشوارع بأسمائهم إلخ » .

* * *

إن الحقيقة التى تشغل الغرب والتى تفسر كل ما يقوم به من محاولات ومؤامرات هو أنه اكتشف أخيراً أن خطته التى عاش يقدمها للمسلمين خلال أكثر من قرن ونصف قرن قد فشلت ، فقد كان النفوذ الأجنبى الحريص على السيطرة على أرض المسلمين وثرواتهم (والذى عاد مرة أخرى بعد هزيمته فى الحروب الصليبية ليحقق ثأره وغلبته التى تظهر واضحة فى عبارة اللورد اللنبى بعد ما دخل القدس ١٩١٨ حيث قال :

الآن انتهت الحروب الصليبية :

فإن هذه الكلمة تخفى وراءها أحقاد سبعة قرون منذ الهزيمة التى منيت بها أوروبا حين حشدت ملوكها وأسلحتها لتحرير بيت المقدس من المسلمين وتمكنت الدولة العثمانية من حماية الأمة الإسلامية من مؤامرات تجدد الحملات الصليبية مرة أخرى ، حيث كان الغرب ولا هم له إلا تدمير الدولة العثمانية وإسقاط الخلافة وذلك لتمزيق هذا الكيان الموحد تحت لواء لا إله إلا الله والعودة إلى السيطرة وتقسيم تركة ما يسمى الرجل المريض .

منذ ذلك اليوم كانت المخططات كلها ترمى إلى احتواء هذه الأمة داخل مناهج الغرب وتحويل الإسلام إلى دين لاهوتى عبادى قاصر على المسجد وفرض نفوذ القوانين الوضعية على هذه الأمة وتعريتها من قيم الخلق والكرامة وإذلالها والسيطرة عليها حتى تظل ثرواتها نهباً لهم يستنزفونها ، أما أهالى البلاد فيظلون فى الفقر المدقع .

ولقد مرت عقود من الزمن بدا فيها أن المسلمين والعرب قد استسلموا لمناهج العلمانية الغربية التى فرضت عليهم وأنهم انصهروا فى بوتقة التبعية وتحقق هدف القديس لويس فى (حرب الكلمة) التى غيرت الإسلام وجعلته ديناً لاهوتياً وحددت وجوده فى المسجد والمولد النبوى وسيطرت القوانين الوضعية التى تبيح الربا والزنا والفساد الخلقى وتهدد المجتمع والأسرة ، ومضى التغريب والغزو الثقافى فى خطته التى كانت تهدف إلى السيطرة الكاملة من خلال مناهج ثلاثة :

أولاً : قوانين الغرب للسيطرة على الحياة الفكرية والاجتماعية وتدمير المجتمع الإسلامى .

ثانياً : مخططات اليهودية العالمية فى الزحف على بيت المقدس وإقامة إسرائيل

الكبرى من النيل إلى الفرات وإعادة بناء هيكل سليمان .

ثالثاً : اندفاع الماركسية اللينينية إلى السيطرة على البلاد الإسلامية وتحويل أهلها إلى الإيمان بالدين أفيون الشعوب وبالصراع الطبقى وبإنكار الغيب والوحى والألوهية والإيمان بالمحسوس من خلال مفهوم الفلسفة المادية .

وقد توغلت فعلاً هذه المخططات الثلاثة توغلاًشديداً فى قلب عالم الإسلام وخدعت أمماً وأقطاراً أرادت الخروج من الاستعمار الغربى فاقتنصها النفوذ الشيوعى الماركسى ، وكانت التجربة مريرة حقاً ، ولكنها انتهت إلى شىء واحد هو فساد المنهج الغربى (الليبرالية ـ الماركسية ـ العلمانية) من حيث العطاء والبناء ثم فساد المنهج الماركسى فى المناطق التى ظهر فيها وسيطر سنوات قليلة .

وكانت تجربة القوميات فى مواجهة الوحدة الإسلامية وإعلاء شأن مذهب العنصر والدم والعرق ، تجربة واسعة متصلة ولكنها سقطت هى الأخرى لأنها خرجت عن إطار الفطرة وسنن الله تبارك وتعالى فى الأمة التى صنعها على عينه خلال أربعة عشر قرناً وكان حصيلة هذا كله هزيمة ١٩٦٧ م التى كشفت عن حقيقة أساسية : هى أن هذه المناهج الثلاثة : **القومية والليبرالية والماركسية** نبت غريب لا يصلح لأمتنا ولاينمو فى أرضنا وقد وضعت بذرته فى الأرض الإسلامية فلم تقبلهاكما أن الجسد الإسلامى كله لم يقبل العنصر الغريب .

هذا التحول الخطير الذى كشفت عنه التجربة أظهر فى وضوح أن ثمرة ما قام به الغرب بعناصره الثلاثة : (ليبرالية وماركسية وصهيونية) قد استعلن فساده وجاء سقوط البلشفية الروسية الماركسية اللينينية علامة على الشرخ الشديد الذى أصيبت به الحضارة الغربية والفكر الغربى إزاء عالم الإسلام الذى كان ولا يزال يمر بأشد مراحل محنته وأزمته وعجزه عن امتلاك إرادته أو الدفاع عن كيانه أو حماية نفسه من التيارات التى فرضها عليه الغرب والصهيونية والماركسية لتحويله عن طريقه الذى تشكل فيه منذ أربعة عشر قرناً .

* * *

هناك عدة حقائق أساسية فى النظر إلى انهيار معسكر الشيوعية والعلمانية فى نفس الوقت وإن لم يتكشف ذلك إلى الآن فى وضوح كامل .

إن الغرب الرأسمالى والشرق الشيوعى هما جناحا الصهيونية العالمية ويعملان لحسابها وتحقيق أهدافها ومهما تميزت الشيوعية بمذهب الصراع الطبقى فإن التفسير المادى للتاريخ يعتبر عاملاً مشتركاً بين الرأسمالية والشيوعية ، وكذلك فهم الأخلاق على أنها مسألة نسبية وكل ما يتصل بالإباحية الاجتماعية وتدمير الأسرة الإنسانية والاجتماعية وقد صنع اليهود ذلك كله للسيطرة به على العالم من خلال فلسفة الماسونية وبروتوكولات صهيون .

فإذا عدنا إلى الأساس وجدنا أن الفكر الغربى كله اليوم (فى مرحلة الفلسفة المادية) وبعد أن انفصل عن اللاهوت والمسيحية وأصبح حرباً عليها هو منهج يهودى تلمودى استطاع من خلال الثورة الفرنسية أن يفرض نفسه ويسيطر على العالم وإن كان قد تشكل فى نظريتين تتصارعان وينقسم العالم بينهما : [نظرية اليهودى روبرت أوين] الرأسمالية (ونظرية اليهودى ماركس : الشيوعية) .

أما العلوم الاجتماعية والإنسانية فقد صنعها اليهود من أجل تدمير الإنسان الجوييم ولم يمر يوم منذ ظهور هذه النظريات فى مجال الأخلاق والاجتماع والنفس إلا وقد وجهت إليها الضربات .

أما النظرية الماركسية فقد هوجمت خلال سبعين عاماً فلم يتوقف عنها الهجوم حتى بعد أن سقطت .

يقول أحد الباحثين :

لقد كان سقوط النظرية الماركسية مع سقوط النظرية القومية هو بمثابة سقوط آخر الأوصياء على الفكر الحديث .

إنها ثلاث نظريات كانت سائدة فى الفكر الأوروبى طوال القرن العشرين : ثلاثة مفكرين صاروا أوصياء على فكر وفلسفة أوروبا بما يمثل العلمانية المادية طوال القرن التاسع عشر ، وهو ثالوث أحلته أوروبا بدلاً من ثالوثها المسيحى القديم (دارون وفرويد وماركس)بدلاً من الآب والابن وروح القدس .

أما [الدارونية] فقد أعطت نظرية للحياة والأحياء من خلال مفهوم(التطور) فاقتحمت سائر مجالات الحياة وأدقها وأخطرها إلى صميم ظواهر القيم والأخلاق والفكر والدين .

وجاءت (الفرويدية) تعطى نظرة مادية مماثلة للفرد الإنسانى الذى أرجعته بالدرجة الأولى إلى البعد الجنسى وألقت به بكل أبعاده المتشابكة فى بوتقته ، بل ردت أعماق اللاوعى الذى اكتشفته إلى ذلك العامل الشبقى المكبوت .

ثم جاءت (الماركسية) فواصلت التفسير المادى وعمقته ووسعته من الفرد الواحد إلى الجماعة الإنسانية كلها فقد جعلت المجتمع بالدرجة الأولى نتاج بعده الاقتصادى المادى ومحصلته قبل أى شى آخر .

وقد جمعت المذاهب الثلاثة بين النظرة المادية المطلقة التى وضعها رواد العلم المادى فى بدايات ما عرف بعصر التنوير الأوروبى وانطلقت منها نظرة أوروبا إلى كل شيء فى الوجود .

ولم ينته القرن التاسع عشر حتى تمت السيادة الأوروبية المطلقة على العالم والسيادة الكاسحة لفلسفتها المادية .

وجـــاء المفكرون فى القرن العشرين بشكل أو بآخر مفسرين للثلاثة أو تابعين لهم .

لدارون فى نظرته للحياة ولفرويد فى نظرته للإنسان ولماركس فى نظرته إلى التاريخ والمجتمع .

ثم جرى التوفيق بين الفرويديين والماركسيين لاستخراج النظرة الشمولية الواحدة إلى الحياة والكون .

ثم تضاءل وهج الدارونية أمام تساؤلات علماء الأحياء الجدد وتراجعت الفرويدية بداية مع تلميذه جوساف فايونج الذى حول اللاوعى الجنسى إلى اللاوعى الروحى وظلت الماركسية صامدة لأنها ارتبطت بمعسكر دولى وقوة عظمى ثم حدث الانهيار الواقع ليكشف نهائياً الخلل الخطير فى الفكر.

من حتمية انتصار الماركسية إلى حتمية زوالها :

وكشفت الوثائق الجديدة أن (فرويد) كان رجلاً لا يتصف بالنزاهة والأمانة العلمية فهو يزور فى وصف الحالات النفسية لإثبات نظريته ، والآن من الذى سيملأ الفراغ الفكرى والروحى فى أوروبا والغرب ؟ هل تحل التقنية محل الأيديولوجيات أم يظل الإنسان فى حاجة إلى فكر واعتقاد يوجه كينونته الإنسانية ويعطى الحياة والكون معناهما ؟ .

والواقع أن مصدر الفلسفة الماركسية والفلسفة العلمانية واحد وهو الفلسفة الماسونية التى تقوم أساساً على عدة قواعد ثابتة :

أولا : إنكار وجود الخالق تبارك وتعالى .

ثانياً: إنكار الغيب والنبوة والبعث والجزاء الأخروى .

ثالثاً: إنكار المسئولية الفردية .

رابعاً : إنكار الضوابط الأخلاقية .

فإذا اختفت الفلسفة الماركسية اليوم أو تراجعت ، فإن الفلسفة المادية الغربية تأخذ مكانها وتؤدى إلى نفس الهدف ، وهو محاربة العقيدة الدينية حرباًعنيفة وإحلال مفهوم الإلحاد . [لا إله والحياة مادة] والفلسفة المادية التى لا تعترف بأى مما يتصل بالروح أو المعنويات أو القيم الأخلاقية ، ولما كان هدم الأخلاق وتحطيم الأسرة هو الأساس المكين فى الفلسفة الماسونية فهو هدف فى كلتا الفلسفتين الماركسية المنهارة والعلمانية التى تحاول أن تسيطر وتمتلك المساحات التى تخلت عنها الماركسية .

وحين تسقط مفاهيم الصراع الطبقى وما يتصل بتوزيع الثروة (وهو ما يميز الماركسية) فإننا نجد أن المذاهب الغربية تتقارب وتتداخل حتى تبدو اليوم بصورة واحدة من حيث إجماعها على حرب الدين بعامة والإسلام بخاصة بوصفه الدين الحق والنموذج الصحيح للدين المنزل من حيث سلامة وثائقه ومصادره حيث لم يأته الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذى تتطلع إليه النفوس بعد أن انهارت لديها المقومات المادية ، وأحست بالحاجة إلى الأمن النفسى وأشواق الروح ، وهى ما عبر عنها كل الأربعمائة من العلماء الغربيين الذين دخلوا فى الإسلام .

* * *

البحث عن الجذور

إن انهيار معسكر العلمانية : وهو الموقع الذى كان يحتمى فيه الشيوعيون والقوميون والماركسيون (من العرب وغيرهم) قد أحدث دوياً هائلاً وكشف عن فراغ شديد فقد أصاب هذا المعسكر انهيار شديد هز قاعدة الفكر والمجتمع وكشف عن زيف شديد كان هؤلاء القوم غارقين فيه على مدى أكثر من خمسين عاماً أو يزيد .

هذه الموجة الخطيرة التى دبرها النفوذ الأجنبى بديلاً لعملية الأحزاب السياسية وجعلها متصلة بأنظمة الحكم الفردى والديكتاتورى والتى نشأت بعد سقوط الديمقراطية الغربية ممثلة في قوى انجلترا وفرنسا حيث بدأت سيطرة النفوذ الأمريكى الذى ارتبط بمرحلة الانقلابات العسكرية .

فى ظل هذه المرحلة ومن خلال هذه الموجة :

« حرية — وحدة — اشتراكية »

ثم جاءت الحركة الناصرية فاعتمدت هذا الشعار مع تقديم حلقة على أخرى وقام هذا النظام فى صورة قاسية من صور السيطرة الطاغية والحكم الفردى والديكتاتورى على النحو الذى عرف عن عبد الناصر فى المرحلة الأولى وخلفاء عفلق فى سوريا والعراق ، وظهرت هذه الأسماء التى سيطرت على الفكر والصحافة والمسرح والفن : أحمد بهاء الدين — رجاء النقاش — يوسف إدريس — أحمد عبد المعطى حجازى — أحمد عباس صالح — محمود السعدنى — لويس عوض — غالى شكرى .

وتبين أن هناك مخططاً مدروساً ينفذ على مراحل لاحتواء عدد أكبر من المصريين فى قالب أحزاب القومية والاشتراكية والبعث .

ومن هنا كانت تلك الزوبعة الباغية التى قامت فى وجه الشريعة الإسلامية والدعاة إلى الإسلام والتى جندت الكثيرين لتوزيع الاتهامات بالتعصب والتطرف .

وقد علا شأن هذ التيار المسموم الذى تخفى وراء مصطلحات غامضة وكلمات

عائمة حتى شاء الله تبارك وتعالى أن يكشف المخطط وإن يسقط من كلا جانبيه .

وكان البعث قدخلف الناصرية بعد سقوطها ووسع دائرته فى العراق ، وسوريا ، والسودان ، وحاول فى مصر محاولات كثيرة .

فلما سقطت الشيوعية ، وانكشف دعاتها الذين كانوا يستطيلون على الناس بدعواهم الباطلة أحنوا رءوسهم وأصابتهم الذلة وإن ظلوا مكابرين يبحثون عن مجال آخر لنشر سمومهم ، فهم خصوم الإسلام أساساً سواء أكانوا فى صفوف الشيوعية أم فى صفوف العلمانية .

وجاءت على أثر ذلك الأحداث التى كشفت حقيقة الأحزاب الاشتراكية والقومية ، ومصادرها ودعاوى الإيمان بالعروبة والإسلام لخداع الناس، وكان من وراء ذلك ميشيل عفلق ذى الأصل الغامض وصهر الصهيونية ممثلاً فى زواجه ابنة جولدا مائير وهنا تنكشف حقيقة ما قام به وأوجب على البابا فى الفاتيكان أن يستقبله ويهدى إليه أعلى نيشان حينما قال فى كلمته : (إيماناً بما قام به من دور خطير لخدمة المسيحية مما لم يقم به الآباء الأولون) .

* * *

إنها حقائق كثيرة كشفت عنها ظاهرة سقوط الشيوعية فى مسقط رأسها بعد سبعين عاماً من الجرى ضد التيار ومقاومة الفطرةومعارضة حقائق العلم حيث حدثت أحداث لم تكن متخيلة أو يتصور حدوثها فى وقت قريب .

وعندما يسقط تمثال لينين وتمثال ماركس وتمثال ستالين وتدوسها الأقدام يبين كيف أن النفوس التى قهرت سنوات طويلة عادت لتعلن فساداً فرض عليها بقوة الحديد والنار ، كذلك سقطت راية المنجل والمطرقة.

وقد تأكد أن كل ما قاله كتّاب وفلاسفة ومشرعون خلال سبعين عاماً من مناهج وفلسفات وقوانين لها طابع العلم لم يكن فى الحقيقة إلا مراوغة خطيرة تردد أكاذيب مضللة خادعة ، فلم تكن الشيوعية هى المنهج الذى يحقق العدل الاجتماعى أو يقيم جنة الله فى الأرض .

ولكنه كان خدعةكبرى خدع بها شباب من قومنا تحت إغراء إباحة ما حرمته

الأديان ، حيث أباحت الشيوعية الخمر والزنا والجنس كله ، وكان يعتقد أنها بذلك ستنجح فى جذب من يرون فى الإسلام قيوداً على حياتهم تمنعهم من تحقيق شهوات النفس وقد دفعت هؤلاء النفر من دعاتها إلى إعْلان السخرية من الأديان واحتقارها وحربها .

استطاعت الماسونية (وهى فلسفة الصهيونية) أن تصنع منهجاً فكرياً خطيراً له حدان : هما الاشتراكية ، والقومية .. فهو فكر صهيونى أساسا ، قام على أساس الليبرالية والاشتراكية وامتزج تحت لواء الماسونية الصهيونية .

وهكذا زيف اليهود النظريات وطوعوا بعض العلوم لتعقيد النفوس وتحريف المجتمعات ، كما اتخذ ماركس من موضوع (رأس المال) أداة لتخريب العلاقات الإنسانية ، واتخذ فرويد من علم النفس أداة لتخريب النفوس ، وكذلك فعل ليفى شتراوس بنظرية النقد البنائى (البنيوية) وكما فعل آخر بنظرية الحداثة بهدف تدمير الثوابت الإسلامية وتفكيك الدين والتاريخ والتراث .

إلى غير هؤلاء من صناع الفلسفة المادية الذين آمن بهم زكى نجيب محمود ، ولويس عوض ، والجابرى ، والذين عمدوا إلى غرس بذور التفرقة والتحلل فى كيان المجتمع الإسلامى .

وعن طريق التبشير والاسشراق وضع الفكر الإسلامى فى دائرة التغريب وأخرج من الأصالة الإسلامية وأدخل فى الذوق والطابع والوجهة الغربية بأرضيتها اليهودية والمسيحية ، واليونانية والرومانية قديماً .

هذان التياران هما :التيار الصهيونى ، والتيار الماركسى ، كأنهما كانا على موعد بعد الحرب العالمية الثانية .

ولا ندهش حين نرى نهرو يتجه إلى الماركسية لأنه لا يملك كتاباً أو منهجاً غير خرافات الهندوكية والبوذية ولكن كيف يفعل ذلك عبد الناصر وسيكوتورى وسوكارنو .

* * *

لابد من البحث عن الجذور لمعرفة الحقائق :

هذا البحث يصل بنا إلى الترابط بين الثورة الفرنسية ١٨٧٩ ، والثورة الشيوعية ١٩١٧ م ، فقد قدمت الثورة الفرنسية (الأرضية الأساسية) لهدم الأديان والسيطرة على الأمة الإسلامية بدعوتها إلى الإلحاد باسم (التنوير) تحقيقاً لهدف الماسونية المعلن (حرية ـــ إخاء ـــ مساواة) وتحرير أوروبا من المسيحية وإقامة الدعوة العلمانية على مبدأ الفصل بين الدين والدولة وظهور أول نظام سياسى علمانى ـــ حتى استطاعت فى خلال أقل من أربعة عقود طرح مفهوم الشيوعية بإلغاء الدين نهائياً .

ولقد ناقش المؤرخون طويلاً حالة الشعب الفرنسى عقب ثورة فرنسا الكبرى ١٧٨٩ م ، وهل كانت أسوأ من حال الشعب فى أسبانيا أو البرتغال مثلاً ؟ .

واتفقت الأغلبية منهم عل أن حال الفرنسيين كان أفضل كثيراً من الشعوب المجاورة التى لم تنشب فيها الثورة ، ومن هذه الدراسات اقتنع المؤرخون (وفى مقدمتهم جوستاف لوبون) بأن عوامل الظلم والاستغلال والقهر لا تكفى وحدها لحث المظلومين على الانقضاض على ظالميهم ، وإنما لابد من إرهاصات متتابعة .

(وقد كانت ثورة الرقيق أو الزنج تستهدف استبدال العبيد لمواقعهم مع السادة ملاك العبيد) .

وقد تأكد اليوم فى جميع الدوائر التاريخية الغربية المنصفة (ما عدا كتابات اليهود والصهيونية صناع الأحداث) أن اليهود هم الذين صنعوا الثورة الفرنسية والثورة الروسية وأن الثورة الشيوعية تسمى فى الاتحاد السوفيتى بالثورة اليهودية .

فقد شاركوا فى الثورة الفرنسية وألهبوا الشعور الشعبى ضد الملكية المستبدة وشاركوا تحت عناوين الحرية والإخاء والمساواة أن يقتلوا أكثر من مليونى شخص فى أوروبا وحوض البحر المتوسط.

ثم ألغيت قيم المسيحية ، وأعلن تقديس العقل .

وهكذ انتقم اليهود من معذبيهم خلال القرون السابقة ـــ (قررت ذلك بالنص دائرة المعارف اليهودية) .

وثبت أن تحويل الثورة الذى شارك فيه ستة رجال من زعماء اليهود ذكرت أسماؤهم كما ذكر التاريخ أن وزير المالية للملك لويس السادس عشر كان يهودياً وهو الذى أغرق النظام بالديون .

وقال حكماء صهيون فى البروتوكول الثالث يخاطبون جمهورهم :

« تذكروا الثورة الفرنسية التى نسميها الكبرى » .

إن أسرار تنظيمها التمهيدى معروفة جيداً لأنها من صنع أيدينا ونحن من ذلك الحين نقود الأمم .

أما الثـورة الشيوعية ١٩١٧ م فإن يهود أمريكا قاموا بتمويلها ومن هؤلاء فيلكس ، وأوتود جيروم ، وماكس ، وشبات ، أما الزعماء الروس بعد كارل ماركس فهم لينين (وهو ربيب اليهود) وستالين وزوجته يهودية وتروتسكى وهو يهودى وكذلك كامنتف ومسوكوليكوف وزبيوفيف وشعـار الشيوعية : (لا إله ، والحيـاة مـادة) وأسلوبها الفذ هو القوة الحديدية ، ولا يعرف التاريخ شبيهاً لحمامات الدم التى جرت فى أرجاء العالم الشيوعى ، لقد كان هتلر من سلسلة الحكام المسيحيين الذين نكلوا باليهود على مدى التاريخ ، وقد ثار اليهود لأنفسهم باختراع الفلسفة المادية ومشاركة الناقمين فى ترويجها ومساندتها .

وقد انتقل اليهود الآن إلى الشرق الأوسط وظفروا بتكوين دولة لهم والأمور تتتابع إلى مستقبل أسود تسيل فيه الدماء أنهاراً واليهود من وراءه هذا البلاء الماحق .

* * *

عندما قدم الاتحاد السوفيتى الماركسية وضع فى هذا النظام كل مغريات البشر وكل سمومه ، فأباح الزنا ، وأباح الولد الحرام ، وأباح الخمر ، وأباح كل محرمات الأديان ، وكان يعتقد أنه بذلك سوف ينجح فى جذب عدد كبير من البشر الذين يرون فى الدين قيوداً على حياتهم تمنعهم من تحقيق شهوات النفس ولذلك انطلقت الشيوعية إلى العالم الثالث مستخدمة الجنس والتجسس والتصفية الجسدية وكل عمل حقير لتحقيق هدفها وهو السيطرة .

وكانت فى كل خطواتها حريصة على إعلان الكفر والسخرية من الأديان

وأعطاها الله تبارك وتعالى هذه الفرصة لتكون فتنة فى الأرض .

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة ...** ﴾

[الأنعام : ٤٤] .

وهكذا فتحت الأبواب على الشيوعية فضمت دول أوروبا الشرقية ، ونشأت إمبراطورية ، وتغلبت على ألمانيا النازية ودست كل الأكاذيب فى كتابة تاريخ بطولة زائفة وأخذت تستعمر بالمعونات دول العالم الثالث وتقيم الحروب وتسلح الناس ليقتل بعضهم بعضاً ولنشر الفتن فى أرجاء الأرض .

كل هذا لا يمكن أن يدوم لأن الحق ما دام قيماً على الباطل فإنه لا يستمر وسيكون انهياره يكون سريعاً ؛ وفى لحظة تفتتت أوروبا الشرقية ، وكانت هى الضربة الأولى ليعلم أن الباطل لا يدوم ، وجاءت الضربة الثانية فى الاتحاد السوفيتى نفسه ليبدأ الانهيار من الشيوعية ومن الكفر .

* * *

الاشــتراكيــة واليهــود

قالت الدكتورة تحية عبد العزيز إسماعيل فى كتابها (شرع الله والاشتراكية) : إن الفكر الاشتراكى فكر تجريبى يهودى ، فالأب الروحى للاشتراكية كان اليهودى كارل ماركس ، واليهودى الآخر تروتسكى ، والثالث بعيو ما شيف الذى قام بتمويل الحركة .

وفى مصر نعلم أن اليهودى هنرى كوريل هو الذى كان يمول الخلايا الشيوعية السرية فى بلادنا ، ويقوى شبابنا المخدوع بأفكاره ه وأن المجلس الشيوعى فى موسكو كان قوامه ٥٤٧ عضواً منهم ٤٤٧ من اليهود وأن اللجنة المركزية للحزب كان عددها ٣٨٨ منهم ٣٧١ يهودياً أى أكثر من ٩٥٪ من اليهود .

وأن الثورة البلشفية صادرت ثروات كل الأغنياء ما عدا اليهود ، وهدمت مساجد المسلمين وكنائس النصارى ، وحرمت الديانة الإسلامية والمسيحية ولكنها لم تقترب من الديانة اليهودية .

وما فعلته الاشتراكية أنها أشعلت الحقد الطبقى وجعلت كل الناس أعداء بعضهم لبعض ولم تصنع رخاء بل نزلت بالجميع إلى مستوى الفقر وجعلتهم عبيد لقمة عند الحاكم وما فعله الاشتراكيون كان صادراً لما جاء فى كتاب البروتوكولات ص ١٠١ :

(يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان ، ونجعل كل الأمم تحت أقدامنا) .

(بينما يقول اليهود : فإن زعماء مؤتمر كولورادو يقولون أخطر من هذا) .

وتتابع الدكتورة تحية أصابع اليهود فى صناعة الثورة الفرنسية وفى التحريض على الحروب الصليبية وفى التخطيط للثورة العلمانية فى تركيا ، وما كان من أتاتورك الذى قاد تلك الثورة وهو من اليهود الدونمة .

واليهود الدونمة هم اليهود الذين فروا من أسبانيا بسبب اضطهاد الكنيسة

الكاثوليكية ، ولجأوا إلى الخلافة العثمانية وتظاهروا باعتناق الإسلام وسكنوا جزيرة سالونيك ومنهم كمال أتاتورك ، وكان يكره الإسلام بحقد وتعصب ، فحّرم الأذان للصلاة ومنع دفن أئمة الدين فإذا مات أحدهم يظل مطروحاً على الأرض حتى يسرقه الأهالى خلسة ويدفنوه كما حّرم استعمال الحروف العربية واستبدلها بالحروف اللاتينية ونبذ الإسلام كدين رسمى للدولة وقتل الآلاف من الأتراك المسلمين وأودع الآلاف منهم السجون .

والإرهاب أسلوب ثابت فى البروتوكولات على النحو التالى :

١ ـــ إننا مختارون من الله لنحكم الأرض ولهذا أدخلوا فقرة فى التوراة تقول : (إن أى أرض تطؤها قدم يهودى تصبح ملك إسرائيل) .

وبما أن اليهود مشتتون فى العالم فهم يظنون أن كل أرض فى العالم كله يجب أن تكون ملكاً لهم .

وفى تعاليم التلمود : (تتميز أرواح اليهود عن باقى الأرواح بأنها جزء من الله أما باقى أرواح الناس فهى أرواح حيوانات) .

ويجوز لليهودى أن يشهد زوراً حسبما تقتضى مصلحته ، وقدحذف أحبار اليهود كل ذكر للجنة والنار والآخرة من التوراة واكتفوا بعبارة واحدة : (ومن يعمل صالحاً يعش طويلاً فى الدنيا) فالدنيا يجب أن تكون الهدف الوحيد لليهود والسيطرة على العالم حلم يهودى قديم .

والتوراة صكٌ ملكه فى تصور بنى إسرائيل وإسرئيل هو اسم النبى يعقوب فى القرآن وسلالته هم فى نَظَر الصهيونية الشعب الحالى لإسرائيل المرشح لأن يورثه الله الأرض ومن عليها .

وشعب إسرائيل اليوم ليس كلهم من ذرية يعقوب .

وتقول الدكتورة تحية : إن٢٠٪ فقط من شعب إسرائيل هم من ذرية يعقوب وثمانون فى المائة من اليهود اليوم هم من سلالة الخزر ، والخزر هم شعب من أصل مغولى آسيوى كانت مملكتهم على حدود الخلافة الإسلامية ، وكانوا وثنيين ، وقد حاربهم القائد المسلم محمد بن مروان فى عصر هشام بن عبد الملك ، وهزمهم ودخل عاصمتهم (أتيل) فما كان من الخزر إلا أن أعلنوا إسلامهم حتى لا يدخل الجيش بلادهم ، وحين رجع مروان ارتدوا عن الإسلام ، وكان إمبراطور بيزنطة

يحاول أن يدخلهم في المسيحية فرأى خان الخزر أن يترك الإسلام والمسيحية معاً ويدخل فى اليهودية وأعجبه ماتقوله التوراة من أن اليهود هم شعب الله المختار ، وأنهم أصحاب الحق فى حكم العالم .

وفى القرن الثالث عشر هاجمته الإمبراطورية الرومانية الشرقية من الغرب وروسيا من الشمال فتشتتوا فى بولندا وأوكرانيا ولتوانيا وباقى بلاد الأرض .

وهؤلاء الخزر يؤلفون الآن ٨٠٪ من شعب إسرائيل ، وهناك ١٠٪ من الفلاش ، ٧٪ أقلية دخلت اليهودية فى عصور مختلفة ومعنى ذلك أن ٩٧٪ من أعراق وسلالات لا تمت إلى يعقوب بصلة ..

﴿ **وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله..** ﴾ [البقرة : ٦١]
﴿ .. **وألقينا بينهم العداوة** ... ﴾ [المائدة: ٦٤] .

﴿ **وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب** ... ﴾ [الأعراف ١٦٧] .

٢ ــ ويقول الدكتور مصطفى محمود : هذا ما فعلته الاشتراكية فى ذمم الناس وفى أخلاقهم ، وكيف شجعت الفتنة وأبعدت الأكفاء واضطهدت الأمناء وسلمت البلاد للمصفقين والهتافين والمرتشين ، وأشاعت الخوف وباركت التملق وأخرست الألسنة وقصفت الأقلام .

لقد كان الحقد هو المنطلق لكل ما وقع تحت اسم الاشتراكية وتذويب الطبقات فإن الحصاد كان خراباً للكل وهو نفس ما حدث فى روسيا وما حدث فى أوروبا الشرقية وكمبوديا ، كوبا ، أنجولا ، موزنبيق ، وما حدث فى الجزائر، وليبيا ، وسوريا، والعراق ، ومصر ، والسودان ، والحبشة ، حيث جرت نفس السلسلة من الانهيارات فى الاقتصاد والصناعة والزراعة ، والتعليم والصحافة ، والثقافة ، والحريات العامة ، وحقوق الإنسان حينما ينفرد رجل واحد بالتحكم فى مصير الملايين ، وأصبح من لا يملك هو الذى يوزع العطايا على من لا يستحق .

* * *

البروتستانية واليهودية :

٣ ـــ ويقول: فوزى عبد القادر الفيشاوى عن علاقة البروتستانية ، واليهودية : إنه فى القرن السادس عشر : لم يكن يعرف وجود لأمة يهودية ، ولا عودة إلى فلسطين ، وأن اليهود قوم خادعون وهم قتلة المسيح .

(حاولوا قتله ، ولكنه لم يقتل ولم يصلب فى مفهوم الإسلام) .

وإنهم اقترفوا من الإثم ما استحقوا عليه الطرد من فلسطين إلى منفاهم فى بابل ، ثم استحقوا النفى والتشريد للمرة الثانية .

أما النبوءة المتعلقة بعودة اليهود فهى ليست إلا عودتهم من المنفى فى بابل حين أعادهم (قورش) إلى فِلسطين .

وكانت الكنيسة النصرانية تعتبر نفسها وريثاً للديانة العبرية .

والقرن السادس عشر هو القرن الذى جاء بالمبادىء البروتستانتية التى وضعتها حركة الإصلاح الدينى وجاء بها (مارتن لوثر) .

هذه الحركة هيأت الأرض الخصبة لشيوع الفكر الصهيونى فى العقل الغربى النصرانى ، وفسرت نصوص الكتاب المقدس تفسيراً حرفياً وأصبح ما يسمى العهد القديم دستورهم الأول ، وأصبح ما جاء فيه حول أرض الميعاد مسلمات عند البروتستانت وصار اليهود هم شعب الله المختار الذين يشجعون العودة إلى فلسطين ، وأصبحت أوروبا البروتستانتية مرتعاً خصباً لتعاليم اليهود وأساطيرهم وأصبحت جزءاً من طقوس عباداتهم وصلواتهم فى الكنائس ، فلا تجد شعباً لفلسطين غير اليهود ولا وطناً لليهود غير فلسطين، ولا تجد مملكة فى فلسطين غير مملكة داود.

ونشأ أدب يؤازر هذا (منها قصيدة ـــ ملتون الشاعر ـــ الفردوس المستعاد) . وفيها دعوة صريحة لعودة اليهود إلى فلسطين .

وفى الأدب الفرنسى موضوعات كثيرة من الرواية والشعر والمسرحية مغرقة فى رموزها العبرية والتوراتية ، ودلالاتها الصهيونية ، وأدباء عديدون أشاعوا فى أعمالهم الأدبية مسرحاً وشعراً أو رواية مبادىء وأساطير الحركة الصهيونية وزينوا بها نتاج قرائحهم بهدف أن يتشرب الناس فكرهم ويسرى فيهم مسرى الدم فى العروق .

وفى الأدب الفرنسى والأدب الألمانى تبشير بعودة اليهـــود إلى الأرض المقدسة (والترسكوت وإيفانهودو وليم ودرزورث) .

أما روبرت برداينج وجورج اليوت فيجعلان جل أهدافهما قضية العودة إلى فلسطين ، أما « عمانويل كنت » فيصف اليهـود بأنهم الفلسطينيون الذين يعيشون بيننا .

وهم دعاة حملة الإعداد لاحتلال فلسطين فى الغرب ، وهى حملة لها شقان أحدهما : رغبة الغرب فى التخلص من اليهود ، والإعجاب بشعب الله المختار ، ودعوة لجمع شتات اليهود (حتى عام ١٩١٧ حيث وعد بلفور) .

أما أبناء العم سام من النصارى البروتستانت فى أمريكا فقد حملوا البعث اليهودى وأمريكا هى كنعان الجبرية ، وأن الرواد الأمريكان قد فروا مثل العبرانيين من عبودية فرعون (الملك جيمس الأول ملك انجلترا) وفى سبيل تحقيق الهدف عملوا الآتى :

أولاً : أحرقوا دوائر المعارف لإلغاء الخزر ولإلغاء عروبة فلسطين .

ثانياً : أشاعوا فى الأدب الغربى مفاهيم الصهيونية وأساطير فى قصص وشعر وروايات حمل لواءها أدباء ومفكرون عديدون فى مقدمتهم ملتون فى الفردوس المستعاد .

* * *

أما فى أمريكا فقد عمد الرؤساء : هوفر ، روزفلت ، ترومان للعمل على التجسيد الحقيقى لليهودية فقد سار رؤساء أمريكا على طريق الولاء لتعاليم الصهيونية والإيمان بأساطيرها .

مقالة : (إقامة دولة يهودية فى فلسطين هو البرهان الواضح لتحقيق النبوءة التوراتية) .

وأعلن كارتر تأكيد ماردده من سبقه من رؤساء الولايات المتحدة من أن علاقة أمريكا بإسرائيل أكبر من مجرد علاقة ، هى علاقة لايمكن تقويضها لأنها متأصلة فى ديانة الشعب الأمريكى نفسه . قال : نحن نتقاسم معاً ميراث التوراة .

وعندما اختفى الغرب من الوطن العربى واستشرت الماركسية كان الغرب يعلم أن

الشيوعية ستهدم أكثر مما تبني وأنها سوف تحقق أهداف الغرب .

وعندما اعتقد العرب أن روسيا تستطيع أن تساعدهم في مواجهة إسرائيل ، كانوا غافلين عن الحقيقة التي تقرر أن الصهيونية والماركسيةشيء واحد أو أنها هي اليهودية الماسونية ذات الوجهين ، وصح ذلك في صفقات الأسلحة فقد أعطوا أسلحة الدفاع ولم يعطوا أسلحة الهجوم ولم تستطع المعاهدات مع روسيا أن تحقق أي نصر للعرب على إسرائيل بل على العكس حققت مراوغة تكشفت في انفجار النكسة ١٩٦٧ م .

فضلاً عن أن روسيا استطاعت أن تمد نفوذها إلى عدد من البلاد العربية وأن تسيطر على اقتصادها ومنهجها السياسي وتحولها إلى الماركسية (وهي مرحلة امتدت ١٩٦٢ ــ ١٩٧٣) حين سحب المصريون الخبراء الروس .

وكان الغرب يرى أن الشيوعية ليست أخطر من الإسلام .

وقال ديجول : إن الشيوعية مذهب اقتصادي اجتماعي فاشل وهو لا يشكل أي خطر لأننا نستطيع أن نقضي عليه بالقليل من الاصطلاحات العمالية والاقتصادية أما الإسلام فهو دين سماوي مرتبط بنظام حياة دنيوية وأخروية وأن المسلمين يهدفون إلى تعميقه في العالم بكل الوسائل المتاحة لهم ، ثم إن الاستشهاد في سبيل نشر العقيدة الإسلامية هي أسمى أماني كل مسلم ومن هنا يكون الإسلام أشد خطراً من الشيوعية .

وقد امتد الصراع على العالم الإسلامي بين الغرب الرأسمالي ، وروسيا الشيوعية من : (١٩١٧ م ــ ١٩٩٠ م) .

وقد قاسى العرب والمسلمون من كلتا التجربتين : الرأسمالية ، والماركسية وانتهت كلتاهما إلى الفشل فلم تستطع إحداهما أن تحقق للأمة الإسلامية أي قدر من إقامة المجتمع السليم .

وكلا المذهبين خدع الناس على امتداد الكرة الأرضية :

المذهب الليبرالي الغربي : خدع الناس بالديمقراطية والحرية

والمذهب الماركسي : خدع الناس بالعدل الاجتماعي ، وتغليب الجماعية على الفردية تحت اسم الاشتراكية .

وكانت هذه الأسماء البراقة تخفى وراءها أحقاداً هائلة ورغبة طامحة إلى نهب ثروات الشعوب لإقامة إمبراطوريات كبرى تسيطر على الحكومات والقادة بما تملك من قدرات ضخمة فى مجال تجارة السلاح والمخدرات وملوك البترول .

ولا يزال هناك كثير من العلاقات الخفية بين الأجهزة الشيوعية التى تسيطر على مقدرات الاتحاد السوفيتى وحركة الشيوعية العالمية وبين العديد من الشخصيات والزعامات والأحزاب السياسية فى العالم الثالث لم يزح عنها الستار بعد .

وأغلب الظن أن ما تسرب منها حتى الآن ليس غير قطرة من بحر من الأسرار والخفايا والفضائح التى قد تلوث سمعة الكثيرين فى عالم السياسة والمال والصحافة ، كثير من الشخصيات السياسية المعروفة فى الوطن العربى ، وكذلك الأحزاب الشيوعية واليسارية التى كانت تتلقى تعليماتها من موسكو ظلت ترتبط بعلاقات وثيقة حتى وقت قريب .

* * *

عبرة سقوط الشيوعية
وصراع الثقافات العالمية

سقطت الماركسية ، وبقى تأثير فكرها من خلال العلمانية ، ومن خلال التفسير المادى للتاريخ ، ومن خلال نظرية دارون (احتقار الإنسان) ومن خلال الثورة على كل القيم والثوابت والدين والأخلاق .

سقطت الماركسية ولكن التنظير المادى القائم على وضع المجتمع فى مواجهة الفرد ما زال يحكم كثيراً من القضايا .. وليس معنى قبول الشيوعيين بالاقتصاد الحر مما يؤثر فى نظرتهم إلى التفسير المادى للتاريخ .

يجب أن نكون واعين أن سقوط الشيوعية ليس معناه صلاحية النظام الرأسمالى أو استمرار بقائه أو العمل على الخضوع له ، فإن النظام الشيوعى لم يكن إلا قطاعاً من النظام العالمى الذى يهتز منذ وقت بعيد ، والذى تأكد عجزه عن العطاء السليم للمجتمع البرىء .

ولا يزال الغرب من خلال النظام الرأسمالى يعانى أخطاراً كبيرة لا تتوقف ، ولم يتوقف منذ وقت طويل ، غير أن سقوط النظام الشيوعى الذى جاء لتصحيح النظام الرأسمالى يؤكد فساد النظام الأساسى وتعريضه للسقوط فى أية لحظة ؛ فهو من خلال الاقتصاد يقاسى ويلات وتناقضات لا حد لها وهى تناقضات متفجرة ، هذا فضلاً عن التحلل الاجتماعى المروع من خلال المخدرات والكحول والإباحية والفساد وتفسخ الأسرة وغيض الأرحام .

ومن هنا فإن الديمقراطية الغربية ليست بديلاً للماركسية أبداً ولن تكون وعلى المسلمين أن يتوقعوا سقوطها فى الغرب.

وأن على المسلمين أن يبحثوا عن طريق آمن ، وليس هذا الطريق سوى الإسلام بمفهومه الجامع الأصيل ، بعيداً عن الجمود أو الانحراف ومن خلال الإيمان بالله تبارك وتعالى ، والعمل الدائب القادر على تحقيق المستويات المرتفعة من الموارد .

ولابد أن يتجاوز المسلمون عن المفاهيم التى خضعوا لها فى العقود الأخيرة بعد تفشى روح الماركسية والاتكال على الدولة والانصراف عن العمل الجاد .

* * *

إن هناك اليوم بعد سقوط الشيوعية صراعاً جديداً ، صراع الثقافات العالمية والفلسفة المادية ، وغلبة المفاهيم التلمودية التى رسمها فى العصر الحديث : الماسونية والبروتوكولات .

نعم : سقطت الماركسية ولكن لم تسقط المادية بعد ، ولا يزال التنظير المادى القائم على وضع المجتمع فى مواجهة الفرد ، يحكم كثيراً من القضايا ، ولكن معنى قبول الاقتصاد الحر أن يغيروا نظرتهم إلى التفسير المادى للتاريخ .

فهناك الاستعلاء الفرنسى بالفرنكفونية والعمل على نشرها واستقطاب بعض قادة البلاد العربية .

وهناك الخطر الأكبر فى الاستعلاء بالجنس والدم والعرق وحرية الكشف والإباحية والدعوة إلى وحدة الأديان وإلغاء المسئولية الفردية ومؤامرة الحوار ومؤامرة الإبراهيمية .

أما فى محيطنا الإسلامى فهناك إحياء للفرق القديمة والتسشكيك فى الشريعة

وتطبيقاتها ، وتحريف القرآن والسنة والسيرة والتاريخ ، ومحاولة القضاء على مفهوم أهل السنة والجماعة وإحياء الفكر القومى والأقليات والطائفيات .

لقد حاول البعض بعد سقوط الشيوعية فتح الباب أمام التبشير المسيحى ومن ورائه الصهيونية التى تعمل على محاربة الإسلام والحد من نفوذه من خلال رواسب الحقد المسيحى واليهودى القديم .

وقد قام الفكر الماركسى أساساً على إنكار الدين جملة ، ويرى أنه أفيون الشعوب ، وينكر الألوهية والغيب ولا يقر إلا المحسوس والملموس ، ومن ثم يصدر عن الفكر المادى والفلسفة المادية أساسا مع إنكار البعث والجزاء والغيب والوحى جميعاً .

وبذلك قدم الفكر الماركسى منطلقاً للإلحاد وهدم مصادر الفطرة ومعارضة العلم والأصول المقررة للطبيعة والحياة والحضارة والاجتماع .

وترى الماركسية أن هدم الدين والقيم الأخلاقية هو المنطلق الأساسى لقيامها .

وقد وضعت الماركسية نظاماً اقتصادياً يقوم على أساس ملكية الدولة لكل شىء ولا يكون الإنسان فيها إلا ترساً فى آلة .

كما وضعت الماركسية قاعدة (الصراع الطبقى) وإشعال نار الخلاف بين طبقات المجتمع على نحو يمكن لقيادات الحزب الشيوعى من السيطرة الكاملة .

كما استمدت الماركسية مفاهيمها وفلسفتها من منطلقات مضطربة كالمادية الجدلية ، والتفسير المادى للتاريخ وهى تقوم قى الثقافة والأدب والمسرح والفن على إعلاء الطبقة العامة وهدم الطبقات الأخرى ، وتنطلق الماركسية من دعاوى زائفة بإقامة جنة الله فى الأرض .

وقد قامت مع الماركسية القوى اليهودية والصهيونية باعتبارها مرحلة متقدمة على طريق إقامة إمبراطورية الربا العالمية .

ولقد ظل دعاة الماركسية أشد الناس جدلاً وتعصباً ومبالغة فى ادعاء استعمال المنهج العلمى والمنهجية بباطل عريض لا يستند إلا إلى اعتبارات رديئة مدانة واستعلاء باطل وضلال مبين ، وما زالت تلك دعواهم حتى بعد أن انهارت الشيوعية فما آبوا إلى الحق ، ولا آثروا الطريق الصحيح ، ولكنهم ما زالوا يمعنون فى مقولات باطلة وهم يعلمون فى أعماق نفوسهم أنهم إنما يدافعون عن الباطل .

ولقد خدعهم الداعون من اليهود ، من أمثال (هنرى كوريل) وغيره وزينوا لهم الوسائل والوسائط والأساليب الخادعة لأن يكونوا قادة هذا النظام فى بلادهم وفتحوا لهم أبواب الرحلة إلى بلاد المنجل والمطرقة وقدموا لها سير هؤلاء الطغاة المظلمة فى صورة البطولة حتى قال أحدهم عندما مات ستالين :

(طبت حياً وطبت ميتاً يا رفيق) .

على نحو ما قال الصديق أبوبكر للرسول ﷺ وهو مسجى على فراش الموت .

وهذا هو التمويه فى أشد صوره عنفاً وقساوة .

* * *

تركزت الشيوعية فى روسيا بتاريخها المثقل بأوزار الظلم والفساد من روسيا البيزنطية إلى روسيا القيصرية إلى روسيا الشيوعية وبسط القياصرة سيطرتهم على أجزاء شاسعة من أوروبا الشرقية حيث قاموا بضم الجمهوريات الإسلامية بالقوة ، إلى غزو أفغانستان ١٩٧٩م إلى المذبحة الرهيبة لمسلمى أذربيجان .

ولم يكن شيوعيو روسيا أقل من أسلافهم فى مطامع الاستعمار والتوسع والتسلط ، وكان القياصرة أشد عنفاً على الدولة العثمانية وفى السيطرة على منطقة آسيا الوسطى التى تمثل الآن الجمهوريات الإسلامية الخمس .

وبعد الحرب العالمية الثانية انقسم النفوذ بين أمريكا وروسيا فسيطرت روسيا على شرق أوروبا ، وسيطرت أمريكا على غرب أوروبا وقسمت ألمانيا إلى قسمين وقام حلف الأطنطى وحلف وارسو .

وكان ظهور الفكر الاشتراكى فى الدول الغربية يمثل المجتمع المتكافئ الذى كانوا ينشدونه والمتمثل فى قصص توماس مور وكاميلاتا وقورنيه .

وكان انتصار الثورة الفرنسية فى أواخر القرن ١٨ إيذاناً بعهد جديد سادت فيه المادية الصهيونية ، كرد فعل على تراجع الكنيسة وظهرت دعوات الماركسية والشيوعية كوسيلة للقضاء على النظام الإقطاعى والرأسمالى لصالح الطبقات الفقيرة.

وجاء ماركس فاختط لنفسه دعوة اشتراكية جديدة سماها الاشتراكية العلمية المادية وبلور أفكاره فى (البيان الاشتراكى) فى بروكسل ١٨٤٨ وبنى مذهبه المادى على أسس أهمها :

١ ـــ لا وجود لفكرة الله (جل شأن الله) .

٢ ـــ المادية الجدلية تعنى الصراع بين الظواهر المادية .

٣ ـــ المادية التاريخية (وتعنى لا وجود ولا أثر للفكر الدينى) .

٤ ـــ إلغاء الملكية الفردية

وأخطأت نبوءات ماركس :

١ـــ فلم تظهر الشيوعية فى بلد صناعى كما زعم ماركس وظهرت فى بلد زراعى .

٢ ـــ لم تتصاعد المتناقضات فى المجتمع الرأسمالى وتؤدى إلى الإفلاس والخراب الذى عشش فى مخيلة ماركس .

٣ ـــ لم تفلح الاشتراكية فى إشباع رغبات الإنسان المادية (بل تنكرت للجانب الروحى فى حياة الإنسان) .

وبدأت الدعوة إلى الاشتراكية فى الدول الأوروبية وظهرت كرد فعل لتعاون الكنيسة مع طبقات الإقطاع بقصد التحكم والسيطرة على موارد البلاد .

وكانت روسيا أول المعترفين بإسرائيل ١٩٤٨ وأمدت أمريكا إسرائيل بالسلاح وأمدتها روسيا بالعنصر البشرى والمادى .

وقد لعبت الهجرات التى وفدت من روسيا ودول أوروبا الشرقية وبولندا بالذات دوراً كبيراً فى تثبيت أقدام اليهود فى فلسطين ، وشكل يهود روسيا وشرق أوروبا المادة البشرية الفعالة لعملية الاستيطان اليهودى فى فلسطين .

وشكل المهاجرن اليهود الروس طليعة الصهيونية والاشتراكية ، وخرج من صفوفهم الرواد الأوائل(بن جوريون وليفى أشكول) .

وكان يهود روسيا هم العمود الفقرى للكيان اليهوى فى فلسطين عند قيام الحركة ولا يقل الدور الذى قامت به روسيا ودول أوروبا الشرقية فى زرع الكيان الصهيونى فى المنطقة العربية أثراً عن الدور الذى قامت به أمريكا .

* * *

ويمثل العداء للإسلام قاسماً مشتركاً بين الرأسمالية والاشتراكية والشرق والغرب فهما وجهان لعملة واحدة .

ونبعت الشيوعية والإلحاد معاً من مادة الغرب الرأسمالى وكلاهما من صنع اليهود وكلاهما لا يسمح بقيام مشروع إسلامى .

وفى عهد جورباتشوف اختفى مصطلح (الإمبريالية) من القاموس السياسى ولم يدفن جورباتشوف أعداء الاشتراكية ولم يعتبر الاتحاد السوفيتى إمبراطورية الشر ولم تعد روسيا ملحدة لأن جورباتشوف تم تعميده فى طفولته وفقاً لتقاليد الأسر النصرانية وقد زار إحدى الكنائس فى مدينة كراكوف البولندية واجتمع برجال الكنيسة وبالمصلين وأقيم قداس دينى بكاتدرائية الصمود بمبنى الكرملين وهو أول قداس من نوعه منذ عام ١٩١٧ م .

واحتفل الاتحاد السوفيتى بالعيد الألفى لدخول النصرانية الأرثوذكسية روسيا ، وقررت وزارة التعليم السوفيتية إلغاء تدريس الماركسية فى الجامعات ولم يسمح بإقامة تماثيل فى ذكرى مولد لينين ورد الاعتبار للآباء الذين اتهمهم الحزب الشيوعى بالرجعية .

وهكذا فشلت النظرية الماركسية فى مواكبة تطورات العصر وأخفقت الأحزاب الشيوعية فى فهم الواقع ، ولم تشبع الاشتراكية رغبات الإنسان المادية فضلاً عن تدميرها الجانب الروحى فى الإنسان ، وبعد سبعين عاماً سقط تمثال لينين وتحطم المنجل والمطرقة ونقل من ألبانثيون .

ويعد لينين مقنن الشيوعية الأول بعد ماركس حيث سميت باسمه : (الماركسية) ولقد قامت الثورات خلال تلك الحقبة الماضية حول ستالين وخورشوف وغيرهما ولكنها لم تكن تصل إلى « لينين » أبداً ، ذلك المسجى فى ذلك المبنى الشاهق والذى لا تنقطع طوابير زيارته ليلاً أو نهاراً ، وتظل الجموع تحج إليه دون انقطاع .

أما اليوم فقد رفع اسمه حتى عن المدينة التى سميت به (ليننجراد) فعادت إلى اسمها القديم (سانت بطرس برج) كما تقرر نقل رفاته من داخل التابوت الزجاجى والمزار السياحى والسياسى والعقائدى ، وكذلك الأمر بالنسبة إلى رموز الثورة

الشيوعية حيث جرى نبش الماضى وتدمير تلك الرموز حيث رفع اسم مكسيم جوركى من على الشارع الشهير الذى يحمل اسمه بالعاصمة موسكو .

أما جوزيف ستالين الذى قتل الملايين فقد قُدِّمَ الآن فى فيلم وثائقى كشخص مجنون كان يعانى آخر أيامه من اضطراب نفسى وعقلى وحالة خوف دائمة حتى من أقرب معاونيه ، وأنه قتل زوجته أثناء حالة الاضطراب خوفاً منها ، وكانت تعليماته إلى معاونيه بعدم الدخول عليه فى غرفته التى انعزل فيها عن العالم طوال السنتين الأخيرتين من حياته حيث تلقى له وجبات الطعام من خلال فتحة فى الباب المؤدى إلى غرفته ، وقد تخوف المرافقون له من فتح الباب عليه بعد انقضاء يومين لم يطلب فيهما أى طعام حتى لا يقتلهم ، وعندما تجرأ أحدهم ودخل الغرفة وجد ستالين فى حالة تعفن .

هكذا تعاد كتابة التاريخ فى روسيا : تاريخ الثورة الشيوعية الدامية كما اتهم زعيم الثورة (لينين) بأن كان مغرماً بمعاشرة النساء الساقطات ، وأن السبب الحقيقى وراء موته يرجع إلى إصابته بمرض الزهرى .

* * *

وتقول دراسة فى صحف موسكو نقلها أحمد الحصرى : إن قادة الثورة إما مجانين أو مصابون بالشذوذ ولم يكن يحركهم إلا الطموح إلى السلطة وتكاد تكون حرب التماثيل هى أغرب حرب عرفتها الشعوب حتى يتسابق المواطنون إلى تحطيم تماثيل لينين ورفاقه خاصة فى عاصمة الثورة وتتواصل الحملة ضد رموز الشيوعية فى البلدان الأخرى .

* * *

المسمار الأخير

حاولت روسيا نشر الشيوعية والاشتراكية ودعمت أحزاباً لها فى أقطار مختلفة وناصرت حركات تحررية ودخلت مع أمريكا والغرب فى صراع وحروب باردة وتنافس التسليح وغزو الفضاء فسارع ذلك بانهيارها الاقتصادى ، وكان الجهاد الأفغانى بداية نهايتها حتى كانت مقاومة الشعب الأفغانى البطل واستشهاد مليون ونصف مليون شهيد مما أجبر الجيش الأحمر رغم تعدد أسلحته على الانسحاب مخذولاً وضاعت هيبة روسيا عند الشعوب التى ترزح تحت حكمها وأسرع جورباتشوف بإنقاذ البلاد من الانهيار وإن كان ذلك جاء متأخراً .

وخضعت روسيا إلى حد كبير لسيطرة أوروبا ، وبدأت الدول التى رزحت تحت الحكم الشيوعى تطالب بالاستقلال وبدأ الناس يعودون إلى عقائدهم الدينية مسلمين ومسيحيين وسمح للأفراد بنوع من التملك الفردى وسارت الدولة تدريجياً نحو النظام الغربى .

وتصدعت الأحزاب الشيوعية فى البلاد المختلفة وتهاوى البناء وتصدع ، وهكذا الدول التى تقوم على القهر والظلم وحكم الفرد أو الحزب الواحد لن تدوم طويلاً .

وطمعت الدول الغربية أنها ستنفرد بالسلطة ، ولكنا نقول : إن يوم انهيار الغرب آت لا ريب فيه ، فليس لدى الغرب مقومات حقيقية لاستمرار البناء فالحضارات المادية لاتكفى وتلك سنة الله تبارك وتعالى فى الأمم ، وإن الظلم الذى يمارسه الغرب ضد الإسلام والمسلمين ومساندته للصهيونية سيكون من أهم أسباب انهيارها .

لم تكتف الماركسية بتهميش الدين وإبعاد دوره وأثره عن حياة المجتمع فقد قامت على فلسفة مادية صريحة تنفى تماما مسألة الإيمان بالله تبارك وتعالى والغيب، وهى لم تكتف بمحاولة إبعاد الدين وتجاهله ولكنها أعلنت عليه حرباً صريحة ودموية .

فكانت النظرية المادية والإلحادية منطلقاً عبر منه ماركس إلى مختلف مجالات الاجتماع والاقتصاد المختلفة .

وبالتالى أصبحت الماركسية أول بناء نظرى متكامل يتحدى المفهوم الإسلامى الشامل والمعارض .

لقد تحولت الماركسية عند أصحابها إلى دين جديد .

وكانت الشيوعية تتكلم عن وحدة البشرية بدون تفرقة على أساس اللون أو اللسان إلا أن العقيدة الكافرة سرعان ما ينكشف زيفها فقد ثبت أن عبادة الطبيعة أو الدنيا أو الإنسان بدلاً من الله الواحد الأحد لا يورث إلا الخواء السياسى والدمار .

لقد اكتسبت الماركسية اللينينية سمت العقيدة المقدسة حين شكلوا بناءً كاملاً ، ولكن ثبت أن البناء العقيدى لا يقوم على أساس صحيح إذ يثبت أن العقيدة زائفة وإلهها زائف ، قد انهار تماماً كل من كان يؤمن بهذه المقدسات ويضحى فى سبيل ما يدعون إليه .

لقد ثارت الشكوك حول عقيدتهم المقدسة منذ سنوات بعيدة ولكنها بلغت ضربة كاشفة قاضية على يد جورباتشوف فانهار المجتمع كله بانهيار الأساس الذى قام عليه النظام رغم كل ما يملكه من أسلحة وموارد وكفايات .

لقد انهارت المناعة من جسد الأمة تماماً وثبت أن السوس كان ينخر فى كل شىء ولم تنج من ذلك أى مجموعة أو مؤسسة حتى العسكريين .

* * *

لقد كشفت تجربة سقوط الشيوعية بعد سبعين عاماً مجموعة من الحقائق :

أولاً : أكدت السنوات السبعون فشل هذا النظام الاقتصادى الذى حول أن يشكل منهجاً عالمياً يشمل كل جوانب الحياة ويحل محل الأديان المنزلة .

وقد سقطت هذه النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية لأنها ملفقة ولأنها عجزت عن العطاء .

* * *

لحق : غروب شمس الشيوعية

جاءت الذكرى الثالثة والسبعون للثورة البلشفية وسط انهيار شامل لجميع الأسس التى قامت عليها الثورة وقد تفكك الاتحاد السوفيتى الذى يدعى السيادة على سدس الكرة الأرضية ، كما تحللت الروابط السياسية والاقتصادية والثقافية بين المركز ومحيط الدائرة وبين الجمهوريات حتى داخل القلب الروسى .

وقد تم إنهاء الطابع الروسى واعتماد اللغة القومية المحلية باعتبارها اللغة الرسمية فى السياسة والأعمال الاقتصادية .

وتبين أن هناك ٤٠ مليون مواطن سوفيتى فقير .

وظهرت رسائل متزايدة العدد تكشف عن الظلم الاجتماعى فى الاتحاد السوفيتى والحاجة إلى شراء الطعام والدواء .

هذا إلى جانب جرائم القتل العمد والاغتصاب وحوادث السطو على البيوت التى زادت بشكل ملحوظ إلى ظاهرة الإدمان على الكحول حيث تقف صفوف طويلة أمام محلات الخمور وكان قد قتل ١٥ ألف سوفيتى فى أفغانستان و ٤٥ ألف سوفيتى انتحروا عام ١٩٨٧ .

أما مشكلة الانتحار فى الاتحاد السوفيتى فهى ذات دلالة عميقة على الأزمة الأخلاقية والاجتماعية التى يعيشها المواطن .

أما الإجهاض (فهناك سبعة ملايين حالة عام ١٩٨٨) .

والآن يجرى التحول من الصراع الأيديولوجى بين الماركسية والرأسمالية إلى الصراع بين القوميات والنزاع العرقى .

وقد تمزقت روسيا إلى قوميات تتصارع وقد دمرتها الشيوعية خلال سبعين عاماً وستدمرها الحركات القومية إلى الأبد .

ويرجع هذا إلى المؤامرة التى قام بها الاتحاد السوفيتى بنقل أناس من أهلها إلى مناطق أخرى ، ونقل الآخرين مما أحدث خلخلة شديدة فى الوحدة السكانية والولاء القومى .

* * *

وكانت المبالغة والمغالاة فى ادعاء القداسة للمنهج وعنف التطبيق ودمويته وقساوته .

ثانياً : إن استهواء الشيوعية لمئات الملايين من البشر خلال سبعين سنة ثم تحللهم منها يؤكد للعقل الإنسانى حاجته الممتدة لهداية الوحى الإلهى ومدى الضلال الذى يمكن أن ينحدر إليه الإنسان إذا انتابه الغرور وقطع صلته بأسباب السماء تصديقاً لقوله تعالى : ﴿ **إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى** ﴾ [العلق : ٦ ، ٧] .

ثالثاً : حذر البابا من عودة الإلحاد فى ثوب جديد .

فالخطر أن تستبدل الماركسية بنوع جديد من الإلحاد بعد تدمير جذور الأخلاق الإنسانية والمبادئ المسيحية .

وقال : إن فشل الشيوعية لا يعنى سيطرة الرأسمالية الجشعة على حساب العمال والطبقات الفقيرة وغلبة الميل للترف والاحتكار والاستهلاك المتقلب .

رابعاً : قامت الشيوعية أساساً على الإلحاد ورفض الأديان واعتبرت الإنسان مركز الكون ومحور الخليقة ولم يكتف أحد فلاسفتها (فيوربح) بإنكار وجود الله وإنما حاول أن يرد كل الصفات الإلهية للأديان ودعا انجلز وماركس إلى تحرير الإنسان من الخرافات الدينية والتحكم فى برامج التعليم والإعلام والدعاية العامة وفرض تدريس الإلحاد وهدم الكنائس والمساجد .

كما استباحت حرمات الإنسان الأساسية على صورة لم تسبق من قبل .

خامساً : أكد توينبى أن العلم يستحيل أن يحل محل الدين على الإطلاق وأن دور الدين ليس له بديل فى إصلاح الإنسان فرداً أو جماعة .

ومما يدعو إلى الأمل فشل الأيديولوجيات الشيوعية والنزعات العنصرية ، ونهاية

الفاشية حيث لم يبق على الساحة العالمية إلا العنصرية الصهيونية التى تحاول أن تثبت كيانها ضد منطق الزمن وتيار التاريخ .

سادساً : لقد جاء سقوط الماركسية مقروناً بالاعتراف بعجزها الكامل الشامل عن تقديم تصور لنظام إنسانى للتقدم والتطور .

وجاء سقوطها مرتبطاً بالتخلف الاقتصادى والحضارى .

وكانت صلاحيتها مرتبطة بقدرة النظام الحاكم على قهر الشعوب بأبشع الأساليب الدكتاتورية المقيدة للحريات الإنسانية فى الوقت الذى تتمتع فيه كوادر الحزب الشيوعى بامتيازات الحياة والعمل والسكن والعلاج والنفـــوذ والسلطات مما لا يتمتع به باقى الشعب .

* * *

الباب الثالث

الإسلام بعد سقوط الأيديولوجيات

بدأ الفكر الغربى الانفصال عن الكنيسة والفكر المسيحى بالدعوة إلى ما سمى (التنوير) الذى قادته جماعة الموسوعة (روسو وديدو و فولتير) فى محاولة لتقديم مفهوم الفلسفة المادية التى تفكر وتعترض وترفض مفهوم الدين والألوهية بصفة عامة وتضع بدلاً منه مفهوم الطبيعة والمحسوس والعقل كبدائل للوحى والعقيدة ، وكانت الثورة الفرنسية علامة على نجاح اتجاه العلمانية الذى حمل لواءه اليهود فى مخطط مرسوم للقضاء على الوحدة المسيحية الغربية من خلال تنظيم الماسونية ومخططات بروتوكولات صهيون وتدمير الكنيسة ثم إسقاط الخلافة الإسلامية وصولاً إلى القدس لإقامة هيكل سليمان بديلاً عن المسجد الأقصى .

وحمل اليهود لواء النظام الاقتصادى المسيطر على العالم كله نظام (الرأسمالية والليبرالية) من خلال مخطط رسمه يهودى هو روبرت أوين ثم صنعوا (الشيوعية الاشتراكية) كتفريع للرأسمالية لإقامة حلبة الصراع بين المذهبين وتقسيم البشرية إلى معسكرين وهو الذى امتد سبعين عاماً قبل أن تسقط الماركسية عام ١٩٩٠ .

كان الفكر الغربى الرأسمالى الليبرالى يحمل طابع الديمقراطية والاقتصاد الحر ويقيم قواعد هدامة للدين بوصفه المعلم الأصيل للبشرية كلها من خلال اليهودية والمسيحية والإسلام .

وكان قوام الفكر الغربى فى هذه المرحلة بعد أن انفصل عن المسيحية : الإلحاد والإباحية والاستعلاء على الألوهية وإنكار الغيب والبعث والاستغناء عن توجيه السماء .

وقد تم ذلك فى مراحل متعددة امتدت عدة عقود ظهر من خلالها التصور الماركسى الاشتراكى الذى استطاع أن يسيطر عام ١٩١٧ م بإقامة نظام سياسى فى روسيا .

وقد قيل فى هذا الصدد : إن النظام الغربى وضع أساس الحرية الفردية ثم جاء

النظام الماركسى لإرساء الحرية والعدالة الاجتماعية وكان صاحب منهج النظام الماركسى يهوديا : هو ماركس ومنفذه يهودياً أيضاً هو لينين ولذلك أطلق عليه: الماركسية اللينينية .

وكانت الماركسية خطوة متقدمة إلى الأمام على طريق الإلحاد والإباحية وإنكار الغيب والبعث تصل إلى مرحلة العنف وفرض المنهج بالقوة وكان أخطر ما حملته إلى البشرية من عوامل التدمير : الفكرة المسمومة المعروفة بالصراع الطبقى .

ولما كانت الماركسية مرحلة تالية للرأسمالية ورد فعل لها فهى جزء من الفكر الغربى لم تكن منفصلة أو معترضة أو مضادة ، ولكنها كانت خطوة على طريق هدم الدين جملة عن طريق سيطرة الإنسان وإنكاره وجود الخالق واندفاعه إلى الأمام فى قوة للتدمير .

ومن هنا فقد تقارب المذهبان وتكونت مفاهيم كثيرة مشتركة فى الاجتماع والسياسة والتربية .

وإن بقى منهج الرأسمالية منفصلاً عن منهج الماركسية فى مجال الاقتصاد بين الاقتصاد الحر والاقتصاد الموجه .

ولكن كثيراً مما وضعه الفكر الاشتراكى أصبح عملاً مشتركاً من وجه من الوجوه، خاصة فيما يتعلق بإنكار تكامل الإنسان روحاً ومادة فمذاهب الأدب وعلم النفس والاجتماع كلها تقوم على التفسير المادى أساساً وفى مقدمة ذلك التفسير المادى للتاريخ .

كما أصبح التصور النفسى لفرويد ومفاهيم دوركايم وسارتر كلها مفاهيم عامة تكاد تمثل خطوة متقدمة إلى أعلى درجات الإلحاد والإباحية والتنكر للخالق والغيب والبعث والجزاء .

وبالجملة فإن (العلمانية) اليوم تمثل أساساً للفكر الغربى بشطريه ، ذلك لأن الفلسفة المادية التى هى قاعدة الأساس للرأسمالية والماركسية مستمدة من مفهوم التلمود والماسونية والبروتوكولات وهى تقوم على مصدر أساسى هو فصل الدين عن الدولة وإقامة الحياة على غير الدين سواء بالنسبة للأمة أو بالنسبة للفرد .

فالعلمانية اسم مشترك بين المذهبين يقوم على أن الدين علاقة خاصة بين الإنسان وخالقه ، بحيث لا يكون لهذه العلاقة أى تأثير فى شئون الحياة والمجتمع وقد يكون هذا مقبولاً بالنسبة لليهودية والمسيحية ، ولكنه ليس مقبولاً بالنسبة للإسلام

الذى يقوم أساسه الأول على أنه منهج حياة ونظام مجتمع وأنه ينظم كل العلاقات الفردية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية جميعاً .

وفى الإسلام شريعة منزلة من الله تبارك وتعالى تطبق بواسطة المسلم وتتسع لاجتهادات المجتهدين ولمتغيرات العصور والبيئات فى نظام دقيق جامع بين الثوابت والمتغيرات .

أما فى العلمانية فإن الأمة هى مصدر التشريع .

فضلاً عن مفهوم النسبية الأخلاقية التى ترى أن أخلاق أمة وأخلاق عصر تختلف مع أخلاق عصر وأمة أخرى ، أما الإسلام فيجعل الأخلاق من الثوابت كالدين تماماً .

ولا ريب فى أن نظام العلمانية قد تشكل فى ظرف معين فى الغرب بعد اختلاف العلماء مع رجال الدين فى محاولة للتحرر من نفوذ الكنيسة والمسيحية الغربية التى لم تكن المسيحية المنزلة .

ولكن هذا الخطر الذى أرق الفكر الغربى سنوات طويلة انعكس على الفكر الإسلامى بغير موجب له ، حيث كان الإسلام منذ الكلمة الأولى له منهج حياة ونظام مجتمع .

إن ظاهرة العلمانية هى حجر الأساس فى الفكر الغربى الحديث الذى تشكلت منه الفلسفات المادية والليبرالية والماركسية جميعاً وهو من صناعة اليهود الذين بدأوه أساساً لهدم المسيحية ولتحرير مجتمعهم من الأحكام القاسية التى فرضتها الكنيسة فى أوروبا وتمكينهم من السيطرة على الفكر والفن والصحافة والسياسة .

ومن خلال هذا التصور الجديد بدأت كتابة تاريخ أوروبا فى ضوء العلمانية التى تمثل هزيمة المسيحية والكنيسة والدين جميعاً ، وسيطرة الفلسفة المادية التى قادها رجال الفكر اليهودى من خلال العلوم الإنسانية والاجتماعية (النفس ـــ الاجتماع ـــ الاقتصاد) من خلال فرويد ودوركايم وماركس .

يرمى هذا التيار من العلمانية ومن الفلسفة المادية إلى الماسونية وهدم المفهوم الدينى جملة وتحرير الفكر الغربى من سيطرة الدين باعتباره روحياً وغيبياً ومسئولية فردية وجزاء أخروياً .

وجاءت الماركسية لتمهد لسيطرة المادة جملة وإنكار ما سوى ذلك حيث تقوم

العلمانية على الفصل التام بين عالم الأرض وبين السماء بمعنى الفصل بين شئون الحياة الدنيا وبين الدين من ناحية والفصل بين الدنيا والآخرة من ناحية أخرى .

وجاء الإسلام ليقرر وحدة الدين والدنيا ويجعل الدين مسيطراً على مختلف شئون الحياة والتشريع والقضاء والاجتماع والاقتصاد والتعليم فى منهج مرن سمح قادر على تقبل متغيرات الحياة وتطورات المجتمعات فى إطار الثوابت والمتغيرات .

وجاءت الماركسية للقضاء على منهج الدين الحق .

وتسير العلمانية فى العالم الإسلامى وفق اتجاهين أساسيين :

الأول : تقرير ضرورة إلغاء تطبيق الشريعة الإسلامية .

الثانى : العمل على القضاء على الإسلام ذاته على النحو الذى يتجه إليه الماركسيون والماديون ، وإن المؤامرة الآن بعد سقوط الشيوعية تتمثل فى تجميع كل القوى على حرب الإسلام فى محاولة لتصوير الإسلام وكأنه معاد للحضارة والاستقرار والتقدم وهو تصور ظالم بل هو الحل الأمثل لإنقاذ البشرية من التردى وهكذا الإسلام يقدم للبشرية منهجاً عاماً وشريعة جامعة تجمع بين الروح والمادة والعقل والقلب .

والسؤال الآن هو : ماذا بعد سقوط الماركسية كنظام اجتماعى وسياسى فى البلاد التى دانت بها واعتنقتها خلال سبعين عاماً ، وما أثر ذلك على الفكر الغربى الرأسمالى القائم الآن والمزهو بالانتصار والذى يحاول أن يحمل لواء ما يسمى بالنظام العالمى الجديد ؟.

إن أخطر ما يواجه الغرب بعد سقوط الشيوعية وهزيمة الأيديولوجيات الغربية على الساحة العالمية هو الخوف والفزع من أن يستطيع الإسلام أن يملأ الفراغ الروحى والاجتماعى العالمى .

وقد تحدث كثير من علماء الغرب والمراقبين عن أن الإسلام هو المرشح الوحيد لملء الفراغ الأيديولوجى والسياسى فى عالمنا بعد أن فشلت الأيديولوجيات الشيوعية الماركسية فى معقلها ؛ وبناء على إحساس المسلمين فإن الأيديولوجيات المختلفة كلها قاصرة ، لأنها تستمد كيانها من الانشطارية الفكرية القائمة على جناح الطائر حيث تسيطر عليها الفلسفة المادية بينما يقدم الإسلام منهجاً جامعاً بين الروح والمادة والقلب والدنيا والآخرة .

هذا مع وجود إحساس غامر بأن الأيديولوجيات العلمانية الليبرالية ستواجه نفس المصير فى وقت قريب ولن يكون إنقاذ العالم إلا من خلال منهج الله تبارك وتعالى ممثلاً فى الإسلام بعد أن فشلت مناهج البشر ممثلة فى الأيديولوجيات التى تتساقط واحدة إثر أخرى كأوراق الخريف .

ومن هنا نجد أولياء الفكر الغربى من أهل التبعية يسارعون بإطلاق الصيحات التى تحاول أن تلقى فى وعى الناس الخوف من نظام الإسلام بدعوى أنه يمثل الفكرة الثيوقراطية التى عرفتها الحكومات الدينية فى الغرب مع أن الإسلام فى حقيقته لم يعرف هذه الحكومة أبداً خلال أربعة عشر قرناً ، وكان فى منطلق تاريخه كله يقيم الحكومة المدنية التى تجمع خبرات العلم والسياسة والاقتصاد فضلاً عن أن الإسلام لم يجعل لعلماء الإسلام وضعاً خاصاً متميزاً يفرض به سلطاناً على الحكم .

وإذا نظرنا إلى ما حدث ويحدث نجد أنه لن يستطيع أن يملأ فراغ الأيديولوجيات التى أخذت تنهار غير الإسلام بأصالته وانتمائه إلى الفطرة وتكامله بين المادة والروح وسماحته وبعده عن الأحقاد والتطرف بالرغم من كل ما يحاول خصومه وأعداؤه أن يلصقوه به وهم الذين يسيطرون على الإعلام العالمى فى هذه المرحلة .

ولكن الإسلام قادر على أن يصحح موقف الناس منه سواء بتاريخه ومعطياته خلال أربعة عشر قرناً أو بمفاهيمه الأصيلة حين يتقدم لإنقاذ المجتمعات الضعيفة المتحللة من الأخطار التى تتردى فيها .

* * *

ولما كان الغرب يعرف عطاء الإسلام ومقدرته على إنقاذ البشرية فإن المؤامرة تتلخص فى القضاء على خصوصية الإسلام والمسلمين والعرب ومحاولة صهرهم فى بوتقة ما يسمى بالثقافة العالمية التى تحمل طابع العلمانية وحصاد المذاهب الليبرالية والماركسية والفلسفات المادية والتى تنظر إلى الإنسان على أنه حيوان مادى وتصدر عن تصور قائم على عالمية الحس ، والعقل ، والتنكر التام للألوهية والنبوة والغيب والبعث والجزاء ؛ هذه الفلسفة الغربية التى بدأت بالصراع مع المسيحية والأديان جملة ، وتحركت خلال أكثر من أربعة قرون فى تيارات صاخبة من الإلحاد والإباحية والتنكرلكل القيم : قيم الدين الحق وإنكار الخالق والادعاء بأن البشرية

وصلت إلى مرحلة الاستغناء عن مدد السماء أو عن أن تكون مرتبطة بالله تبارك وتعالى والتى تسمى هذا الخالق العظيم بالطبيعة .

ولقد مرت هذه الفلسفة المادية خلال أربعة قرون في تيارات تنقطع وتتصل من خلال نظريات وتصورات تبرز وتنهار ، ومن منطلق مذاهب لا تلبث أن تتحطم لأنها تعارض الفطرة والعلم وتعادى الحق والقيم وتندفع فى حقد شديد للبشرية إلى تدمير كل مقومات الحياة وتسرف فى الاستهلاك وتجاوزكل الحدود فى الذهاب وراء الترف والانحلال والتدمير .

ولا ريب فى أن وراء هذه الفلسفة المادية قوى ضخمة بدأت تعمل منذ وقت بعيد فى منطلق الثورة الفرنسية التى قادها اليهود لتدمير الوحدة المسيحية فى أوروبا ، ومن ثم انطلقت خلال الماسونية للسيطرة على قيادات العالم السياسية شرقاً وغرباً ، ثم جاءت اليونسكو لتقدم هذا المفهوم الخطير الذى يرمى إلى صهر ثقافات الأمم — والمقصود أساساً ثقافة الإسلام — فى وحدة قائمة على الإلحاد والإباحية ومفاهيم الفلسفات المادية بدعوى عالمية الثقافة وهى دعوى باطلة .

* * *

إن دراسة المسلمين للفكر الغربى قد كشفت عن عجز هذا الفكر ومدارسه الثلاث: الغربية والماركسية والصهيونية عن استلهام أشواق النفس العربية الإسلامية أو الإحاطة بمعطياتها أو القدرة على استيعابها ، وقد تبين قصوره وضعفه نتيجة انشطاره وقيامه على جناح واحد من النفس الإنسانية : هو الجناح المادى وتجاهله وحجبه تماماً للجناح الآخر : جناح الوحى والغيب والدين الحق .

وقد وضح هذا تماماً خلال التعامل مع الفكر الغربى وعجزه عن الإحاطة بأبعاد قضية الثبات والتغير ، والذى يرجع فى الأساس إلى قصور فهم الفكر الغربى لمفهوم الألوهية بوصفها مصدر الحياة والإنسان والكون جميعاً .

كذلك فقد عجز الفكر الغربى عن فهم قانون (الثوابت والمتغيرات) وهو قانون إلهى ربانى قامت عليه الأديان المنزلة وقامت عليه المجتمعات والحضارات .

ذلك أن الفكر الغربى المعاصر نشأ على أنقاض الفكر الدينى المسيحى الذى استمد مصادره من الفلسفة اليونانية والقانون الرومانى ، وكانت (أثينا) تؤمن

بقاعدة الثبات الدائم التى قال بها أرسطو ، ثم جاء (هيجل) فقال بقاعدة التغير الدائـم مستمداً إياها من نظـرية التطـور (دارون) والتطور الاجتماعى (هربرت سبنسر) .

ومن هنا عجزت الحضارة الغربية عن التماس الطريق الأصيل والتحرك فى إطار الإيمان بالله تبارك وتعالى ، وكان هذا المفهوم المادى هو مصدر الأزمات المتلاحقة التى تواجه الحضارة الغربية والمجتمع الغربى سواء فى دائرة الليبرالية أو الماركسية .

ولقد حاول الغرب فى إطار الغزو الثقافى للأمة الإسلامية أن يفرض على المسلمين هذا المفهوم المسموم من خلال الدعوة الملحة إلى التغيير وتجاوز الواقع بمفهوم أن التغيير هو سنة الحياة لكل الموجودات ، وأخذت هذه الدعوة تطاردنا نحن المسلمبن بشكل مثير فى محاولة لاقتلا ع جذورنا وعزلنا عن قيمنا وماضينا وتاريخنا وعقيـدتنا .

وهى دعوة مضللة حين تقف عند حد الاندفا ع المطلق ودون النظر إلى تكامل مفهوم (الثوابت والمتغيرات) الذى قدمه الإسلام والذى تقبل بمفهوم التغيير فى إطار المنظومة الجامعة الكاملة .

ولقد كانت هذه الدعوة من عمل العلمانيين والماركسيين على السواء ، الذين حملوا لواء (نظرية التطور) القائمة أساساً فى مجال البيولوجيا وفرضوها على القيم الاجتماعية فى محاولة لهدم القيم والتاريخ والماضى بكل ما يتصل به من عقيدة وقيم وذلك من وجهة نظر أصحاب الصراع مع الفكر الكنسى الأوروبى إبان خلاف العلماء مع الكنيسة ومن خلال تحول خطير طرأ على الفكر الغربى الذى كان فى إبان المرحلة اليونانية قائماً على الثبات الكامل فإذا به ينتقل فى المرحلة الحديثة إلى التحول الدائم .

وذلك شأن الفكر الغربى فى اتصاله بالفلسفة اليونانية والفكر الرومانى والمسيحية الغربية (غير المنزلة) كشرائح ثلاث تشكل منها هذا الفكر .

أما نحن المسلمين ، فإن فكرنا الإسلامى قام على منظومة أساسها التكامل الجامع بين القيم : بين الدنيا والآخرة والروح والمادة ، والعقل ، والقلب ، رمن هنا فإن للإسلام موقفاً واضحاً بالنسبة للعمل التجريبى القائم على قاعدة البحث المعملى والتجربة .. وهو موقف مقبول لنا ، بينما لنا موقف واضح بالرفض بالنسبة

للعلوم الإنسانية الغربية التى تختلف مع مفهوم الإسلام لأنها تقوم أساسا على الفكر المادى المنفصل عن جوانب الإنسان الأخرى الروحية والمعنوية .

نعم : نحن نؤمن بأن التحول سنة الحياة ، ولكن هذ شطر أما الشطر الثانى الآخر لسنة الحياة فهو اعتماد الثوابت التى لا تتغير والتى تجرى حركة التغيير من داخلها .

كذلك فإن عوامل الاستقرار والثبات لا يمكن أن توصف بأنها من علامات الخمول أو التأخر وليس هذا المفهوم الجامع مما يحول دون التقدم أو الاتجاه نحو المستقبل بل نحن نؤمن بأن أى عمل من أعمال التقدم لابد أن يقوم على قاعدة جامعة (روحية ومادية معاً) فإذا قامت على قاعدة التحول وحدها فهى بعيدة عن الصلاحية التى تسمح لها بالاستمرار والعطاء لأنها تكون قد انفصلت عن القاعدة الأساسية الجامعة .

كذلك فإن العقلانية وحدها ليست مصدراً كاملاً للعطاء ما لم تكن مرتبطة بالجوانب الروحية والمعنوية وخاصة ما يتصل منها بالوحى والغيب .

نحن لا نؤمن بالتطور المطلق أو التغيير المتصل ، ولا نؤمن بأن كل تطور هو إلى الأحسن ، والثبات لا يعنى السكون أو الجمود ولكنه يعنى الدوام والبقاء المستمر ، وقيم الإسلام ثابتة وتحكم حركة التغيير .

* * *

التبعيــة للغــرب

هل يعود العالم الإسلامى مرة أخرى للتبعية للغرب بعد أن تقسم أمره بين التبعية الماركسية والتبعية الغربية وبعـد أن سقطت الماركسية ولم يعد أمامه إلا النموذج الغربى ؟

الواقع أن المجتمع الإسلامى لم يستسلم يوماً للفكر الغربى أو الفكر الماركسى إلا مضطراً تحت دوافع السيطرة العسكرية والسياسية .

ولقد تبين للمسلمين والعرب بعد نكسة ١٩٦٧ أنه لا مفر من التماس منهج الإسلام فى بناء المجتمع ومن هنا بدأت الصحوة الإسلامية على مفهوم العودة إلى منابع الشريعة والتماس منهج الإسلام من جديد كمنقذ للمسلمين أساساً فى نفس الوقت الذى تسعى فيه قوى غربية إلى دراسة الإسلام باعتباره منقذاً للبشرية كلها .

وإذا كانت الصيحات قد تعالت بعـد سقـوط الشيوعية وتبين فساد منهجها كما تنادى بأن الليبرالية هى المنطق والبديل ، والواقع أن الظن بأن الليبرالية تحل محل الشيوعية هو قول مبالغ فيه وأن الخيار الإسلامى هو المؤهل للنجاح بعد التجارب العديدة التى مرت بالمسلمين وبالعالم كله ، ولقد أكدت المتغيرات التى حدثت فى السنوات الأخيرة أصالة الاتجاه الإسلامى وسلامته وخاصة بعد تراجع النموذجين الاشتراكى والغربى .

وقد فقد المثقفون الأمل فى عطاء الليبرالية أو الماركسية أو العلمانية أو القومية وقد جرب المسلمون كل هذه المناهج ولم يصلوا منها إلا إلى هزائم متوالية .

* * *

والمسلمون متأكدون اليوم أننا إذا قبلنا ما يقدمه الغرب فإننا سنصل إلى انهيار الذاتية الخاصة والوجود العقدى والتصور الجامع الذى يقدمه الإسلام .

ذلك أن الغرب ليس لديه ما يقدمه للمسلمين بعد مرور قرنين كاملين فى

تجربة مريرة حجبت الشريعة الإسلامية وحكمت القانون الوضعى والعلمانية فى المدرسة والمحكمة والمصرف .

نحن لا نرفض الفكر العالمى ولكنا نحاكمه على الأصول التى قدمها لنا الإسلام بوصفه المنهج الربانى الأصيل القادر على البقاء بينما تواجه الأيديولوجيات المطروحة خلال عدة قرون من الغرب إلى العالم كله الانهيار والهزائم .

إننا نواجه اليوم موجة عاصفة ترمى إلى احتوائنا فى دائرة الثقافة العالمية والفكر الغربى الذى تغلب عليه — فى هذه المرحلة — الفلسفة اليهودية المادية التى قدمها فلاسفة يهود أساساً ليسيطروا بها على المجتمعات البشرية :

(فرويد — ماركس — دور كايم — دارون .. إلخ) .

لقد سيطرت مفاهيم العلوم الإنسانية والاجتماعية ومن وراء هذه الموجة الجارفة هدف يرمى إلى احتوائنا لنقبل الفكر الماسونى التوراتى الذى وضعه اليهود من خلال بروتوكولات صهيون من أجل تهويد البشرية ، بل إن خطة التنصير المسيحية التى تجرى العمل بها والتى تعمل على ما يسمونه القضاء على الوجود الإسلامى بكامله (مؤتمر كلورادو) إنما هى جزء من المخطط اليهودى الذى احتوى المسيحية منذ وقت طويل وما زال مسيطراً عليها ولا تزال تعمل فى خدمته ، بل لا نعدو صدق القول إذا قلنا : إن اليهودية سيطرت على المسيحية منذ عام ٧٠ الميلادى بواسطة القديس بولس اليهودى الذى تمسّح وقاد المعركة وحوّل المسيحية إلى دين وثنى ، حيث أضاف إليه ملامح من الديانات الوثنية التى كانت موجودة فى روما فى هذه الفترة ليقبل أهلها الاندماج معه بوثنيتهم .

إن مخطط الصهيونية العالمية يهدف إلى السيطرة على قلب الأمة الإسلامية فى فلسطين وبيت المقدس والامتداد منه شرقاً وغرباً ولم تحدث السيطرة إلا بالاحتواء والاختراق لمناهج الإسلام فى مجال الإعلام والثقافة والتربية والصحافة .

وأن ما يحدث اليوم فى مجال الفن والمسرح والأدب والقصة هو ما رسمه فرويد ودور كايم وسارتر معبأ فى عبوات جديدة خادعة ، ومن مراجعة التحولات التى يمر بها الغزو الفكرى والتغريب يتبين أن هذه المرحلة تهدف إلى تحطيم الضوابط والثوابت وما أحله الله تبارك وتعالى وما حرمه فى محاولة لخداع بعض علماء

المسلمين للفتيا بقبول المحرمات من باب سد الذرائع أو تبرير المواقف ، أو تأويل النصوص .

إن هنا تركيزاً شديداً على هدم (ثوابت الإسلام) بمقولات ترمى إلى معارضة النصوص من شأنها أن تحكم أسلوب الجمود والتخلف فى مقولة مثيرة تقول بأن ذلك سيجعل المسلمين يفوتهم القطار ويتخلفون عن العصر ومن تخلف عن العصر مات وشيعت جنازته وهذا قول مبالغ فيه يرمى إلى حملنا على ترك قيمنا وضوابطنا والتفريط فى الثوابت التى أقامها الإسلام .

* * *

القضية اليوم هى الرأى المستقل عن التبعية للغرب:

ذلك أن أخطر ما يواجه المسلمين اليوم هو أن يأخذوا مفاهيم الغرب فى السياسة والاجتماع والاقتصاد والتربية (ومنها مفاهيم الحرب والسلام) وأول ما يضار من ذلك فريضة الجهاد .

ذلك أن مفاهيم الغرب فى الحرب والسلام تضع انتصار المسلمين فى صف الاستحالة العقلية من حيث القدرة على تحرير بلادهم إزاء امتلاك عدوهم لقدر أكبر من العتاد ، متجاهلين أو متغافلين عن القاعدة الإسلامية الحقة التى عاش المسلمون بها وانتصروا من خلالها وحرروا بلادهم فى كل الجولات الماضية وكونوا قوتهم الرادعة .

وهى عقيدة الجهاد وصناعة الموت وحب الاسشهاد فى سبيل تحرير الوطن وحماية العرض وقد وعد الله تبارك وتعالى أهل هذا الإيمان بالنصر بالعدد الأقل فى قانون صريح قاطع :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً ﴾

[الأنفال : ٤٥]

﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن اللّه ﴾

[البقرة : ٢٤٩]

وقد انتصر المسلمون بهذا القانون مدى حياتهم وفى جميع معاركهم ، انتصروا

بالعدد الأقل على الزحوف الضخمة التى حشدها الفرس والروم فى أول الأمر وحشدها الصليبيون والتتار من بعد .

وما زال هذا القانون سارياً وسائداً إذا ما لجأ المسلمون إلى بيع أنفسهم وأموالهم خالصة لله تبارك وتعالى وحملوا أرواحهم على أكفهم وخرجوا لا يطلبون إلامرضاة الله تبارك وتعالى.

ومن هنا فإن الفلسفة المادية والعلوم الإنسانية والاجتماعية ليست صالحة للنتقل إلى مجتمعاتنا وبالأحرى فهى ليست صالحة لتطبيقها فى المجتمعات الإسلامية التى تقوم على ثقافات وعقائد ومفاهيم مختلفة عن مفاهيم بيئات الغرب التى نشرت فيها هذه الفلسفات وتشكلت ، ذلك أن المسلمين قد أغناهم كتابهم القرآن الكريم والسنة المطهرة بأن قدما لهم تصوراً كاملاً لعالم الغيب لم يعودوا بعده فى حاجة إلى التصورات الفلسفية التى وضعها بعض الفلاسفة لعوالم الغيب والتى جاءت الفلسفة المادية فانقضت عليها ودمرتها تماماً .

كذلك فإن العلوم الإنسانية والاجتماعية الغربية إنما تصدر أساساً من تصور مادى للإنسان قوامه نظرية دارون وتفسيرات علماء الاجتماع لها (أمثال هربرت سبنسر) وما يتصل بها من نظريات فرويد ودور كايم وكلها تحاول أن تقدم للإنسان صورة حيوان ناطق منطلق وراء شهواته ومطامعه وأهوائه .

* * *

ولا شك فى أن الفكر الغربى يستمد هذا المفهوم للإنسان من الفلسفات اليونانية والرومانية القديمة والتصورات التى رسمتها بعض مذاهب الديانتين اليهودية والمسيحية فضلاً عن مفهوم الوثنية والباطنية والفكر الأفلاطونى والغنوصى جميعاً .

أما الفكر الإسلامى المستمد من القرآن والسنة والذى تشكل فى ضوء التوحيد الخالص منذ أربعة عشر قرناً فإنه يقدم للإنسان تصوراً مختلفاً عن هذا التصور المادى والوثنى الغربى.

فالإنسان فى مفهوم الإسلام أكرم المخلوقات وهو المستخلف فى الأرض وهو

المكلف بالعقل والمعد لعمارة الأرض ، والسعى من خلال المسئولية الفردية والالتزام الأخلاقى .

وفى حدود تصرفه يكون حسابه وجزاؤه فضلاً عن إيمانه بالغيب والبعث والجزاء واليقين بالله تبارك وتعالى خالقاً ورازقاً وبالنبوة والوحى .

وهو مفهوم مختلف تمام الاختلاف عن مفهوم الإنسان فى الفكر الغربى بما يؤكد عجز العلوم الإنسانية والاجتماعية الغربية الوافدة عن العطاء لأنها وضعت من خلال تصور مختلف تمام الاختلاف .

فإذا انتقلنا من دائرة الفلسفة والعلوم الإنسانية والاجتماعية إلى العلم التجريبى نفسه كان للإسلام موقف واضح ، ومختلف فليس صحيحاً ما يذيعه بعض العلمانيين من أن المسلمين يقبلون (العلم الغربى) المعاصر قبولاً كاملاً بحجة أنه بعيد عن الفلسفات والمفاهيم المادية والوثنية أو أنه علم تجريبى مجرد .

فليس هذا صحيحاً على إطلاقه ، وإنما نرى أن للإسلام موقفاً واضحاً من العلم التجريبى الغربى ، حيث إن لنا على منطقه تحفظات وضوابط وخاصة فيما يتعلق بالوجهة والتطبيق .

* * *

الغـرب والأمـة المسيطـرة

يعمل الغرب على محاصرة المسلمين وضربهم فى عدة مواقع : فى الهند وفلسطين والبلقان ، ويحمل حصار المسلمين طابع الحقد الأسود المبيت ، حيث يصطنع أساليب الإجرام التى تبرأت منها الأديان والحضارات والأمم المتمدينة .

هناك المذابح الجماعية وقطع الأطراف وبقر البطون وفقء العيون واغتصاب المسلمات ، ويجرى فى أوروبا طرد المسلمين ومنعهم من العمل ومحاصرة مساجدهم والهدف هو إذلال وكسر شوكة الإسلام وحضارة المسلمين .

أما فى أفريقيا فثروات المسلمين يلتهمها قراصنة أمريكا وانجلترا وأوروبا حيث باعوا أهلها فى أسواق النخاسة (خمسة عشر مليوناً) بنوا بها الإمبراطورية البريطانية والاضطهاد العنصرى حاصر الأفارقة فى بلادهم ، ويعيش البيض فى قصور وعمارات شاهقة ، أفريقيا التى هى أغنى القارات بالذهب والماس والنحاس لايجد أهلها طعاماً ويقاسون الجوع والتصحر .

ولا تزال الأحداث تؤكد وجهة نظر الغرب بالنسبة للإسلام والمسلمين وتكشف عن حقده الدفين الذى يغلفه بعبارات خادعة ، وتأتى قضية المسلمين فى البوسنة علامة بارزة على هذا القصد الخفى الذى ما زال يعيد صورة الحروب الصليبية .

ويغالى الغرب فى دعوته إلى العنصرية والنزعة الاستعلائية على الأجناس والأمم بدعوى تفوق الجنس الأبيض وهى كراهية حاقدة تمثل كل ما ليس غربياً بل هى تشمل أيضاً الإسلام والدولة الإسلامية فى التاريخ القديم من مواقف إزاء التوسع الإسلامى وقيام الخلافة الإسلامية وتجمع الذئاب لاقتسام أشلاء ما بعد الحرب العالمية الأولى .

وقد ورثت هذا العداء أمريكا وعمل الغرب كله على استغلال زعامات القومية والعنصرية ، بل إن الغرب يؤجج اليوم معارك العرق ويجعل منه بديلا لسقوط الشيوعية .

كما يعمل على استغلال الخلافات بين العناصر فى داخل الوطن الإسلامى مع استعمال سلاح القروض والمعونات لفرض التبعية والخضوع ، وقد عرفت الحضارة الغربية بالعنصرية والقسوة والصراع مع الخداع الشديد المتخفى وراء مظهر إنسانى كاذب يدعى الشرعية والعدل والرحمة .

فكانت نشأة الحضارة الغربية دموية ترى العنصرية تاجها ، والنزاعات العدوانية قوامها ، وأدواتها تجار السلاح وملوك البترول ومروجو المخدرات والسموم البيضاء .

وقد قامت هذه الحضارة على دعاوى الإنسان الأبيض ورسالته فى تحضير وتمدين الشعوب المتخلفة بالإضافة إلى دعاوى فرنسا فى الحرية والإخاء والمساواة وقد حاربت هذه الدول الإسلام وأهله حرباً عنيفة حتى أسقطت الخلافة وحطمت الدولة العثمانية التى حمت العالم الإسلامى خمسة قرون .

أما الاتحاد السوفييتى فقد كان معبد الشيطان وإمبراطورية الشر وبيت الأكاذيب، وذلك ما وصفه به الغرب ودعواتهم عن رسالة محررة للعالم تثبت أن كل ما أعلنوه من مبادىء لإنقاذ الشعوب من الاستعمار وتحرير الإنسان من الظلم والاستغلال لم يكن سوى شعارات للتضليل والتخدير .

وكانت أكبر الأكاذيب دعواهم بأن الاشتراكية سوف تنتصر على الرأسمالية طبقاً لمبدأ الحتمية التاريخية القائلة بأن تاريخ العالم هو عبارة عن صراع بين الطبقات وأن هذا الصراع لابد أن ينتهى بانتصار الطبقة الكادحة .

* * *

وتأتى مأساة البوسنة والهرسك فى العقد الأخير من القرن العشرين علامة على كمون نار الحقد للإسلام وأهله فى نفوس الغرب وفى أوروبا بالذات وبياناً صادقاً ضد الحضارة الأوروبية ودليلاً أكيداً على مدى الكراهية والخوف الذى يملأ صدور الغرب إزاء الإسلام والمسلمين .

إن القضية امتداد لأحداث وقعت فى أوروبا نفسها منذ قرابة خمسمائة سنة وأن أحداث اليوم فاقت ما حدث فى هذه القرون الخمسة .

واليوم يكشف الغرب عن حقيقة مفهومه لحرية الإنسان وحقوقه ومواقفه من الإسلام والمسلمين .

لقد وضعت الأحداث النقاط على الحروف وأكدت أن الغرب لا يصدر عن قيم ثابتة وإنما عن أحقاد وحزازات قديمة قابعة فى أعماق النفوس .

هذه الوحشية والدماء وانتهاك حقوق الإنسان يرى فيها الغرب فرصة لتحقيق أهداف طالما سعى إليها .

وعلى المسلمين أن يفهموا لغة العصر وأنه لابقاء لضعيف وأنه لابد من القوة الحامية للذمار .

وعلى المسلمين أن يعلموا أن أوضاعهم تقف معوقاً أمام رسالتهم الحقيقية والأمانة المنوطة بهم والتى هى مسئوليتهم وهى أمانة التبليغ مما يؤكد أن المسلمين غير قادرين على تأكيد دعائم الوحدة الجامعة أو التشكل فى نطاق المنهج الربانى الأصيل القادر على حمايتهم .

وإن التخلف الذى يعيشونه ليس من صنع الإسلام ولكنه نتيجة ابتعادهم عن الإسلام .

والغرب ما زال يتعامل مع المسلمين والغرب بمبدأ المخالفة ، فهو يقف موقفاً معارضاً يحول دون تمكين المسلمين من تطبيق الشريعة الإسلامية أو إقامة نظام اقتصادى إسلامى أو تشكيل منهجهم التربوى على أساس إسلامى ، كما أنهم يحولون بين المسلمين وبين امتلاك حرية التصرف فى ثرواتهم ومعطياتهم التى يشكلون بها مجتمعهم واقتصادهم ، ويرفضون الإسلام الذى يجعل علاقته الخارجية والدولية تستمد من العقيدة .

إنهم يريدون الإسلام بمفهوم العبادة واللاهوت ويرفضون قيم المجتمع الإسلامى على أساس مفاهيمه السياسية والاقتصادية والتربية الإسلامية والله تبارك وتعالى يدعونا إلى العودة إلى الإسلام الحق .

﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ﴾ [الجاثية : ١٨] .

اللهم هل بلغت اللهم فاشهد . هذا وبالله التوفيق

أنور الجندى

المحرم ١٤١٩ هـ

فهرس الكتاب

الموضــــــــوع	الصفحة

آفــاق البحــث



رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ١٦٨٧٦ / ١٩٩٨

دار النصر للطباعة الاسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى ـــ ١١٢٣١